الجزء الثاني من زاد المعاد في هدي خير
العباد تأليف الإمام العلام ورأس
الأئمة الأعلام شمس الدين أبو
عبد الله محمد بن أبي بكر بن
أيوب الزرعي الشهير
بابن قيم الجوزية
قدس الله
روحه

٨٩

زاد المعاد في هدي
خير العباد
لابن قيم الجوزية
الجزء الثاني

www.al-maktabeh.com

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

فصل وكان سبب غزوة الخندق ان اليهود لما رأوا انتصار المشركين على

المسلمين يوم احد علموا بميعاد ابي سفيان لغزو المسلمين فخرج لذلك ثم رجع الى العلم
المقبل خرج اشرافهم كسلام بن ابي الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع وغيرهم الى قريش
بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوثبونهم عليه ويعدونهم من انفسهم
بالنصر لهم فاجابتهم قريش ثم خرجوا الى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم ثم طافوا في قبائل العرب
يدعونهم الى ذلك فاستجاب لهم من استجاب فخرجت قريش وقائدهم ابو سفيان في اربعة آلاف
ووافقهم بنو سليم بمر الظهران وخرجت بنو اسد وفزارة واشجع وبنو مرة وجاءت غطفان
وقائدهم عيينة بن حصن وكانوا من وراء الخندق ومن المشركين عشرة آلاف فلما سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمسيرهم اليه استشار الصحابة فاشار سلمان الفارسي بحفر خندق يحول بين العدو وبين
المدينة فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبادر اليه المسلمون وعمل بنفسه فيه وبادر واقبل جموع الكفار
وكان في حفره من آيات نبوته واعلام رسالته ما قد تواتر الخبر به وكان حفر الخندق امام سلع وجبل سلع
خلف ظهور المسلمين والخندق بينهم وبين الكفار وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلثمائة الا من المسلمين فجعل ظهره
من خلفه والخندق من امامه وقال بن اسحق خرج في سبعمائة وهذا غلط من خرج يوم احد وامر النبي صلى الله عليه وسلم بالنساء
والذراري فجعلوا في اطام المدينة واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم وانطلق حيي بن اخطب الى بني قريظة فدق باب
حصنهم فابى كعب بن اسد ان يفتح له فلم يزل يكلمه حتى فتح له فلما دخل قال لقد جئتكم ببعز الدهر جئتكم بقريش وغطفان
واسد على قادتها لحرب محمد قال جئتني بذل الدهر وبجهام قد رقماءه فهو يرعد ويبرق فلم يزل به حتى نقض العهد الذي
بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل مع المشركين في محاربته فبعث ذلك المشركون وشرط كعب على حيي ان لم
يظفر وا بمحمد ان يجيئ حتى يدخل معه في حصنه فيصيبه ما اصابه فاجابه الى ذلك ووفاله وبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم خبر بني قريظة ونقضهم العهد فبعث اليهم السعدين وخوات بن جبير وعبد الله بن رواحة ليعرفوه
هل هم على عهدهم او قد نقضوا فلما دنوا منهم وجدوهم على اخبث ما يكون وجاهروهم بالسب والعداوة وقالوا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرفوا اليهم وكتموا رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وشرحوا له انهم قد نقضوا العهد
وما بلغهم عنهم فعظم ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين فاشتد
لذلك ونجم النفاق واستاذنه بعض بني حارثة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذهاب الى المدينة وقالوا بيوتنا
عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا وهم بنو سلمة بالفتح ثم ثبت الله الطائفتين وأقام المشركون محاصرين رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا ولم يكن بينهم قتال الا جل ما حال الله به

من الخندق

به من الخندق بينهم وبين المسلمين الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود فجاءوا معا قبلوا نحو الخندق فلما
وقفوا عليه قالوا ان هذه لمكيدة وما كانت العرب بقرفها ثم تمموا مكانا ضيقا من الخندق واقتحموه وجالت بهم خيلهم في
السبخة بين الخندق وبين سلع ودعوا الى البراز فانتدب لعمرو علي بن ابي طالب فبارزه فقتله الله على يد علي وكان من شجعان
المشركين وابطالهم والفرسانهم الباقون الى اصحابهم وكان شعار المؤمنين يومئذ حم لا ينصرون ولما طالت هذه الحال على
المسلمين اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصالح عيينة بن حصن والحارث بن عوف رئيسي غطفان على ثلث ثمار المدينة
وينصرفا بقومهما وجرت المراوضة على ذلك فاستشار السعدين في ذلك فقالا يا رسول الله ان كان الله امرك بهذا
فسمعا وطاعة وان كان شيئا تصنعه لنا فلا حاجة لنا به ولقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الاوثان وهم لا يطمعون
ان ياكلوا منها ثمرة الا قرى او بيعا فحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك نعطيهم اموالنا والله لا نعطيهم الا السيف
فسر النبي صلى الله عليه وسلم برايهما وقال انما هو شئ اصنعه لكم لما رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وان الله عز
وجل ولاه احمد صنع امرا من عند نفسه خذل به بين العدو وهزم به جموعهم وفل حدهم فكان مما هيأ من ذلك ان رجلا
من غطفان يقال له نعيم بن مسعود بن عامر جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد اسلمت فمرني بما شئت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة فذهب من فوره ذلك
الى بني قريظة وكان عشيرهم في الجاهلية فدخل عليهم ولا يعلمون باسلامه فقال يا بني قريظة انكم قد حاربتم محمدا وان
قريشا ان اصابوا فرصة انتهزوها والا سيمتروا الى بلادهم ويتركوكم ومحمدا فتنتقم منكم فقالوا فما العمل يا نعيم قال
لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن قالوا لقد اشرت بالراي ثم مضى على وجهه الى قريش فقال لهم تعلمون ودي لكم
ونصحي لكم قالوا نعم قال ان يهود قد ندموا على ما كان منهم في نقض عهد محمد واصحابه وانه قد راسلوه انهم ياخذون
منكم رهائن يدفعونها اليه ثم يميلون عليكم فان سالوكم رهائن فلا تعطوهم ثم ذهب الى غطفان فقال لهم مثل ذلك
فلما كانت ليلة السبت من شوال بعثوا الى يهود انا لسنا بارض مقام وقد هلك الكراع والخف فانهضوا بنا الى محمد حتى
نناجزه فارسلوا اليهم ان اليوم يوم السبت وقد علمتم ما اصاب من قبلنا حين احدثوا فيه ومع هذا لا نقاتل معكم محمدا
حتى تبعثوا الينا رهائن فلما جاء رسلهم بذلك قالت قريش صدقكم والله نعيم فبعثوا الى يهود انا والله لا نرسل اليكم
احدا فاخرجوا معنا حتى نناجز محمدا فقالت قريظة صدقكم والله نعيم فتخاذل الفريقان وارسل الله على المشركين
جندا من الريح فجعلت تقوض خيامهم ولا تدع لهم قدرا الا كفاها ولا طنبا الا قلعته ولا تقر لهم قرارا وجند من الملائكة
يزلزلون بهم ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان يأتيه بخبرهم
فوجدهم على هذه الحال وقد تهيئوا للرحيل فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره برحيل القوم فاصبح رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد رد الله عدوه بغيظهم وكفاه الله قتالهم فصدقه في وعده واعز جنده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده

فدخل المدينة وضع السلاح فجاءه جبريل وهو يغتسل في بيت ام سلمة فقال اوضعتم السلاح ان الملائكة لم تضع اسلحتها بعد
انهض الى غزوهؤلاء يعني بني قريظة فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في
بني قريظة فخرج المسلمون سراعا وكان من امر وامر بني قريظة ما قد مناه واستشهد يوم الخندق ويوم قريظة نحو عشرة
من المسلمين **فصل** وقد قدمنا ان ابا رافع كان ممن الب الاحزاب على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يقتل بني قريظة كما قتل صاحبيه حيي بن اخطب وزعيت الخزرج في قتله مساواته للاوس في قتل كعب
بن الاشرف وكان الله قد جعل هذين الحيين نظاما وكان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخيرات فاستاذنوه
في قتله فاذن لهم فانتدب له رجال كلهم من بني سلمة وهم عبد الله بن عتيك وهو امير القوم وعبد الله بن انيس
وابو قتادة والحارث بن ربعي ومسعود بن سنان وخزاعي بن اسود فساروا حتى اتوه في خيبر في داره فنزلوا عليه ليلا
فقتلوه ورجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلهم ادعى انه قتله فقال ارونني اسيافكم فلما اروه اياها قال لسيف
عبد الله بن انيس هذا قتله اري فيه اثر الطعام **فصل** ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى بني لحيان بعد قريظة بستة اشهر ليغزوهم فخرج في مائتي رجل واظهر انه يريد الشام واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم
ثم اسرع السير حتى اتى بطن عران وادٍ من اودية بلادهم وهم بين امج وعسفان حيث كان مصاب اصحابه فترحم عليهم
وسمعت بنو لحيان فهربوا في رؤس الجبال فلم يقدر على احد منهم فاقام يومين بارضهم وبعث السرايا فلم يقدروا على
احد فسار الى عسفان فبعث عشرة فوارس الى كراع الغميم ليسمع به قريش ثم رجع الى المدينة وكانت غيبته عنها اربع عشرة
ليلة **فصل** في سرية نجد ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت
بثمامة بن اثال سيد بني حنيفة فربطوه برسول الله صلى الله عليه وسلم الى سارية من سواري المسجد ومر به فقال ما عندك
يا ثمامة فقال يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه
ثم مر به مرة اخرى فقال مثل ذلك ورد عليه كما رد عليه اولا ثم مر به ثالثة فقال اطلقوا ثمامة فاطلقوه فذهب الى نخل
قريب من المسجد فاغتسل ثم جاء واسلم وقال والله ما كان على وجه الارض بغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه
الي والله ما كان على وجه الارض دين ابغض الي من دينك فقد اصبح دينك احب الاديان الي وان خيلك اخذتني وانا اريد
العمرة فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم على قريش قالوا صبوت يا ثمامة قال لا والله ولكني اسلمت
مع محمد صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن لي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت اليمامة رهصة مكة فانصرف الى بلده ومنع الحمل الى مكة حتى جهدت قريش فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسالونه بارحامهم ان يكتب الى ثمامة يخلي اليهم حمل الطعام ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم **فصل**
غزوة الغابة ثم اغار عيينة بن حصن الفزاري في بني عبد الله بن غطفان على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم

التي بالغابة فاستاقها وقتل راعيها وهو رجل من غفار واحتملوا امراة من آل عبد المؤمن بن خلف وهو بن ابي ذر الغفاري
وهو عزب جدا فجاء الصريخ فنودي يا خيل الله اركبي وكان اول ما نودي لها وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
متقنعا بالحديد وكان اول من اقبل اليه المقداد بن عمرو في الدرع والمغفر فعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء فرحه
وقال امض حتى تلحق الخيول وانا على اثرك واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وادرك سلمة بن الاكوع القوم على
رجليه يرميهم بالنبل ويقول خذها وانا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع حتى اتى لهم الوذى فردوا فاستنقذ منهم جميع اللقاح
وثلثين بردة قال سلمة فلحقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والخيل عشاء فقلت يا رسول الله ان القوم عطاش فلو بعثني
في مائة رجل استنقذت ما في ايديهم من السرح واخذت باعناق القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ملكت فاسجح قال انهم
الان ليقرون في غطفان وذهب الصريخ بالمدينة الى بني عمرو بن عوف فجاءت الامداد ولم تزل الخيل تاتي والرجال على
اقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد فنزل عبد المؤمن بن خلف فاستنقذوا لهم عشر لقاح
وافلت القوم بما بقي وهي عشر قلت وهذا غلط والذي في الصحيحين انهم استنقذوا اللقاح كلها ولفظ مسلم في صحيحه عن سلمة
حتى ما خلق الله من شيء من لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خلفنه وراء ظهري واستلبت منهم ثلثين برده **فصل**
كانت بعد الحديبية وفد وهم فيها جماعة من اهل المغازي والسير فذكروا الها قبل الحديبية والدليل على صحة ما قلنا
ما رواه الامام احمد والحسن بن سفيان عن ابي بكر بن ابي شيبة ثنا هاشم بن القاسم قال ثنا عكرمة بن عمار قال حدثني
اياس بن سلمة عن ابيه قال قدمت المدينة من الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجت انا ورباح غلام
لطلحة انديه مع الابل فلما كان بغلس اغار عبد الرحمن بن عيينة على ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل راعيها
وساق الغضبة رواها مسلم في صحيحه بطولها وهم عبد المؤمن بن خلف في سيرته في ذلك وهما بينا فذكر غزاة بني
لحيان بعد قريظة ثم قال فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لم يمكث الا ليالي حتى اغار عبد الرحمن بن عيينة
فذكر القصة والذي اغار عبد الرحمن وقيل ابوه عيينة وهو عبد الرحمن بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بلال وذكر
بدرا وهو موضع ببدر فاين هذا من قول سلمة قدمت المدينة من الحديبية وقد ذكر الواقدي عدة سرايا في سنة
ست من الهجرة قبل الحديبية فقال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول وقال الآخر سنة ست من قدومه
المدينة عكاشة بن محصن الاسدي في اربعين رجلا الى الغمر وفيهم ثابت بن احزم وسباع بن وهب فاجد السير
وند القوم لهم فمروا فنزل على مياههم وبعث الطلائع فاصابوا من دلهم على بعض ماشيتهم فوجدوا ماءتي بعير
فساقوها الى المدينة وبعث سرية ابي عبيدة بن الجراح الى ذي القصة فسار الليلهم مشاة وواقوهم مع الصبح فاغاروا
عليهم واعجزوهم هربا في الجبال واصابوا رجلا واحدا فاسلم وبعث محمد بن مسلمة في ربيع الاول في عشرة نفر سرية
فكمن القوم لهم حتى ناموا فما شعروا الا بالقوم فقتلوا اصحاب محمد بن مسلمة وانفلت محمد جريحا وفي هذه السنة اوفي سنة

www.alabdulgaf...

كانت سريّة زيد بن حارثة بالجموح فاصاب امراة من مزينة يقال لها حليمة فدلهم على محلة من محال بني سليم فاصابوا منها وسبوا
واسرى وكان في اول الاسرى زوج حليمة فلما فعل بها اصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزينية نفسها ومن وجهها
وبنيها يعني سنة ست كانت سرية زيد بن حارثة الى الطرف في جمادى الاولى التي تغلبة في خمس عشرة رجلا فهربت الاعراب
وخافوا ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم سار اليهم فاصاب من نعمهم عشرين بعيرا وغاب اربع ليال وفيها كانت
سرية زيد بن حارثة الى العيص في جمادى الاولى وفيها اخذت الاموال التي كانت مع ابي العاص بن الربيع زوج زينب عند قرب
من الشام وكانت اموال قريش وقال ابن اسحق حدثني عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال خرج ابو العاص بن الربيع
تاجرا الى الشام وكان رجلا مامونا وكانت معه بضائع لقريش فاقبل قافلا فلقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستاقوا عيره وافلت وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اصابوا فقسمها بينهم واتى ابو العاص المدينة فدخل
على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستجارها وسالها ان تطلب له من رسول الله صلى الله عليه وسلم رد ما
عليه وما كان من اموال الناس قد عار رسول الله صلى الله عليه وسلم السرية فقال ان هذا الرجل منا حيث علمتم وقد
اصبتم له مالا ولعير وهو فيء الله الذي افاء عليكم فان رايتم ان تردوا عليه فافعلوا وان كرهتم وابيتم حقكم فانتم
بلى نرده عليه يا رسول الله فردوا عليه والله ما اصابوا منه حتى ان الرجل لياتي بالشن والرجل والحبل فما تركوا قليلا ولا
وكثيرا الا ردوه عليه ثم خرج حتى قدم مكة فادى للناس بضائعهم حتى اذا فرغ قال يا معشر قريش هل بقي لاحد
منكم معي مال لم يرده عليه قالوا لا فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال والله ما منعني ان اسلم قبل ان اقدم عليكم
الا تخوف ان تظنوا اني انما اسلمت لاذهب باموالكم فاني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وهذا القول من
الواقدي وابن اسحق يدل على ان قصة ابي العاص كانت قبل الحديبية والا فبعد الهدنة لم تقرض سرايا رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقريش ولكن زعم موسى بن عقبة ان قصة ابي العاص كانت بعد الهدنة وان الذي اخذ الاموال
ابو بصير واصحابه ولكن ذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا استخارين عنه بسيف البحر وكان لا تمر بهم عير
لقريش الا اخذوها وهذا قول الزهري قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب في قصة ابي بصير ولم يزل ابو بصير وابو
جندل واصحابهما الذين اجتمعوا اليهما هنالك حتى مر بهم ابو العاص بن الربيع وكانت تحته زينب بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فاخذوهم وما معهم واسروهم ولم يقتلوا منهم احدا لصهر رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ابي العاص وابو العاص يومئذ مشرك وهو بن اخت خديجة بنت خويلد لامها وابيها وخلوا سبيل
ابي العاص فقدم المدينة على امراته زينب فكلمها ابو العاص في اصحابه الذين اسروا ابا جندل وابا بصير وما اخذوا
له فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام وخطب الناس
فقال انا صاهرنا اناسا وصاهرنا ابا العاص بن الربيع فنعم الصهر وجدناه وانه اقبل من الشام في اصحاب له من قريش

فاخذهم

فاخذهم ابو جندل وابو بصير واخذوا ما كان معهم ولم يقتلوا منهم احدا وان زينب بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم سالتني ان اجيرهم فهل انتم مجيرون ابا العاص بن الربيع واصحابه فقال الناس نعم فلما بلغ ابا جندل واصحابه قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابي العاص واصحابه الذين كانوا عنده من الاسرى رد عليهم كل شيء اخذ منهم حتى
العقال وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي جندل وابي بصير يامرهم ان يقدموا عليه ويامر من معهما من
المسلمين ان يرجعوا الى بلادهم واهليهم وان لا يتعرضوا لاحد من قريش ولا عيرهم فقدم كتاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى ابي بصير وهو في الموت فمات وهو على صدره فدفنه ابو جندل مكانه وقدم ابو جندل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وامنت عيرات قريش وذكر باقي الحديث وقول موسى بن عقبة اصوب وابو العاص انما اسلم زمن الهدنة
وقريش انما انبسطت عيرها الى الشام في زمن وسياق الزهري القصة بين ظاهر انها كانت في زمن الهدنة قال الواقدي
وفيها اقبل دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر وقد اجازه بمال وكسوة فلما كان بحسمى لقيه ناس من حرام فقطعوا
عليه الطريق فلم يتركوا معه شيئا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يدخل بيته فاخبره فبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى حسمى قلت وهذي بعد الحديبية بلا شك قال الواقدي وخرج في تجارة رجل الى فدك
الى حي بني سعد بن بكر وذلك انه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهم جمعا يريدون ان يمدوا خيبر فسار اليهم
وكان يسير الليل ويكمن النهار فاصاب عيناتهم فاقرهم انهم بعثوه الى خيبر فقرضوا عليهم نصرهم على ان يحملوا لهم
من خيبر قال وفيها سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل في شعبان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اطاعوك فتزوج ابنة ملكهم فاسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بن عوف تماظر بنت الاصبغ وهي امراة ابي سلمة
وكان ابوها راسهم وملكهم قال وكانت سرية كرز بن خالد الفهري الى العرنيين الذين قتلوا راعي رسول الله
صلى الله عليه وسلم واستاقوا الابل في شوال سنة ست وكانت السرية عشرين فارسا قلت وهو يدل على القا
كانت قبل الحديبية فان الحديبية كانت في ذي القعدة كما سياتي وقصة العرنيين في الصحيحين في حديث ان رهطا
من عكل وعرينة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف فاستو
خمنا المدينة فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذود وامرهم ان يخرجوا فيها فيشربوا من ابوالها والبانها
فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود وكفروا بعد اسلامهم وفي لفظ للمسلم وسملوا
عين الراعي فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم فاتي بهم فقطع ايديهم وارجلهم وتركهم في ناحية الحرة حتى ماتوا
وفي حديث ابي الزبير عن جابر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم عم عليهم الطريق واجعلها عليهم اضيق من مسك
جمل فعمي الله عليهم السبيل قاد دكوا وذكر القصة وفيها من الفقه جواز شرب ابوال الابل وطهارة بول ما ماكول اللحم
واجمع للمحارب بين قطع يده ورجله اذا اخذ المال وقتل بين قطع يده ورجله وقتله وانه يفعل بالجاني كما فعل

وهو في الموت

فاهم لما سملوا عين الراعي سمل اعينهم وقد ظهر بهذا ان القصة محكمة ليست منسوخة وان كانت قبل نزول الحدود

فالحد ونزلت بقتربها الا بابطالها والله اعلم **فصل في قصة الحديبية** قال نافع كانت في

سنة ست في ذي القعدة وهذا هو الصحيح وهو قول الزهري وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحق وغيرهم وقال هشام

بن عروة عن ابيه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية في رمضان وكانت في شوال وهذا وهم وانما كانت غزاة

الفتح في رمضان وقد قال ابو الاسود عن عروة انها كانت في ذي القعدة على الصواب وفي الصحيحين عن انس ان النبي صلى الله

عليه وسلم اعتمر اربع عمر كلهن في ذي القعدة وذكر منها عمرة الحديبية وكان معه الف وخمسمائة هكذا في الصحيح عن جابر

وعنه فيهما كانوا الفا واربع مائة وفيهما عن عبد الله بن ابي اوفى كنا الفا وثلثمائة قال قتادة قلت لسعيد بن المسيب كم

كان بهاعة الذين شهد وا بيعة الرضوان قال خمس عشرة مائة قال قلت جابر بن عبد الله قال كانوا اربع عشرة مائة

قال رحمه الله وهم وهو حدثني انهم كانوا خمس عشرة مائة قلت فقد صح عن جابر القولان وصح عنه انهم نحروا عام الحديبية

سبعين بدنة والبدنة عن سبعة فقيل له كم كنتم قال الفا واربعمائة بخيلنا ورجالنا يعني فارسهم وراجلهم والقليل الهذا

اميل وهو قول البراء بن عازب ومعقل بن يسار وسلمة بن الاكوع في اصح الروايتين عنه وقول المسيب بن حزن قال شعبة

عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابيه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة الفا واربعمائة وغلط غلطا

بينا من قال كانوا سبعمائة وعذرهم انهم نحروا يومئذ سبعين بدنة والبدنة قد جاء اجزاءها عن سبعة وعن عشرة

وهذا لا دليل على ما قاله هذا القائل فانه قد صرح بان البدنة كانت في هذه العمرة عن سبعة فلو كانت السبعين عن جميعهم

لكانوا اربعمائة وسبعين رجلا وقال في تمام الحديث بعينه انهم كانوا الفا واربعمائة **فصل فلما**

كانوا بذي الحليفة قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي واشعر واحرم بالعمرة وبعث بين يديه عينا

له من خزاعة يخبره عن قريش حتى اذا كان قريبا من عسفان اتاه عينه فقال اني تركت كعب بن لؤي قد جمعوا لك

الاحابيش وجمعوا لك جموعا وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه

فقال اترون ان نميل الى ذراري هؤلاء الذين اعانوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين محزونين وان نجوا

تكن عنقا قد قطعها الله ام ترون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر الله ورسوله اعلم انما جينا

معتمرين ولم نجئ لقتال احد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبي صلى الله عليه وسلم فروحوا اذا

فراحوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة

فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله

عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلأت القصوى

القصوى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصوى وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل

ثم قال

ثم قال والذي نفس محمد بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهموها ثم زجرها فوثبت به

فعدل عن الطريق حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يرضخه الناس رشحا فلم يلبث الناس ان نزحوه فشكوا

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه قال فوالله ما زال يجيش

لهم بالري حتى صدروا عنه وقزعت قريش لنزوله عليهم فاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليهم

رجلا من اصحابه فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه اليهم فقال يا رسول الله ليس لي بمكة احد من بني كعب يغضب لي ان

اوذيت فارسل عثمان بن عفان فان عشيرته بها وانه يبلغ ما اردت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان

بن عفان فارسله الى قريش فقال اخبرهم انا لم نات لقتال وانما جينا عمارا وادعهم الى الاسلام وامره ان يأتي

رجالا مسلمين ونساء مؤمنات فيدخل عليهم فيبشرهم بالفتح ويخبرهم ان الله تعالى مظهر دينه بمكة

حتى لا يستخفي فيها بالايمان فانطلق عثمان فمر فقالوا اين تريد فقال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم

ادعوكم الى الله والى الاسلام واخبركم انا لم نات لقتال وانما جينا عمارا فقالوا قد سمعنا ما تقول فانفذ لحاجتك

وقام اليه ابان بن سعيد بن العاصي فرحب به واسرج فرسه فحمل عثمان على الفرس واجاره ورد فه ابان حتى دخل

مكة وقال المسلمون قبل ان يرجع عثمان خلص عثمان الى البيت وطاف به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما اظنه طاف بالبيت فقالوا وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص قال ذلك ظني به ان لا يطوف بالكعبة حتى يطوف

معنا واختلط المسلمون بالمشركين في امر الصلح فرمى رجل من احد الفريقين رجلا من الفريق الآخر فكانت

معركة ونزلوا بالنبل والحجارة وصاح الفريقان كلاهما وارتفن كل واحد من الفريقين من فيهم وبلغ رسول

الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان قد قتل فدعا الى البيعة فثار المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

تحت الشجرة فبايعوه ان لا يفروا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد نفسه وقال هذه عن عثمان ولما تمت

البيعة رجع عثمان فقال له المسلمون اشتفيت يا ابا عبد الله من الطواف بالبيت فقال بئس ما ظننتم بي والذي

نفسي بيده لو مكثت بها سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ما طفت بها حتى يطوف رسول الله

صلى الله عليه وسلم ولقد دعتني قريش الى الطواف بالبيت فابيت فقال المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان اعلمنا بالله واحسننا ظنا وكان عمر اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيعة وهو تحت الشجرة فبايع

المسلمون كلهم الا الجد بن قيس وكان معقل بن يسار اخذ بغصنها ورفعه عن رأس رسول الله صلى الله عليه

وسلم وكان اول من بايعه ابو سنان الاسدي وبايعه سلمة بن الاكوع ثلث مرات في اول الناس وفي وسطهم

واخرهم فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقا الخزاعي في نفر من خزاعة وكانوا عيبة نصح لرسول الله صلى الله

عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي قد نزلوا اعداد مياه الحديبية

معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال لاحد ولكن
جينا معتمرين وان قريشا نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاءوا ماددناهم ويخلوا بيني وبين الناس وان شاءوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان ابوا الا القتال فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي
ولينفذن الله امره قال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا قال انى جيتكم من عند هذا الرجل وسمعته يقول
قولا فان شئتم عرضته عليكم فقالت سفهاءهم لا حاجة لنا ان تحدثنا عنه بشئ وقال ذوو الراى منهم هات ما
سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فقال عروة بن مسعود الثقفي ان هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها
ودعوني اليه فقالوا ائته فاتاه فجعل يكلمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند
ذلك اي محمد ارايت لو استاصلت قومك هل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فوالله
اني لارى وجوها واري اوباشا من الناس خلقا ان يفروا ويدعوك فقال ابو بكر امصص بضر اللات انحن نفر عنه
وندعه فقال من ذا قال ابو بكر قال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك وجعل يكلم
النبي صلى الله عليه وسلم وكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة عند راس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيف
وعليه المغفر وكلما اهوى عروة الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة راسه وقال من ذا قال المغيرة بن شعبة فقال اى غدر اولست اسعى في غدر
ذلك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شئ ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فوالله ما تنخم النبي صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم
ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه
تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه فقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك على كسرى وقيصر والنجاشي والله
ما رايت ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ما تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم
فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم
عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آتيه
فقالوا ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم
يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت فاستقبله القوم يلبون فلما راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان
يصدوا عن البيت فرجع الى اصحابه فقال رايت البدن قد قلدت واشعرت وما ارى ان يصدوا عن البيت فقام
مكرز بن حفص فقال دعوني آته فقالوا ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم هذا مكرز بن حفص وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينا هو يكلمه اذ جاء سهيل
بن عمرو فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد سهل لكم من امركم فقال هات اكتب بيننا وبينك كتابا فدعى بكاتب فقال
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب
فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم
قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت
ولا قاتلناك اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني رسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا
ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل على ان لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا
فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما فبينما هم كذلك اذ جاء ابو جندل بن سهيل فدخل
من اسفل مكة يرسف في قيوده حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول ما اقاضيك عليه
ان ترده فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شئ ابدا فقال النبي صلى
الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال مكرز بلى قد اجزناه قال ابو جندل
يا معشر المسلمين اردالى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما لقيت وكان قد عذب في الله عذابا شديدا قال
عمر بن الخطاب والله ما شككت منذ اسلمت الا يومئذ فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله الست
نبي الله قال بلى قال السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت علام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله
بيننا وبين اعدائنا فقال اني رسول الله وهو ناصري ولست اعصيه فقلت اولست كنت تحدثنا انا سناتي البيت
فنطوف به قال بلى اخبرتك انك تاتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت كما قلت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ورد علي كما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء وزاد فاستمسك بغرزه حتى تموت فوالله
انه لعلى الحق قال عمر فعملت لذلك اعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا
فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل واحد حتى قال ثلث مرات فلما لم يقم منهم احد قام فدخل على ام سلمة
فذكر لها ما لقي من الناس فقالت ام سلمة يا رسول الله اتحب ذلك اخرج ولا تكلم احدا كلمة حتى تنحر بدنك
وتدعو حالقك فيحلقك فقام فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما
راى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاء نسوة مومنات
فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ
امراتين كانتا له في الشرك فتزوج احداهما معاوية والاخرى صفوان بن امية ثم رجع الى المدينة وفي مرجعه

انزل الله عليه انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا
مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا فقال عمر او فتح هو يا رسول الله قال نعم فقال الصحابة يا رسول الله هنالك قد
لنا فانزل الله هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين الآية فلما رجع الى المدينة جاءه ابو بصير رجل من قريش مسلما
فارسلوا في طلبه رجلين وقالوا العهد الذي جعلت لنا قد وفيت الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا ياكلون
من تمرهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين والله اني لارى سيفك هذا جيدا فاستله الاخر فقال اجل والله انه لجيد
لقد جربت به ثم جربت فقال ابو بصير اريني انظر اليه فامكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر يعدو فاتى بلغ المدينة فدخل
المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راه لقد راى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم قال قتل
والله صاحبي واني لمقتول فجاء ابو بصير فقال يا نبي الله قد والله اوفى الله ذمتك وقد رددتني اليهم فانجاني الله منهم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل امه مسعر حرب لو كان له احد فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر
ونفلت منهم ابو جندل بن سهيل فلحق بابي بصير فلا يخرج رجل من قريش قد اسلم الا لحق بابي بصير حتى اجتمعت منهم
عصابة فوالله لا يسمعون بعير لقريش خرجت الى الشام الا اعترضوا لها فاخذوا اموالهم وقتلوهم فارسلت قريش الى النبي
صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم فمن اتاه منهم فهو آمن فانزل الله عز وجل وهو الذي كف ايديهم
عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم حتى بلغ حمية الجاهلية وحميتهم انهم لم يقروا ببسم الله
الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت قلت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا وبصق في بئر الحديبية من قرب
فجاشت بالماء كذلك قال البراء بن عازب وسلمة بن الاكوع في الصحيحين وقال مروان بن الحكم ومسور بن مخرمة غرز فيها
سهما من كنانته وفي الصحيحين الصق وفي مغازي ابي الاسود عن عروة توضا في الدلو ومضمض فاه ثم مج فيه وامر ان يصب في
البير ونزع سهما من كنانته والقاه في البير ودعا الله تعالى فغارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بايديهم منها وهم جلوس على
شفتها فجمع بين الامرين وهذا اشبه والله اعلم وفي صحيح البخاري عن جابر قال عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة توضا منها اذ حبش الناس نحوه قال ما لكم قالوا يا رسول الله ما عندنا ما نشرب
ولا ما نتوضا الا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه امثال العيون فشربوا وتوضاوا وكانوا
خمس عشرة مائة وهذه غير قصة البير وفي هذه الغزوة اصابهم ليلة مطر فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم الصبح قال
اتدرون ماذا قال ربكم الليلة قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله
ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب

فصل في جزئ الصلح

بين المسلمين واهل مكة على وضع الحرب عشر سنين وان يامن الناس
بعضهم بعضا وان يرجع عنهم عامهم ذلك حتى اذا كان العام المقبل قدمها وخلوا بينه وبين مكة فاقام بها ثلاثا

وان لا يدخلها

وان لا يدخلها الا بسلاح الراكب والسيف في القراب وان من اتانا ممن اصحابك لم نرده عليك ومن اتاك من اصحابنا رددته
علينا وان بيننا وبيتك عيبة مكفوفة وان لا اسلال ولا اغلال فقالوا يا رسول الله نعطيهم هذا فقال من اتاهم منا
فابعده الله ومن اتانا منهم فرددناه عليهم جعل الله له فرجا ومخرجا وفي قصة الحديبية انزل الله عز وجل فدية لمن
حلق راسه بالصيام او الصدقة او النسك في شان كعب بن عجرة وفيها دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمحلقين
بالمغفرة ثلاثا وللمقصرين مرة وفيها كرهوا البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة وفيها اهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في جملة هديه جملا كان لابي جهل في انفه برة من فضة يغيظ به المشركين وفيها انزلت سورة الفتح ودخلت خزاعة
في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده ودخلت بنو بكر في عهد قريش وعقدهم وكان في الشرط ان من شاء
دخل في عقده صلى الله عليه وسلم دخل ومن شاء ان يدخل في عقد قريش دخل ولما رجع الى المدينة جاء نساء مؤ
منات فيهن ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط فجاء اهلها يسالونها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشرط الذي كان
بينهم فلم يرجعها اليهم ونهاه الله عن ذلك فنسخ هذي في النساء بتخصيص المستدعى القران وقيل نسخ للشرط
وهو غريب جدا وقيل لم يقع الشرط الا على الرجال خاصة فاراد المشركون ان يعمموا في الصنفين فانزل الله تعالى ذلك

فصل في بعض ما في قصة الحديبية من الفوائد فمنها اعتماره

النبي صلى الله عليه وسلم في اشهر الحج فانه خرج اليها في ذي القعدة ومنها ان الاحرام بالعمرة من الميقات افضل كما ان الاحرام
حرام بالحج كذلك فان احرام كل منهما من ذي الحليفة وبينها وبين المدينة ميل ونحوه واما حديث من احرم بعمرة من بيت
المقدس غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وفي لفظ كانت له كفارة مما قبلها من الذنوب فحديث لا يثبت وقد اضطرب
فيه اسنادا ومتنا اضطرابا شديدا ومنها ان سوق الهدى مسنون في العمرة المفردة كما هو مسنون في القران ومنها
ان اشعار الهدي سنة لا مثلة منهي عنها ومنها استحباب مغايظة اعداء الله فان النبي صلى الله عليه وسلم اهدى في
جملة هديه جملا لابي جهل في انفه برة من فضة يغيظ به المشركين وقد قال تعالى في صفة رسوله صلى الله عليه وسلم
واصحابه ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاءه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم
الكفار وقال ذلك بانه لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا
ينالون من عدو نيلا الا كتب له به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ومنها ان امير الجيش ينفي ان يبعث العيون
امامه نحو العدو ومنها ان الاستعانة بالمشرك المامون في الجهاد جائزة عند الحاجة لان عيينة الخزاعي الذي كان
كافرا اذ ذاك وفيه من المصلحة انه اوثب الى اختلاط بالعدو واخذ اخبارهم ومنها استحباب مشورة الامام رعيته
وجيشه استخراجا لوجه الراي واستطابة لنفوسهم وتعرفا لمصلحة بعضهم دون بعض وامتثالا لامر الرب
تعالى في قوله وشاورهم في الامر وقد مدح الله عباده بقوله وامرهم شورى بينهم ومنها جواز سبي ذراري المشركين

اذا انفردوا عن رجالهم قتل مقاتلة الرجال ومنها رد الكلام الباطل ولو نسب الى غير مكلف فانهم لما قالوا اخلاءت
القصوى يعني حرنت واكتت فلم تبرح والخلاء في الابل بكسر الخاء وبالمد نظير الحران في الخيل فلما نسبوا الى الناقة
ما ليس من خلقها وطبعها رده عليهم وقال ما خلاءت وما ذاك لها بخلق ثم اخبر عن سبب بروكها وان الذي
حبس الفيل عن مكة حبسها للحكمة العظيمة التي ظهرت بسبب حبسها وما جرا بعده ومنها ان تسمية ما ليلا ليس
الرجل من مراكبه ونحو سنة ومنها جواز الحلف بل استحبابه على الخبر الذي يريد تاكيده وقد حفظ عن النبي صلى الله
عليه وسلم الحلف في اكثر من ثمانين موضعا وامر الله بالحلف على تصديق ما اخبر الله به في ثمث مواضع من القران في
سورة يونس وسبا والتغابن ومنها ان المشركين واهل البدع والفجور والبغاة والظلمة اذا طلبوا امرا يعظمون فيه
حرمة من حرمات الله اجيبوا اليه واعطوه واعينوا عليه وان منعوا غيره قتالا وقتلا على ما فيه تعظيم حرمات الله لا على
كفرهم وبغيهم ويمنعوا مما سوى ذلك وكل من التمس المعاونة على محبوب لله مرضي له اجيب الى ذلك كائنا
من كان ما لم يترتب على اعانته على ذلك المحبوب مبغوض لله اعظم منه وهذا من ادق المواضع واصعبها واشقها
على النفوس ولذلك ضاق عنه من الصحابة من ضاق وقال عمر ما قال حتى عمل له اعمالا بعده والصديق تلقاه بالرضى
والتسليم حتى كان قلبه فيه على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عمر عما سال عنه من ذلك يعني جواب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك دليل على ان الصديق افضل الصحابة واكملهم واعرفهم بالله ورسوله
واعلمهم بدينه وافهمهم مجانبة وانشدهم موافقة له ولذلك لم يسال عمر عما عرض له الا ان رسول الله صلى الله عليه و
وصديقه خاصة دون سائر اصحابه ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم عدل ذات اليمين الى الحديبية قال الشافعي
وبعضها من الحرم ودوى الامام احمد في هذه القضية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في الحرم وهو مضطرب
في الحل وفي هذا كالدلالة على ان مضاعفة الصلاة بمكة متعلق بجميع الحرم لا تختص بالمسجد الذي هو مكان الطواف
وان قوله صلاة في المسجد الحرام افضل من مائة صلاة في مسجدي كقوله تعالى فلا تقربوا المسجد الحرام وقوله سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وكان الاسرى من بيت ام هاني ومنها ان من نزل قريبا من مكة فانه ينتفي له
ان ينزل في الحل ويصلي في الحرم وكذلك كان ابن عمر يصنع ومنها جواز ابتداء الامام بطلب صلح العدو واذا راى المصلحة
للمسلمين فيه ولا يتوقف ذلك على ان يكون ابتداء الطلب منهم وفي قيام المغيرة على راس رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالسيف ولم يكن عادته ان يقام على راسه وهو قاعد سنة يقتدى بها عند قدوم رسل العدو من اظهار
العز والفخر والتعظيم للامام وطاعته ووقايته بالنفوس وهذه هي العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين
على الكافرين وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين وليس هذا من هذا النوع الذي ذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله من احب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوء مقعده من النار كما ان الخيلاء والتجبر في الحرب ليس من هذا النوع المذموم

وغيره

وغيره وفي بعث البدن في وجه الرسول للاخر دليل على استحباب اظهار شعائر الاسلام لرسل الكفار وفي قول النبي صلى الله
للمغيرة اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شيء دليل على ان مال المشرك المعاهد معصوم وانه لا يملك بل يرد عليه
فان المغيرة كان قد صحبهم على الامان ثم غدر بهم واخذ اموالهم فلم يتعرض النبي صلى الله عليه وسلم لاموالهم ولا ذب عنها
ولا ضمنها لهم لان ذلك كان قبل اسلام المغيرة وفي قول الصديق لعروة امصص بظر اللات دليل على جواز التصريح باسم
العورة اذا كان فيه مصلحة تقتضيها ذلك الحال كما اذن النبي صلى الله عليه وسلم ان يصرح لمن ادعى دعوى الجاهلية لجش ابيه
فقال اعضض ابر ابيك ولا تكنى له فلكل مقام مقال ومنها احتمال قلة ادب رسل الكفار وجهلهم وجفوتهم ولا يقابل على
ذلك لما فيه من المصلحة العامة ولم يقابل النبي صلى الله عليه وسلم عروة على اخذه بلحيته وقت خطابه وان كانت تلك
عادة العرب ولكن الوقار والتعظيم خلاف ذلك ولذلك لم يقابل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا مسيلمة حين
قالا نشهد انه رسول الله وقال لولا ان الرسل لا تقتل لقتلتكما ومنها طهارة النخامة سواء كانت من راس او صدر
ومنها طهارة الماء المستعمل ومنها استحباب التفاؤل وان لم يسر من الطيرة المكروهة لقوله لما جاء سهيل سهل امركم ومنها
ان المشهود عليه اذا عرف اسمه واسم ابيه اغنى ذلك عن ذكر الجد لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد على محمد بن عبد الله
وقنع من سهيل باسمه واسم ابيه خاصة واشتراط ذكر الجد لا اصل له ولما اشترى العدي بن خالد منه صلى الله عليه وسلم
الغلام فكتب له هذا ما اشترى العدي بن خالد بن هوذة فذكر جده وهو زيادة بيان تدل على انه جائز لا باس به ولا يدل
على اشتراطه ولما لم يكن في الشهرة بحيث يكتفى باسمه واسم ابيه ذكر جده فشرط ذكر الجد عن الاشتراك في الاسم
واسم الاب وعند عدم الاشتراك الاكتفاء بالاسم واسم الاب والله اعلم ومنها ان مصالحة المشركين بعض ما فيه
ضيم على المسلمين جائز للمصلحة الراجحة ودفع ما هو شر منه وفيه دفع اعلا المفسدتين باحتمال ادناهما ومنها ان
من حلف على فعل شيء او تدين او وعد غيره به ولم يعين وقتا لا بلفظه ولا بنيته لم يكن على الفور بل على التراخي ومنها ان
الحلق نسك وانه افضل من التقصير وانه نسك في العمرة كما هو نسك في الحج وانه نسك في عمرة المحصور كما هو نسك في عمرة غيره ومنها ان
المحصر يتحلل به حيث احصر من الحل والحرم وانه لا يجب عليه ان يواعد من يجيء في الحرم اذا لم يصل اليه وانه لم يتحلل
يجب عليه حتى يصل الى محله بدليل قوله تعالى والهدي معكوفا ان يبلغ محله ومنها ان الموضع الذي كحرفية الهدي
كان من الحل لا من الحرم لان الحرم كله محل الهدي ومنها ان المحصر لا يجب عليه القضاء لانه صلى الله عليه وسلم امرهم
بالحلق والنحر ولم يامر احدا منهم بالقضاء والعمرة من العام القابل لم تكن واجبة ولا قضاء عن عمرة الاحصار فانهم كانوا
في عمرة الاحصار الفا واربعمائة وكانوا في عمرة القضية دون ذلك وانما سميت عمرة القضية لانها العمرة التي قاضاهم
عليها فاضيفت العمرة الى مصدر فعله ومنها ان الاسم المطلق على الفور والا لم يعتب لتاخيرهم الامتثال عن
وقت الامر وقد اعتذر عن تاخيرهم الامتثال بانهم كانوا يرجون الفتح فاحرموا منا ولين لذلك وهذا هو الاعتذار

اولان يعتذر عنه وهو باطل فانه صلى الله عليه وسلم لو فهم ذلك منهم لم يشتد غضبه لتاخير امره ويقول ما لي
لا اغضب وانا امر بالامر فلا يقع وانما كان تاخيرهم من السعي المغفور لا المشكور وقد رضي الله عنهم وغفرلهم واوجب لهم
الجنة ومنها ان الاصل مشاركة المرء في الاحكام الا ما خصه الدليل ولذلك قال تم سلمة اخرج ولا تكلم احدا حتى تخلق راسك
وتنحر هديك وعلمت ان الناس سيأتمون فان قيل فكيف فعلوا ذلك افتداء بفعله ولم يمتثلوا حين امرهم به قيل
هذا هو السبب الذي لاجله ظن من ظن انهم احوجوا الامتثال طمعا في الفتح فلما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك علموا حينئذ
ان حكم مستقر غير منسوخ وقد تقدم مناد هذا الظن ولكن لم تغيظ عليهم وخرج ولم يكلمهم وراوا انه قد بادر
الى الامتثال بما امر به ربه وانه لم يؤخر كنا خيرهم وان ابتاعهم لهم وطاعتهم توجب افتداءهم به بادروا
الى الافتداء به وامتثال امره ومنها جواز صلح الكفار على رد من جاء منهم الى المسلمين وان لا يرد من ذهب من المسلمين اليهم
هذا في غير النساء واما في النساء فلا يجوز اشتراط ردهن الى الكفار وهذا موضع التسخ خاصة في هذا العقد بنص القرآن
فلا سبيل الى دعوى النسخ في غيره بغير موجب ومنها ان خروج البضع من ملك الزوج منقوم ولذلك اوجب الله
سبحانه رد المهر على من هاجرت امرأته وحيل بينه وبينها وعلى من ارتدت امرأته من المسلمين اذا استحق الكفار
عليهم رد مهر من هاجر اليهم من ازواجهم واخبرهم ان ذلك حكمه الذي حكم به بينهم ثم لم ينسخ شيء وفي ايجابه
رد ما اعطى الازواج من ذلك دليل على تقويمه بالمسمى لا بمهر المثل ومنها ان شرط رد من جاء من الكفار الى الامام
لا يتناول من خرج منهم مسلما الى غير بلد الامام لا يجب عليه رده بدون الطلب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد
ابا بصير حتى جاءوا وكاد يكرهه على الرجوع ولكن لما جاءوا في طلبه مكنهم من اخذه ولم يكرهه على الرجوع ومنها ان المعاهدين
هدنة اذا سلموه وتمكنوا منه فقتل احد منهم لم يضمنه بدية ولا قود ولم يضمنه الامام بل يكون حكمه في ذلك حكم
قتله لهم في ديارهم حيث لا حكم للامام عليهم فان ابا بصير قتل احد الرجلين المعاهدين بذي الحليفة وهي من
حكم المدينة ولكن قد تسلموه وفصل عن يد الامام وحكمه ومنها ان المعاهدين اذا عاهدوا الامام فخرجت منهم
طائفة فحاربتهم وغنمت اموالهم ولم يتحيزوا الى الامام لم يجب على الامام دفعهم عنهم ومنعهم منهم وسواء دخلوا
في عقد الامام وعهده وذمته او لم يدخلوا في العهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ولم يكن
بين ابي بصير واصحابه وبينهم وعلى هذا فاذا كان بين بعض ملوك المسلمين وبين بعض اهل الذمة من النصارى
وغيرهم عهد جاز لملك اخر من ملوك المسلمين ان يغزوهم ويغنم اموالهم اذا لم يكن بينهم وبينه عهد كما
افتى به شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه في نصارى مليطة وسيبهم مستندا لقصة ابي بصير مع
المشركين **فصل في الاشارة الى بعض الحكم التي تضمنتها هذه الهدنة**
وهي اكثر واجل من ان يحيط بها الا الله الذي حكم اسبابها فوقعت الغاية على الوجه الذي اقتضته حكمته وحمده

فمنها

فمنها انها كانت مقدمة بين يدي الفتح الاعظم الذي اعز الله به رسوله وجنده ودخل الناس به في دين الله سبحانه
افواجا فكانت هذه الهدنة بابا له ومفتاحا ومؤذنا بين يديه وهذه عادة الله سبحانه في الامور العظام الذي
يقتضيها قدرا وشرعا ان توطئ لها بين يديها مقدمات وتوطئات تؤذن بها وتدل عليها ومنها ان هذه الهدنة
كانت من اعظم الفتوح فان الناس امن بعضهم بعضا واختلط المسلمون بالكفار وتمازجوا وسمعوهم
القرآن وناظروهم على الاسلام جهرة آمنين فظهر من كان مختفيا بالاسلام ودخل فيه في هذه الهدنة من شاء الله
ان يدخل ولهذا سماه الله فتحا مبينا قال ابن قتيبة قضينا لك قضاء عظيما وقال مجاهد هو ما قضى الله له
بالحديبية وحقيقة الامر في اللغة فتح الغلق والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدودا مغلقا
حتى فتحه الله وكان من اسباب فتح صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت وكان في الصورة الظاهرة ضيما
وهضما للمسلمين وفي الباطن عز ونصرا وفتحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى ما وراء ذلك الفتح العظيم
والعز والنصر من وراء ستر رقيق وكان يعطي المشركين كل ما سالوه من الشروط التي لم يحتملها اكثر اصحابه ورؤسهم
وهو صلى الله عليه وسلم يعلم ما في ضمن هذا المكروه من محبوب وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وربما كان مكروه
النفوس الى محبوبها سببا ما مثله سبيل وكان يدخل على تلك الشروط دخول واثق بنصر الله وتاييده وان العاقبة
له وان تلك الشروط واحتمالها هو عين النصرة وهي من اكبر الجند التي قامر المشرطوت ونصبوا كرههم وهم لا يشعرون
فلو امن حيث طلبوا العز وقهروا من حيث اظهروا القدرة والفخر والغلبة وعز رسول الله صلى الله عليه وسلم وعساكر
الاسلام من حيث انكسروا لله واحتملوا الضيم له وفيه وذاروا الدوس وانعكس الامر وانقلب العز بالباطل ذلا بحق وانقلبت
الكسرة لله عن اباة الله وظهرت حكمة الله وايابه وتصديق وعده ونصر رسوله على انم الوجوه واكملها التي لا افراح للعقول
وراءها ومنها ما سببه الله للمؤمنين من زيادة الايمان والاذعان والانقياد على ما احبوا وكرهوا وما جعل لهم
في ذلك من الرضا بقضاء الله والتصديق بموعوده وانتظار ما وعد به وشهود منة الله عليهم ونعمته بالسكينة
التي انزلها في قلوبهم احوج ما كانوا عليها في تلك الحال التي نزعت لها الاجبال فانزل الله عليهم من سكينته ما اطمانت
به قلوبهم وقويت به نفوسهم واذعنوا به ايمانا ومنها انه سبحانه جعل هذا الحكم الذي حكم به لرسوله وللمؤمنين
سببا لما ذكره من المغفرة لرسوله ما تقدم من ذنبه وما تاخر ولاتمام نعمته عليه ولهدايته الى الصراط المستقيم
ولنصره النصر العزيز ومضاه به ودخول تحته وانشراح صدره به مع ما فيه من الضيم واعطاء ما سالوه كان من
الاسباب التي نال بها الرسول واصحابه ذلك ولهذا ذكر سبحانه جزاء وغاية وانما يكون ذلك على يد قام بالرسول
وبالمؤمنين عند حكمة الله تعالى وفخره وتامل كيف وصف سبحانه النصر بانه عزيز في هذا الموطن ثم انزل الله السكينة
في قلوب المؤمنين في هذا الموطن الذي اضطربت فيه القلوب وقلقت اشد القلق فهي احوج ما كانت الى السكينة فاذا

www.alabdulgader.com

بها ايمانا الى ايمانهم ثم ذكر سبحانه بيعتهم لرسوله تحت الشجرة واكد هنا بكونها بيعة لله سبحانه وان يد الله تعالى كانت فوق ايديهم
اذ كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك وهو رسوله وبيعته فالعقد معه عقد مع ربه وبيعته بيعة من بايعه
فكما ان بايع الله ويد الله فوق يده واذا كان الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صافحه وقبله فكما نما صافح الله وقبل يمينه
فيد رسوله اولى بهذا من الحجر الاسود ثم اخبر ان ناكث هذه البيعة انما يعود نكثه على نفسه وان الموفي بها له فيؤتيه اجرا عظيما
وكان مؤمن فقد بايع الله على لسان رسوله بيعة على الايمان وحقوقه فناكث وموف ثم ذكر حال من تخلف من الاعراب وظنهم
اسوء الظن ان يخذل رسوله واوليائه وجنده ويظفر عدوهم بهم فلن ينقلبوا الى اهليهم وذلك من جهلهم بالله واسمائه
وصفاته وما يليق به وجهلهم برسوله وما هو اهل ان يعامله به ربه ومولاه ثم اخبر سبحانه عن رضاه عن المؤمنين
بذلهم نفوسهم تحت البيعة لرسوله والله سبحانه علم ما في حينئذ من الصدق والوفاء وكمال الانقياد والطاعة واثابهم الله ورسوله
على ما سولاه فانزل الله السكينة والطمانينة والرضا في قلوبهم واثابهم على الرضا بحكمه والصبر على امره فتحا قريبا ومغانم
كثيرة ياخذونها وكان اول الفتح والمغانم فتح خيبر ومغانمها ثم استمرت الفتوح والمغانم الى انقضاء الدهر ووعدهم
سبحانه مغانم كثيرة ياخذونها واخبرهم انه عجل لهم هذه الغنيمة وفيها قوة لكان احدها انه الصلح الذي جرى بينهم وبين
عدوهم والثاني الفتح خيبر وغنائمها ثم لو كف ايدي الناس عنكم فقتل ايدي اهل مكة ان يقاتلوهم وقتل ايدي
اليهود حين هموا بان يقاتلوا من بالمدينة بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من الصحابة منها وقيل
هم اهل خيبر وحلفاءهم الذين ارادوا نصرهم من اسد وغطفان والصحيح تناول الاية للجميع وقوله وليكون اية
للمؤمنين قيل هذه الفعلة التي فعلها بكم وهي كف ايدي اعدائكم عنكم مع كثرتهم فانتم حينئذ كان اهل مكة ومن
حولها واهل خيبر ومن حولها واسد وغطفان وجمهور قبائل العرب اعداء لهم وهم بينهم كالشامة لكثرتهم
ومن ايات الله سبحانه كف ايدي اعدائهم عنهم فلم يصلوا اليهم بسوء مع كثرتهم وشدة عداوتهم وقوله ويهديكم صراطا مستقيما
وحفظهم في مشهدهم ومغيبهم وقيل هي فتح خيبر جعلها اية لعباده المؤمنين وعلامة على ما بعدها من الفتوح
فان الله وعدهم مغانم كثيرة وفتوحا عظيمة فعجل لهم فتح خيبر وجعلها اية لما بعدها وجبر الصبرهم ورضاهم
يوم الحديبية وشكرانا ولهذي حصولها وبعثائها من مشهد الحديبية ثم قال ولهديكم صراطا مستقيما فجمع
لهم الى النصر والظفر والغنائم والهداية فجعلهم مهديين منصورين غانمين ثم وعدهم مغانم كثيرة وفتوحا اخرى
لم يكونوا ذلك الوقت قادرين عليها فقيل هي مكة وقيل فارس والروم وقيل الفتوح الذي بعد خيبر من مشارق
الارض ومغاربها ثم اخبر سبحانه ان الكفار لو قاتلوا اولياءه لولوا الكفار الادبار غير منصورين وان هذه سنته
في عباده فلهم ولا تبديل لسنته فان قيل فقد قاتلوهم يوم احد وانتصروا عليهم ولم يولوا الادبار قيل هذا
وعد معلق بشرط مذكور في غير هذا الموضع وهو الصبر والتقوى وقد ان هذا الشرط يوم احد بفشلهم المنافي للصبر

وتنازعهم وعصيانهم المنافي للتقوى فصرفهم عن وعدهم ولم يحصل الوعد لانتفاء شرطه ثم ذكر سبحانه انه هو
الذي كف ايدي بعضهم عن بعض من بعد ان اظفر المؤمنين بهم لما له في ذلك من الحكم البالغة التي منها انه كان فيهم
رجال ونساء قد امنوا وهم يكتمون ايمانهم ولم يعلم بهم المسلمون فلو سلطكم الله عليهم لاصبتم اولئك بمعرة
وكان تصيبكم منهم معرة العدو فان الايقاع بمن لا يستحق الايقاع به وذكر سبحانه انه صد في رسوله رؤياه في دخولهم المسجد
الحرام امنين وانه سيكون ولابد ولكن لم يكن وقت ذلك في هذا العام وانه سبحانه علم من مصلحة تاخيره الى
وقته ما لم تعلموا انتم فانكم احببتم استعجال ذلك والرب تعالى يعلم من مصلحة التاخير وحكمته ما لم تعلموا
فقدم بين يدي ذلك فتحا مبينا قريبا لوطنه له وتمهيدا ثم اخبرهم بانه هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله فقد تكفل الله لهذا الامر بالتمام والاظهار على جميع اديان اهل الارض
ففي هذا تقوية لقلوبهم وتثبيتا لهم وان يكونوا على ثقة من هذا الوعد الذي لابد ان يتحقق فلا يظنوا
المواقع من الاغماض والغمر يوم الحديبية نصرة لعدوه وتخليا عن رسوله ودينه كيف وقد ارسله بالهدى
ودين الحق ووعده ان يظهره على كل دين سواه ثم ذكر سبحانه رسوله وحزبه الذين اختارهم له ومدحهم
باحسن المدح وذكر صفاتهم في التوراة والانجيل وكان في هذا اعظم البراهين على صدق من جاء بالقرآن
والانجيل والقرآن وان هؤلاء هم المذكورون في الكتب المتقدمة بهذه الصفات المشهورة فيهم

لاكما يقول الكفار عنهم انهم مغلبون طالبوا ملك ودنيا ولهذا لما راءهم نصارى الشام وشاهدوا حالهم
وسيرتهم وعدلهم وحلمهم ورحمتهم وزهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة قالوا اما الذين صحبوا المسيح بافضل
من هؤلاء وكان هؤلاء النصارى اعرف بالصحابة وفضلهم من الرافضة اعداهم والرافضة تضفهم بضد
ما وصفهم الله به في هذه الاية وغيرها ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ۞ ۞

فصل في غزوة خيبر

قال موسى بن عقبة ولما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة او قريبا منها ثم خرج منها غازيا
خيبر وكان الله عز وجل وعده اياها وهو بالحديبية وقال مالك كان فتح خيبر في السنة السادسة
والجمهور على انها في السنة السابعة وقطع ابو احمد بن حزم بانها كانت في السادسة بلا شك ولعل التاريخ
هل هو شهر ربيع الاول شهر مقدمه المدينة او من المحرم في اول السنة وللناس في هذا طريقان فالجمهور على
ان التاريخ وقع من المحرم وابو احمد بن حزم يرى انه من شهر ربيع الاول حين قدم وكان اول من ارخ بالهجرة يعلى
بن امية باليمن كذا رواه الامام احمد عنه باسناد صحيح وقيل عمر بن الخطاب سنة عشر من الهجرة وقال ابن اسحق حدثني
الزهري عن عروة عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة حدثاه جميعا قالا لما انصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم عام الحديبية فرأيت سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة فيها خيبر وعدكم الله مغانم كثيرة
تأخذونها فعجل لكم هذه خيبر فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ذي الحجة فاقام بها حتى سار
الى خيبر في المحرم فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجيع واد بين خيبر وغطفان فتخوف ان تمدهم
غطفان فبات به حتى اصبح فغدا اليهم انتهى واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة وقدم ابو هريرة حين قدم المدينة
فوافق سباع بن عرفطة في صلاة الصبح فصعد يقنت في الركعة الاولى كهيعص وفي الثانية ويل للمطففين
فقال في صلاته ويل لابي فلان له مكيالان اذا اكتال اكتال بالوافي واذا كال كال بالناقص فلما فرغ
من صلاته اتى سباعا فزوده حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم المسلمون فاشركوه في
اصحابه في سهامهم وقال سلمة بن الاكوع خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فسرنا ليلة
فقال رجل من القوم لعامر بن الاكوع الا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم
ويقول ۞ اللهم لولا انت ما اهتدينا ۞ ولا تصدقنا ولا صلينا ۞ فاغفر فداء لك ما اتقينا ۞
۞ وثبت الاقدام ان لاقينا ۞ وانزلن سكينة علينا ۞ انا اذا صيح بنا ابينا ۞ ۞
۞ وبالصياح عولوا علينا ۞ وان ارادوا فتنة ابينا ۞ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من هذا السائق قالوا عامر قال يرحمه الله فقال رجل من القوم وجبت يا رسول الله الا امتعتنا به

قوله فداء لك اقول هذه الكلمة لا تناسب اطلاقها على الباقي والمناسق بالفاء فان قيل المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم قلنا هذا لا يطابق قوله فاغفر فان ثبت الاقدام وقوله وانزلن سكينة الخ والذي يظهر ان المراد بجمع زيادة المحدثين سبعا والاجلال فتبين صحة ما قلناه والله اعلم

قالوا

قالوا فاتينا خيبر فحاصرناهم حتى اصابتنا مخمصة شديدة ثم ان الله تعالى فتحها عليهم فلما امسوا اوقدوا
نيرانا كثيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذه النيران على اي شيء توقدون قالوا على لحم قال على
اي لحم قالوا لحم انسية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهريقوها واكسروها فقال رجل من القوم
او نهريقها ونغسلها قال او ذاك فلما تصاف القوم خرج مرحب يخطر بسيفه وهو يقول ۞ ۞

۞ قد علمت خيبر اني مرحب ۞ شاكي السلاح بطل مجرب ۞ اذا الحروب اقبلت تلتهب ۞ ۞
۞ فنزل اليه عامر وهو يقول ۞ قد علمت خيبر اني عامر ۞ شاكي السلاح بطل مغامر ۞ ۞

فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر فذهب عامر يسفل له وكان سيف عامر فيه قصر فرجع عليه
ذباب سيفه فاصاب عين ركبته فمات منه فقال سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم زعموا ان عامرا حبط عمله
فقال كذب من قاله اجران وجمع بين اصبعيه انه لجاهد مجاهد قل عربي مشى بها مثله

فصل

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر صلى بها الصبح فركب وركب المسلمون فخرج اهل خيبر بمساحيهم ومكاتلهم ولا يشعرون فلما رأوا الجيش قالوا محمد والله محمد والخميس ثم رجعوا
هاربين الى مدينتهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا
بساحة قوم فساء صباح المنذرين ولما دنى النبي صلى الله عليه وسلم منها واشرف عليها قال قفوا فقوا
فقف الجيش فقال اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين
وما اضللن فانا نسئلك خير هذه القرية وخير اهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية و
شر اهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله ولما كان ليلة الدخول قال لاعطين هذه الراية رجلا يحب الله
ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات الناس يتذاكرون ايهم يعطاها فلما اصبح الناس
غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو ان يعطاها فقال اين علي بن ابي طالب فقالوا يا رسول
الله هو يشتكي عينيه فقال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا
له فبرا كان لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال انفذ على
رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لان
يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم فخرج مرحب وهو يقول ۞ ۞

۞ انا الذي سمتني امي مرحب ۞ شاكي السلاح بطل مجرب ۞ اذا الحروب اقبلت تلتهب ۞ ۞
فبرز اليه علي بن ابي طالب وهو يقول ۞ انا الذي سمتني امي حيدره ۞ كليث غابات كريه المنظره ۞ ۞
۞ اوفيهم بالصاع كيل السندره ۞ فضرب مرحبا فقلق هامته وكان الفتح ولما دنى علي رضي الله عنه من حصونهم

اطلع يهودي من راس الحصن فقال من انت قال علي بن ابي طالب قال علوتم وما انزل على موسى هكذا في
صحيح مسلم ان علي بن ابي طالب هو الذي قتل مرحبا وقال موسى بن عقبة عن الزهري وابو الاسود وعن عروة
ويونس بن بكير عن بن اسحق حدثني عبد الله بن سعيد حدثني حارثة بن جابر بن عبد الله ان محمد بن مسلمة
هو الذي قتله قال جابر في حديثه خرج مرحب اليهودي من حصن خيبر قد جمع سلاحه وهو يرتجز و
يقول من يبارز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا قال محمد بن مسلمة انا له يا رسول الله انا
والله الموتور الثائر قتلوا اخي بالامس يعني محمود بن مسلمة وكان قتل بخيبر فقال قم اليه اللهم اعنه عليه
فلما دنى احدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة فجعل كل منهما يلوذ عن صاحبه بها كلما لاذ بها احدهما
اقتطع بسيفه ما دونه حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما يتهافتن
ثم حمل على محمد فضربه فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت به وضربه محمد بن مسلمة فقتله وكذ
لك قال سلمة بن سلامة ومجمع بن حارثة ان محمد بن مسلمة قتل مرحبا قال الواقدي وقيل ان محمد
بن مسلمة ضرب ساقي مرحبا فقطعهما فقال مرحبا اجهز علي يا محمد قال محمد ذق الموت كما ذقت اخي محمود
وجاوزه ومر به علي فضرب عنقه فاخذ سلبه فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سلبه فقال
محمد يا رسول الله ما قطعت رجليه وتوليه الا الليذ وقد الموت وكنت قادرا على ان اجهز عليه فقال علي
انا ضربت عنقه بعد ان قطع رجليه فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة سيفه ودرعه
ومغفره وبيضته وكان عند ال محمد بن مسلمة سيفه فيه كتابة لا يدري ما فيه حتى قرأه يهودي فاذا
فيه هذا سيف مرحب من يذق يعطب ثم خرج ياسر فبرز اليه الزبير فقالت امه صفية يا رسول
الله يقتل ابني فقال بل ابنك يقتله ان شاء الله فقتله الزبير قال موسى بن عقبة ثم دخل اليهود حصنا
لهم منيعا يقال له الغموص فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبا من عشرين ليلة وكانت
ارضا وخمة شديدة الحر مجهد المسلمون جهدا شديدا قد نجوا الحمر فيها هم النبي صلى الله عليه وسلم
وجاء عبد اسود حبشي من اهل خيبر كان في غنم لسيده فلما رأى اهل خيبر اخذوا السلاح سألهم
ما يريدون قالوا نريد نقاتل هذا الذي يزعم انه نبي فوقع في نفسه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل بغنمه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماذا تقول وماذا تدعو اليه قال ادعو الى الاسلام وان تشهد
ان لا اله الا الله واني رسول الله وان لا تعبد الا الله فقال العبد فما لي ان انا شهدت بما امنت بالله عز وجل
قال لك الجنة ان مت على ذلك فاسلم ثم قال يا نبي الله ان هذه الغنم عندي امانة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم احزجها من عندك وارمها بالحصبا فان الله سيودي عنك امانتك ففعل

فرجعت الغنم الى سيدها فعلم اليهودي ان غلامه قد اسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس
فحضهم وحضهم على الجهاد فلما التقى المسلمون واليهود قتل العبد الاسود فيمن قتل فاحتمله المسلمون
الى عسكرهم فادخل في الفسطاط فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع في الفسطاط ثم اقبل على
اصحابه فقال لقد اكرم الله هذا العبد وساق الى خير ولقد رأيت عند راسه اثنتين من الحور العين
ولم يصل لله سجدة قط وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال
يا رسول الله اني رجل اسود اللون قبيح الوجه منتن الريح لا مال لي فان قاتلت هؤلاء حتى اقتل ادخل الجنة
قال نعم فتقدم فقاتل حتى قتل فاتى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقتول فقال لقد احسن الله خلقك
وطيب ريحك واكثر مالك ثم قال لقد رأيت زوجتيه من الحور العين تنزعان جبته عند رجليه تخلان يديها
فيما بين جلده وجبته وقال شداد بن الهاد جاء رجل من العرب الى النبي صلى الله عليه وسلم فامن به واتبعه
فقال اهاجر معك فاوصى به بعض اصحابه فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبيا فقسم لاصحابه وقسم للاعرابي فاعطى اصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه
اليه فقال ما هذا قالوا قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ما هذا يا رسول الله قال قسم قسمته لك قال ما على هذا اتبعتك على ان ارماه ههنا واشار
الى حلقه بسهم فاموت فادخل الجنة قال ان تصدق الله يصدقك ثم نهض الى قتال العدو فاتي به
النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقتول فقال هو هو قالوا نعم قال صدق الله فصدقه فكفنه النبي
صلى الله عليه وسلم في جبته ثم قدم فصلى عليه اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل
شهيدا وانا عليه شهيدا قال الواقدي وتحولت اليهود الى قلعة الزبير حصن منيع في راس قلعة
فاقام عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام فجاء رجل من اليهود فقال له عراك فقال يا ابا
القاسم انك لو اقمت شهرا ما بالوا ان لهم شربا وعيونا تحت الارض يخرجون بالليل فيشربون
منها ثم يرجعون الى قلعتهم فيمتنعون منك فان قطعت مشربهم عليهم اضجروهم ذلك فسار رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى مائهم فقطعه عليهم فلما قطعه عليهم خرجوا فقاتلوا اشد القتال فقتل
من المسلمين نفر واصيب من اليهود نحو العشرة وافتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكتيبة والوطيح والسلالم حصن بن ابي الحقيق فتحصن اهله
اشد التحصن وجاءهم كل من كان الهزم من النطاة والشق فان حيي كانت جانبين الاول
النطاة والشق وهو الذي افتتح اولا والجانب الثاني الكتيبة والوطيح والسلالم فجعلوا لا يخرجون

ن حصونهم حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينصب عليهم المنجنيق فلما ايقنوا بالهلكة وقد حصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة عشر يوما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فارسل بن ابى الحقيق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل فاكلمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فنزل بن ابى الحقيق فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقن دمائهم في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وارضها بذراريهم ويخلون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ما كان لهم من مال وعرض وعلى الصفرا والبيضا والكراع والحلقة الا ثوبا على ظهر انسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله ان كتمتوني شيئا فضاكوه على ذلك قال حماد بن سلمة اخبرنا عبد الله بن عمر عن نافع عن بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اهل خيبر حتى الجاهم الى قصرهم فغلب على الزرع والارض والنخل فصالحوه على ان يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفرا والبيضا واشترط عليهم ان لا يكتموا ولا يغيبوا شيئا فان فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا مسكا فيه مال وحلي لحيي بن اخطب كان احتمله معه الى خيبر حين اجليت النظير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعم حيي ما فعل مسك حيي الذي جاء به من بني النظير قال اذهبته النفقات والحروب قال العهد قريب والمال اكثر من ذلك فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير فمسه بعذاب وقد كان قبل ذلك دخل خربة فقال قد رايت حيي يطوف في خربة ههنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابني ابى الحقيق واحدهما زوج صفية بنت حيي بن اخطب وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءهم وذراريهم وقسم اموالهم بالنكث الذي نكثوا واراد ان يجليهم منها فقالوا يا محمد دعنا نكون في هذه الارض نصلحها ونقوم عليها فنحن اعلم بها منكم ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لاصحابه غلمان يقومون عليها وكانوا لا يفرغون يقومون عليها فاعطاهم خيبر على ان لهم الشطر من كل زرع وكل ثمر ما بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقرهم وكان عبد الله بن رواحة يخرص عليهم كما تقدم ولم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الصلح الا ابن ابى الحقيق للنكث الذي نكثوا الا انهم شرطوا ان كتموا او غيبوا فقد برئت منهم ذمة الله وذمة رسوله فغيبوه فقال لهم اين المال الذي جئتم به من المدينة حين اجليتكم قالوا اذهبته النفقات وحلفوا على ذلك فاعترف بن عم كنانة عليهما بالمال حتى دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير فعذبه فدفع عليه فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانة الى محمد بن مسلمة فقتله ويقال ان كنانة هو الذي قتل اخاه محمود بن مسلمة وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن اخطب

وكانت

وكانت صفية تحت كنانة بن ابى الحقيق وكانت عروسا حديثة عهد بالدخول فامر بلالا ان يذهب بها الى رحله فمر بها بلال وسط القتلى فلما رآها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اذهبت الرحمة منك يا بلال وعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام فاسلمت فاصطفاها لنفسه واعتقها وجعل عتقها صداقها وبنى بها في الطريق واولم عليها وراى بوجهها خضرة فقال ما هذا قالت يا رسول الله رايت قبل قدومك علينا كان القمر ساقط في حجري ولا والله ما اذكر من شانك شيئا فقصصتها على زوجي فلطم وجهي وقال تتمنين هذا الملك الذي بالمدينة وشك الصحابة هل اخذها سريتا او زوجة فقالوا انظروا فاما احد نسائه والا فهي مما ملكت يمينه فلما ركب جعل ثوبه الذي ارتدابه على ظهرها ووجهها ثم شد طرفه تحته فناخ راحلته في المسير وعلوا انها احدى نسائه ولما قدم فخذه ليحملها على الرحل اجلته ان تضع قدمها على فخذه فوضعت ركبتها على فخذه ثم ركبت ولما بنى بها بات ابو ايوب ليلته قايما مرتقبه اخذ بقايم السيف حتى اصبح فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر ابو ايوب حين رآه وقد خرج فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا ابا ايوب قال لم ازل قد ليلتي هذه يا رسول الله لما دخلت بهذه المراة ذكرت انك قتلت اباها واخاها وزوجها وعامة عشيرتها فخفت ان تغتالك ففحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له معروفا

فصل

وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر على ستة وثلاثين سهما كل مئة سهم فكانت ثلاثة الاف سهم وستمائة سهم وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين النصف من ذلك وهو الف وثمانمائة سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم لاحد المسلمين وعزل النصف الاخر وهو الف وثمانمائة لنوائبه وما ينزل به من امور المسلمين قال البيهقي وهذا ان خيبر فتح شطرها عنوة وشطرها صلحا فقسم ما فتح عنوة بين اهل الخمس والغانمين وعزل ما فتح صلحا لنوائبه وما يحتاج اليه في امور المسلمين قلت وهذا بناء على اصل الشافعي رض انه يجب قسم الارض المفتتحة عنوة كما يقسم سايرالغنايم فلما لم يجد قسم النصف من خيبر قال انه فتح صلحا ومن تامل السير والمغازي حق التامل يتبين له ان خيبر انما فتحت عنوة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم استولى على ارضها كلها بالسيف عنوة ولو فتح شيئا منها صلحا لم يجليهم منها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما عزم على اخراجهم منها قالوا نحن اعلم بالارض منكم دعونا نكون فيها ونقرها لكم بشطر ما يخرج منها وهذا صريح جدا في انها انما فتحت عنوة وقد حصل بين المسلمين بها واليهود من الحرب والمبارزة والقتال من الفريقين ما هو معلوم ولكن لما الجئوا الى حصنهم نزلوا على الصلح الذي يذلوه ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفرا والبيضا والحلقة والكراع والسلاح ولهم رقابهم وذريتهم ويجلوا من الارض فهذا كان الصلح ولم يقع بينهم صلح ان شيئا من ارض خيبر لليهود ولا جرى ذلك البتة ولو كان كذلك لم يقل نقركم ما شئنا فكيف يقرهم في ارض ما شاء ولا كان عمر اجلاهم كلهم من الارض ولم يصالحهم على ان الارض للمسلمين وعلى الارض خراج يوخذ منهم هذا لم يقع فانه لم يضرب على خيبر خراجا البتة فالصواب الذي لا شك فيه انها فتحت عنوة والامام مخير في ارض العنوة بين قسمتها ووقفها وقسم بعضها ووقف البعض وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الانواع الثلثة فقسم قريضة والنظير ولم يقسم مكة وقسم شطر خيبر وترك شطرها وقد تقدم كون مكة فتحت عنوة عالا مدفع

له وانما قسمت على الف وثمانمائة سهم لانها كانت طعمة لله ولاهل الحديبية من شهد منهم ومن غاب وكانوا الفا واربعمائة وكان معهم
مائتا فرس لكل فرس سهمان وقسمت على الف وثمانمائة ولم يغب عن خيبر من اهل الحديبية الا جابر بن عبد الله فضرب لرسول الله صلى
عليه وسلم كسهم فرسه وقسم للفارس ثلثة اسهم وللراجل سهما وكانوا الفا واربعمائة وفيهم مائتا فرس هذا هو الصحيح الذى
لا ريب فيه وروى عبد الله الهرى عن نافع عن ابن عمر انه اعطى الفارس ثلثة اسهم والراجل سهما قال وليس شك لاحد من اهل العلم
فى تقدمة عبيد الله بن عمر على اخيه فى الحفظ وقد اخبرنا الثقة فراصحابنا عن اسحق الازرق الواسطى عن عبيد الله بن عمر عن نافع
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب للفرس سهمين وللفارس سهما ثم روى من حديث ابى معاوية عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم للفارس ثلثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه وهو فى الصحيحين وكذلك رواه الثورى
وابو اسامة عن عبيد الله قال الشافعى وروى عن مجمع بن حارثة ان النبى صلى الله عليه وسلم قسم سهام خيبر على ثمانية عشر سهما
وكان الجيش الفا وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس فاعطى الفارس سهمين والراجل سهما قال الشافعى ومجمع بن يعقوب يعنى راوى
هذا الحديث عن ابيه عن محمد عبد الرحمن بن يزيد عن عمه مجمع بن حارثة شيخ لا يعرف فاخذنا فى ذلك الحديث عبيد الله ولم نرله
مثل خبر ليعارضه ولا يجوز رد خبر الا بخبر مثله قال البيهقى والذى رواه مجمع بن يعقوب باسناده فى عدد الجيش وعدد الفر
سان قد خولف فيه ففى رواية جابر واهل المغازى الخمس كانوا الفا واربعمائة وهم اهل الحديبية وفى رواية ابن عباس وصالح بن كيسان
وبشير بن يسار واهل المغازى ان الخيل كانت مائتى فرس وكان للفرس سهمان ولصاحبه سهم ولكل راجل سهم وقال ابو داود
حديث ابى معاوية اصح والعمل عليه وارى الوهم فى حديث مجمع انه قال ثلثمائة فارس وانما كانوا مائتى فارس وقد روى
ابو داود
ايضا من حديث ابى عمرة عن ابيه قال اتيتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة نفر ومعنا فرس فاعطى كل انسان منا سهما واعطى
الفرس سهمين وهذا الحديث فى اسناده عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود وهو المسعودى وفيه ضعف
وقد روى الحديث عند على وجه آخر قال اتيتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة نفر ومعنا فرس وكان للفارس ثلثة اسهم ذكره
ابو داود

فصل وفى هذه الغزوة قدم عليه بن عمه جعفر بن ابى طالب واصحابه ومعهم الاشعريون عبد الله بن قيس ابو
موسى الاشعرى واصحابه وكان فيمن قدم معهم اسماء بنت عميس قال ابو موسى بلغنا مخرج النبى صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا
مهاجرين اليه انا واخوان لى انا اصغرهم احدهم ابو رهم والاخر ابو بردة فى بضع وخمسين رجلا من قومى فركبنا سفينة فالقتنا
سفينتنا الى النجاشى فوافقنا جعفر بن ابى طالب واصحابه عنده فقال جعفر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا وامرنا بالاقامة
فاقيموا معنا فاقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر فاسهم لنا وما قسم لاحد غاب
عن فتح خيبر شيئا الا من شهد معه الا اصحاب سفينتنا مع جعفر واصحابه قسم لهم معهم وكان ناس يقولون لنا سبقناكم
بالهجرة قال ودخلت اسماء بنت عميس على حفصة فدخل عليها عمر فقال من هذه قالت اسماء قال عمر سبقناكم بالهجرة نحن احق برسول
صلى الله عليه وسلم فغضبت وقالت يا عمر كلا والله لقد كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا فى ارض
البعداء البغضاء وذلك فى الله وفى رسوله وايم الله لا اطعم طعاما ولا اشرب شرابا حتى اذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن لا كذب

ولا ازيغ ولا ازيد على ذلك فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله ان عمر قال كذا وكذا فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما قلت له قالت قلت له كذا وكذا قال ليس باحق بى منكم له ولاصحابه هجرة واحدة ولكم انتم اهل السفينة هجرتان وكان ابو موسى
واصحاب السفينة يأتون اسماء افواجا يسألونها عن هذا الحديث ما من الدنيا شىء هم به افرح ولا اعظم فى انفسهم مما قال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قدم جعفر على النبى صلى الله عليه وسلم تلقاه وقبل جبهته وقال والله ما ادرى بايهما
افرح بفتح خيبر ام بقدوم جعفر واما مارؤى فى هذه القصة ان جعفرا لما نظر الى النبى صلى الله عليه وسلم عجل يعنى مشى على
رجل واحدة اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله اشباه الذيابة الرقاصون اصلا لهم فى الرقص فقال البيهقى وقد
رواه من طريق الثورى عن ابى الزبير عن جابر وفى اسناده الى الثورى من لا يعرف قلت ولو صح لم يكن لكم فى هذا حجة على جواز
التشبه بالذيابة والتكسر والتخنث فى المشى المنافى لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احتجاج فان الفعلة كانت من عادة
الحبشة قال ولهذا العلة كان من عادة الحبشة تعظيما لكبرائها كضرب الحوا عند الترك ونحو ذلك فجرى جعفر على تلك العادة وفعلها
مرة ثم تركها لسنة الاسلام فاين هذا من الغمز والتكسر والتخنث وبالله التوفيق قال موسى بن عقبة وكانت بنو فزارة
ممن قدم على اهل خيبر ليعينوهم فراسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعينوهم وان يخرجوا عنهم ولكم من خيبر كذا وكذا
فابوا عليه فلما فتح الله عليه خيبر اتاه من كان ثم من بنى فزارة فقالوا وعدك الذى وعدتنا فقال لكم ذو الرقيبة جبل من جبا
خيبر فقالوا اذن نقاتلك فقال موعدكم كذا فلما سمعوا ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا هاربين وقال الواقدى
من الليل
قال ابو نعيم المزنى وكان قد اسلم فحسن اسلامه لما انفرنا الى اهلنا مع عيينة بن حصن رجع بنا عيينة فلما كنا دون خيبر بعرسنا
فقرعنا فقال لعيينة ابشر والى ارى الليلة فى النوم انى اعطيت ذا الرقيبة جبلا بخيبر قد وامر اخذت برقبة محمد فلما قدمنا خيبر
قدم عيينة فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر فقال يا محمد اعطنى ما غنمت من حلفائى فانى انصرفت عنك
وعرفنا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ولكن الصياح الذى سمعت نفرك الى اهلك قال اجزنى يا محمد قال لك ذا
قال وماذا والرقيبة قال الجبل الذى رأيت فى النوم انك اخذته فانصرف عيينة فلما رجع الى اهله جاءه الحارث بن عوف
فقال الم اقل لك انك تتوضع فى غير شىء والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب يهود كانوا يخبروننا بهذا ان شهد
لسمعت اباراقع سلام بن ابى الحقيق يقول انا نحسد محمدا على النبوة حيث خرجت من بنى هرون وهو بنى مرسل ويهود
لا تطاوعنى على هذا ولنا منه ذبحان سرى يثرب وآخر بخيبر قال الحارث قلت لسلام يملك الارض جميعا قال نعم والتوراة
الذى انزلت على موسى وما احب ان تعلم بقولى فيه

فصل وفى هذه الغزوة سم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهدت له زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية وسمتها وسألت اى اللحم احب اليه قالوا الذراع
فاكثرت من السم فى الذراع فلما تهس من ذراعها اخبره الذراع بانه مسموم فلفظ الاكلة ثم قال اجمعوا الى من ههنا من اليهود
فجمعوا له فقال لهم انى سائلكم عن شىء فهل انتم صادقى فيه قالوا نعم يا ابا القاسم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابوكم

قالوا ابونا فلان قال كذبتم ابوكم فلان قالوا لو صدقت وبررت قال هل انتم صادقي عن شيء ان سالتكم عنه قالوا نعم يا ابا القسم
وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفت في ابينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل النار فقالوا لنكونن فيها يسيرا ثم تخلفونا
فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسئوا فوالله لا نخلفكم فيها ابدا ثم قال هل انتم صادقي في شيء ان سالتكم عنه
قالوا نعم قال اجعلتم في هذه الشاة سما قالوا نعم قال ما حملكم على هذا قالوا اردنا ان كنت كاذبا نستريح منك وان كنت نبيا
لم يضرك وجيء بالمراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك علي قالوا
الا نقتلها قال لا ولم يعرض لها ولم يعاقبها واحتجم على الكاهل وامر من اكل منها ان يحتجم فمات بعضهم واختلف في قتل المراة
قال الزهري اسلمت فتركها ذكره عبد الرزاق عن معمر عنه ثم قال معمر والناس يقولون قتلها النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو داود
ثنا وهب بن بقية ثنا خالد عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت له يهودية شاة مصلية فذكر
القصة وقال فمات بشر ابن البراء بن معرور فارسل الى اليهودية فقال ما حملك على الذي صنعت قالت فلما مر بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقتلت قلت كلاهما مرسل ورواه حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة متصلا انه
قتلها فلما مات بشر بن البراء قتلت ولا فلما مات بشر قتلها اولا وقد اختلف هل اكل النبي
صلى الله عليه وسلم منها او لم ياكل واكثر الروايات انه اكل منها وبقي بعد ذلك ثلاث سنين حتى قال في وجعه الذي مات فيه
ما زلت اجد من الاكلة التي اكلت بخيبر فهذا اوان انقطاع الابهر فمن قال ان رسول الله صلى الله عليه
شهيد قال موسى بن عقبة وغيره وكان بين قريش حين سمعوا خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى خيبر تراهن عظيم وتتابع
فمنهم من يقول يظهر محمد واصحابه ومنهم من يقول يظهر الحليفان ويهود خيبر وكان الحجاج بن علاط السلمي قد اسلم وشهد
فتح خيبر وكان تحته ام شيبة اخت بني عبد الدار ابن قصي وكان الحجاج مكثرا من المال كانت له معادن ارض بني سليم
فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على خيبر قال الحجاج بن علاط ان لي ذهبا عند امراتي وان تعلم هي واهلها باسلامي فلا مال
لي فاذن لي فاسرع السير واسبق الخبر ولا اخبرت اخبارا اذا اقدرت ادرأ بها عن مالي ونفسي فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما قدم مكة قال لامراته اخفي علي واجمعي لي ما كان عندك من مال فاني اريد ان اشتري من غنائم محمد واصحابه فانهم قد
استبيحوا واصيبت اموالهم وان محمدا قد اسر وتفرقت عنه اصحابه وان اليهود قد اقسموا ليبعثانه الى مكة ثم يقتلانه
بقتلاهم في الهدنة وفشا ذلك في مكة واشتد على المسلمين وبلغ منهم واظهر المشركون الفرح والسرور وبلغ العباس عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم رحلة الناس وجليتهم واظهارهم السرور فاراد ان يقوم ويخرج فانخزل ظهره ولم يقدر على
القيام فدعا ابنا له يقال له القسم وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يرتجز ويظهر صوته لئلا يشمت به اعداء الله
فشم شيبة ذي الانف الاشم ٥ بني ذي النعم ٥ برغم مرغم ٥ وحشر الى باب داره رجال كثيرون من المسلمين والمشركين منهم للظهر
الفرح والسرور ومنهم الشامت والمعزي ومنهم من به مثل الموت من الحزن والبلاء فلما سمع المسلمين رجز العباس وتجلده طابت

انفسهم

طابت انفسهم وظن المشركون انه اتاه ما لم ياتهم ثم ارسل العباس غلاما له الى الحجاج وقال ادخل به وقل له ويلك ما جيئت به
وما تقول والذي وعد الله خير مما جيئت به فلما كلمه الغلام قال له اقرا ابا الفضل السلام وقل له فليخل لي في بعض بيوتك حتى ايته
فان الخبر على ما يسره فلما بلغ العبد باب الدار قال ابشر يا ابا الفضل فوثب العباس فرحا كانه لم يصبه بلاء قط حتى جاءه
وقبل ما بين عينيه فاخبره بقول الحجاج فاعتقه ثم قال اخبرني بما يقول لك الحجاج قال ادخل به في بعض بيوتك حتى ياتيك ظهرا
فلما جاءه الحجاج وخلى به اخذ عليه ليكتمن خبره فوافق العباس على ذلك فقال له الحجاج جئت وقد افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
خيبر وغنم اموالهم وجرت فيها سهام الله وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى صفية بنت حيي لنفسه واعرس بها
ولكن جيئت لمالي اردت ان اجمعه واذهب به واني استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقول فاذن لي فاخفف عني
ثلثا ثم قل ما شيئت قال فجمعت له امراته متاعه ثم شمر راجعا فلما كان بعد ثلاث اتى العباس امراة الحجاج فقال ما فعل ذوجك
قالت ذهب والله لا يحزنك الله يا ابا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك قال اجل لا يحزنني الله ولم يكن بحمد الله الا ما احب
فتح الله على رسوله خيبر وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه وان كان لكرسي زوجك
حاجة فالحقي به قالت اظنك والله صادقا قال فاني والله صادق والامر على ما اقول لك قالت فمن اخبرك بهذا قال
الذي اخبرك بما اخبرك فلما راوه قالوا هذا والله التجلد يا ابا الفضل ولا يصيبنك الا خير قال اجل لم يصبني الا خير
والحمد لله اخبرني الحجاج بكذا وكذا وقد سالني ان اكتم عليه ثلث الحاجة فرد الله ما كان بالمسلمين من كابة وجزع على المشركين
وخرج المسلمون من مواضعهم حتى دخلوا على العباس فاخبرهم فاشرقت وجوه المسلمين

فصل

فيما كان في غزوة خيبر من الاحكام الفقهية فمنها محاربة الكفار ومقاتلتهم في الاشهر الحرم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الى خيبر
فحاربهم في ذي القعدة وذي الحجة فمكث بها اياما ثم سار الى خيبر في المحرم كذلك قال الزهري عن عروة عن مروان والمسور وكذلك
قال الواقدي خرج في اول سنة سبع من الهجرة ولكن في الاستدلال بذلك نظر فان خروجه كان في اواخر المحرم لا في اوله
وفتحها انما كان في صفر واقوى من هذا الاستدلال ببيعة النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بيعة الرضوان عند الشجرة على القتال
وان لا يفروا وكانت في ذي القعدة ولكن لا دليل في ذلك لانه انما بايعهم على ذلك لما بلغه انهم قتلوا عثمان وانهم يريدون
قتاله فحينئذ بايع الصحابة ولا خلاف في جواز القتال في الاشهر الحرم اذا بدا العدو وانما الخلاف فيه هل يقاتل فيه ابتداء
فالجمهور جوزوه وقال لو تحريم القتال فيه منسوخ وهو مذهب الائمة الاربعة وذهب عطاء وغيره الى انه ثابت غير منسوخ
وكان عطاء يحلف بالله ما يحل القتال في الشهر الحرام ولا نسخ تحريم بشيء اقوى فهذين الاستدلالين الاستدلال بحصار
النبي صلى الله عليه وسلم للطائف فانه خرج اليها في اواخر شهر شوال فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة فبعضها كان في ذي القعدة
فانه فتح مكة لعشر بقين من رمضان واقام بها بعد الفتح سبع عشرة يقصر الصلوة فخرج الى هوازن وقد بقي من شوال عشرون
يوما ففتح الله عليه هوازن وقسم غنائمها ثم ذهب منها الى الطائف فحاصرها بضعا وعشرين ليلة وهذا يقتضي ان بعضها

في ذي القعدة بلا شك وقد قيل انما حاصرهم بضع عشرة ليلة قال ابن حزم وهو الصحيح بلا شك وهذا اعجب منه فمن اين لك
هذا التصحيح والجزم به وفي الصحيحين عن انس بن مالك في قصة الطايف قال فحاصرناهم اربعين يوما فاستعصوا وتمنعوا
وذكر الحديث فهذا الحصار وقع في ذي القعدة بلا ريب ومع هذا فلا دليل في القصة لان غزوة الطايف كان من تمام غزوة هوازن
فهم بدا وا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال ولما انهزموا دخل ملكهم وهو مالك بن عوف النضري مع ثقيف في حصن الطايف
محاربين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غزوهم من تمام الغزوة التي شرع فيها واما علم وقد قال تعالى في سورة المائدة وهي
من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلايد ولا
في سورة البقرة يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به فهاتان اية ان مدنيتان
بينهما في النزول نحو ثمانية اعوام وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله تحليلها ولا اجتمعت الامة على نسخه ومن استدل بقوله
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ونحوها من العمومات فقد استدل على النسخ بما لا يدل عليه ومن استدل عليه بان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث اباعامر في سرية الى اوطاس في ذي القعدة فقد استدل بغير ذلك لان ذلك من تمام الغزوة التي بدا
فيها المشركون بالقتال ولم يكن ابتداء منهم لقتالهم في الشهر الحرام **فصل** ومنها قسمة الغنايم للفارس ثلثة اسهم
وللراجل سهم وقد تقدم تقريره ومنها انه يجوز لاحاد الجيش اذا وجد طعاما ان ياكله ولا يحمله كما اخذ عبد الله بن مغفل
جراب الشحم الذي دلي يوم خيبر واختص به بمحضر من النبي صلى الله عليه وسلم ومنها اذا لحق مدد بالجيش بعد تقضي الحرب فلا
سهم له الا باذن الجيش ورضاهم فان النبي صلى الله عليه وسلم كلم اصحابه في اهل السفينة حين قدموا عليه بخيبر جعفرا واصحا
ان يسهم لهم فاسهم لهم **فصل** ومنها تحريم لحوم الحمر الاهلية صح عنه تحريمها يوم خيبر وصح عنه تعليل التحريم
بانها رجس وهذا مقدم على قول من قال انما حرمها لانها كانت ظهرهم وحمولتهم فلما قيل له فني الظهر واكلت الحمر حرمها
وعلى قول من قال انما حرمها لانها لم تخمس وعلى قول من قال انما حرمها لانها كانت حول القرية وكانت تاكل العذرة وكل هذا في الصحيح
لكن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انها رجس مقدم على هذا كله لانه لفظ الراوي وقوله بخلاف التعليل بكونها رجسا ولا
تعارض بين هذا التحريم وبين قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم
خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فان لم يكن قد حرم حين نزول هذه الاية من المطاعم الا هذه الاربعة والتحريم
كان يتجدد شيئا فشيئا فتحريم الخمر بعد ذلك تحريما مبتدا لما سكت عنه النص الا انه رافع لما اخبي القرآن ولا مخصص لعمومه
فضلا ان يكون ناسخا والله اعلم **فصل** والمحرم المتعة يوم خيبر وانما كان تحريمها عام الفتح هذا هو الصواب
وقد ظن طايفة من اهل العلم انه حرمها يوم خيبر واحتجوا بما في الصحيحين من حديث علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الانسيه وفي الصحيحين ايضا ان عليا سمع ابن عباس يفتي في
متعة النساء فقال مهلا يا ابن عباس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها يوم خيبر وعن لحوم الحمر الانسيه وفي لفظ للبخاري

عنه

عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الانسيه ولما راى هؤلاء ان النبي صلى الله
عليه وسلم اباحها عام الفتح ثم حرمها قالوا ابيحت ثم حرمت قال الشافعي لا اعلم شيئا حرم ثم ابيح ثم حرم الا المتعة قالوا
فنسخت مرتين وخالفهم في ذلك اخرون وقالوا لم تحرم الا عام الفتح وقبل ذلك كانت مباحة قالوا وانما جمع علي بن ابي طالب
بين الاخبار بتحريمها وتحريم الحمر الاهلية لان ابن عباس كان يبيحهما فروى له علي تحريمها عن النبي صلى الله عليه وسلم رد اعليه وكان
تحريم الحمر يوم خيبر بلا شك فذكر يوم خيبر ظرفا للتحريم الحمر واطلق تحريم المتعة ولم يقيده بزمن كما جاء ذلك في مسند الامام احمد
باسناد صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر وحرم متعة النسا وفي لفظ حرم متعة النسا وحرم
لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر هكذا رواه سفيان بن عيينة مفصلا مميزا فظن بعض الرواة ان يوم خيبر زمن التحريم فقيدها
به ثم جاء بعضهم فاقتصر على احد المحرمين وهو تحريم الحمر وقيده بالظرف فمن ها هنا نشأ الوهم وقصة خيبر لم يكن فيها
الصحابة يتمتعون باليهوديات ولا استاذنوا في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نقله احد قط في هذه الغزوة ولا كان
للمتعة فيها ذكر البتة لا فعلا ولا تحريما بخلاف غزوة الفتح فان قصة المتعة كانت فيها فعلا وتحريما مشهورا وهذه الطريقة
اصح الطريقتين وفيها طريقة ثالثة وهي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحرمها تحريما عاما البتة بل حرمها عند الاستغناء
عنها واباحها عند الحاجة اليها وهذه كانت طريقة ابن عباس حتى كان يفتي بها ويقول هي كالميتة والدم ولحم الخنزير تباح
عند الضرورة وخشية العنت فلم يفهم عنه اكثر الناس ذلك وظنوا انه اباحها اباحة مطلقة وتشبثوا في ذلك بالاشعار
فلما راى ابن عباس ذلك رجع الى القول بالتحريم **فصل** ومنها جواز المساقاة والمزارعة بجزء مما يخرج من الارض من ثمر
او زرع كما عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل خيبر على ذلك واستمر ذلك الى حين وفاته لم ينسخ البته واستمر خلفاؤه
الراشدون عليه وليس هذا من باب المواجرة في شيء بل من باب المشاركة وهو نظير المضاربة سوى ان باب المضاربة
وهم ذلك فقد فرق بين متماثلين **فصل** ومنها انه دفع اليهم الارض على ان يعملوها من اموالهم ولم يدفع اليهم
البذر ولا كان يحمل اليهم البذر من المدينة جملة فدل على ان هديه عدم اشتراط كون البذر من رب الارض وانه يجوز ان يكون
من العامل وهذا هدي خلفاءه الراشدين من بعده وكما انه هو المنقول فهو الموافق للقياس فان الارض بمنزلة راس
المال في القراض والبذر يجري مجرى سقي الماء ولهذا يموت في الارض ولا يرجع الى صاحبه ولو كان بمنزلة راس مال المضاربة
لا يشترط عوده الى صاحبه هذا يفسد المزارعة فعلم ان القياس الصحيح هو الموافق لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخلفاءه الراشدين في ذلك والله اعلم **فصل** ومنها خرص الثمار على رؤس النخل وقسمتها كذلك وان القسمة
ليست بيعا ومنها الاكتفاء بخارص واحد وقاسم واحد ومنها جواز عقد المهادنة عقدا جائزا للامام فسخه متى شاء
ومنها جواز تعليق عقد الصلح والامان بالشرط كما عقدها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرط ان لا يغيبوا ولا يكتموا
ومنها جواز تعزير ارباب التهم بالعقوبة وان ذلك من الشريعة العادلة لا من السياسة الظالمة ومنها الاخذ في الاحكام

بالقرائن والامارات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لكنانة المال كثير والعهد قريب فاستدل بهذا على كذبه في قوله اذهبته الحروب
والنفقة ومنها ان من كان القول قوله اذا اقامت قرينة على كذبه لم يلتفت الى قوله ونزل منزلة الكاذبين ومنها ان اهل الذمة اذا
خالفوا شيئا مما شرط عليهم لم يتم لهم ذمة وحلت دماؤهم واموالهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهؤلاء الهدنة وشرط
عليهم ان لا يغيبوا ولا يكتموا فان فعلوا حلت دماؤهم واموالهم فلما لم يفوا بالشرط استباح دماءهم واموالهم ولهذا اقتدا امير المومنين
عمر بن الخطاب والشروط التي شرطها على اهل الذمة فشرط عليهم انهم متى خالفوا شيئا منها فقد حل لنا منهم ما يحل من اهل الشقاق و
العداوة ومنها جواز نسخ الامر قبل فعله فان النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بكسر القدور ثم نسخه عنهم بالامر بغسلها ومنها
ما لا يوكل لحمه لا يطهر بالذكاة لا جلده ولا لحمه وان ذبحه بمنزلة موته وان الذكاة انما تعمل في ماكول اللحم ومنها ان من اخذ من الغنيمة
شيئا قبل قسمتها لم يملكه وان كان دون حقه وانه انما يملكه بالقسمة ولهذا قال لصاحب الشملة التي غلها انها تشتعل عليه نارا
وقال لصاحب الشراك الذي غله شراك من نار ومنها ان الامام مخير في ارض العنوة بين قسمتها وتركها وقسم بعض وترك بعض
ومنها جواز التفاؤل بل استحبابه بما يراه او يسمعه مما هو من اسباب ظهور الاسلام واعلانه كما تفاءل النبي صلى الله عليه وسلم
برؤية المساحي والفؤس والمكاتل مع اهل خيبر فان ذلك من خرابها ومنها جواز اجلاء اهل الذمة من دار الاسلام اذا استغنى
عنهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم نقركم ما اقركم الله وقال لكبيرهم كيف بك اذا رفعت بكرا حلتك نحو الشام يوما ثم يوما واجلاهم
عمر بعد موته صلى الله عليه وسلم وهذا مذهب محمد بن جرير وهو قول قوي يسوغ العمل به اذا راى فيه الامام المصلحة ولا يقال
اهل خيبر لم تكن لهم ذمة بل كانوا اهل ذمة وقد امنوا بها على دمائهم واموالهم امانا مستمرا نعم لم تكن الجزية قد شرعت
ونزل فرضها وكانوا اهل ذمة بغير جزية فلما فرضت الجزية استونف فرضها على من يعقد له الذمة من اهل الكتاب والمجوس فلم يكن
عدم اخذ الجزية منهم لكونهم ليسوا اهل ذمة بل لانها لم تكن نزل فرضها بعد واما كون العقد غير مؤبد فذلك لمدة اقرارهم في ارض خيبر
لان المدة تحقن دماءهم ثم يسبيها الامام متى شاء ولهذا قال نقركم ما اقركم الله وما شئنا ولم يقل نحقن دماءكم ما شئنا
وهكذا كان عقد الذمة لقريضة والنضير عقدا مشروطا بان لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه لاحد ومتى فعلوا فلا ذمة لهم وكانوا
اهل ذمة بل اهل جزية اذ لم تكن نزل فرضها اذ ذاك واستباح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي نسائهم وذراريهم وجعل نقض العهد
سببا في حق النساء والذرية وجعل حكم الساكت والمقر حكم الناقض والمحارب وهذا موجب هدية في اهل الذمة بعد الجزية ايضا ان
نقض العهد في ذريتهم ونسائهم ولكن هذا اذا كان الناقضون طائفة لهم شوكة ومنعة اما اذا كان الناقض واحدا من طائفة
لم يوافقه بقيتهم فهذا لا يسري النقض الى زوجته واولاده كما ان مراهدة النبي صلى الله عليه وسلم دماؤهم ممن كان يسبيه لم يسب
نساءهم وذريتهم فهذا هدية في هذا وهذا الذي لا محيد عنه وبالله التوفيق ومنها جواز عتق الرجل امته وجعل عتقها
صداقها وجعلها زوجته بغير اذنها ولا شهود ولا ولي غيره ولا لفظ نكاح كما فعل صلى الله عليه وسلم بصفية ولم يقل قط هذا
خاص لي ولا اشار الى ذلك مع علمه بانه آية امته ولم يقل احد من الصحابة ان هذا لا يصلح لغيره بل رووه والقصة ونقلوها الامة

ولم يمنعوهم

ولم يمنعوهم ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاقتداء به في ذلك والله سبحانه لما خصه في النكاح بالموهوبة قال خالصة
لك من دون المؤمنين فلو كانت هذه خالصة من دون امته لكان هذا التخصيص اولى بالذكر لكثرة ذكر السادات مع اماتهم
بخلاف المراة التي تهب نفسها للرجل لندرتها وقلتها ومثله في الحاجة الى البيان ولا سيما والاصل مشاركة الامة واقتداؤها
به فكيف يسكت عن منع الاقتداء به في ذلك الموضع الذي لا يجوز مع قيام مقتضى الجواز هذا اشبه المحال ولم تجمع الامة
على عدم الاقتداء في ذلك فيجب المصير الى اجماعها وبالله التوفيق والقياس الصحيح يقتضي جواز ذلك فانها يملك رقبتها
ومنفعة وملكها وخدمتها فله ان يسقط حقه من ملك الرقبة ويستبقي ملك المنفعة او نوعا منها كما لو اعتق عبده وشرط عليه
ان يخدمه ما عاش فاذا اخرج المالك رقبة ملكه واستثنى نوعا من منفعته لم يمنع من ذلك في عقد البيع فكيف يمنع منه في
عقد النكاح ولما كانت منفعة البضع لا تستباح الا بعقد نكاح او ملك يمين وكان اعتاقها يزيل ملك اليمين عنها كان
من ضرورة استباحة هذه المنفعة جعلها زوجة وسيدها كان يلي نكاحها وبيعها ممن شاء بغير رضاها فاستثنى لنفسه
ما كان يملكه منها ولما كان من ضرورة عقد النكاح ملكه لان بقاء ملكه المستثنى لا يتم الا به فهذا محض القياس الصحيح
لسنة الصحيحة والله اعلم ومنها جواز كذب الانسان على نفسه وعلى غيره اذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير اذا كان يتوصل
بالكذب الى حقه ككذب الحجاج بن علاط على المسلمين حتى اخذ ماله من مكة من غير مضرة لحقت المسلمين من ذلك الكذب واما
ما نال من بعكة من المسلمين من الاذى والحزن فمفسدة يسيرة في جنب المصلحة التي حصلت بالكذب ولا سيما تكميل الفرح والسرور
وزيادة الايمان الذي حصل بالخبر الصادق بعد هذا الكذب وكان الكذب سببا في حصول هذه المصلحة الراجحة ونظير
هذا الامام والحاكم يوهم الخصم خلاف الحق ليتوصل بذلك الى استعلام الحق كما اوهم سليمان بن داود احد المرايتين بشق
الولد نصفين حتى توصل بذلك الى معرفة عين الام ومنها جواز بناء الرجل بامراته في السفر وركوبها معه على دابة
بين الجيش ومنها ان من قتل غيره بسم يقتل مثله وقتل به قصاصا كما قتلت اليهودية بشر بن البراء ومنها جواز الاكل
من ذبح اهل الكتاب وحل طعامهم ومنها قبول هدية الكافر فان قيل لعل المراة قتلت لنقض العهد لجرائها بالسم لا
قيل لو كان قتلها لنقض العهد لقتلت من حين اقرت بانها سمت الشاة ولم يتوقف قتلها على موت القاتل فان قيل
فهلا قتلت بنقض العهد قيل هذا حجة من قال ان الامام مخير فيمن نقض العهد كالاسير فان قيل انتم توجبون
قتله حتما كما هو منصوص احمد وانما القاضي ابو يعلى ومن تبعه قالوا لو اختيار الامام فيه قيل ان كانت قصته الشاة قبل الصلح
فلا حجة فيها وان كانت بعد الصلح فقد اختلف في نقض العهد بقتل المسلم على قولين فمن لم ير النقض به فظاهر ومن
راى النقض به فهل يتحتم قتله او يخير فيه او يفصل بين بعض الاسباب الناقضة وبعضها فيتحتم قتله بسبب ودون سبب
ويخير فيه اذا انتقضه بحرابه ولحوقه بدار الحرب وان نقضه بسواها كالقتل والزنا بالمسلمة والتجسس بالمسلمين واطلاع العدو
على عوراتهم فالمنصوص تعين القتل وعلى هذا فهذه المراة لما سمت الشاة صارت بذلك محاربة وكان قتلها مخيرا فيه فلما

فلما مات بعض المسلمين فزالهم قتلت حقا اما قصاصا واما بنقضها العهد بقتلها المسلم فمذا يحتمل والله اعلم واختلف في فتح خيبر
هل كان عنوة او صلحا او كان بعضها صلحا وبعضها عنوة فروى ابو داود من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزى خيبر فاصبناها عنوة فجمع السبي وقال ابن اسحق سالت بن شهاب فاخبرني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح
خيبر عنوة بعد القتال وذكر ابو داود عن بن شهاب بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال
ونزل من نزل منهم على الجلاء بعد القتال قال ابن عبد البر هذا هو الصحيح في ارض خيبر انها كانت عنوة كلها
مغلوبا عليها بخلاف فدك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم جميع ارضها على الغانمين لها الموجفين عليها بالخيل والركاب
وهم اهل الحديبية ولم يختلف العلماء ان ارض خيبر مقسومة وانما اختلفوا هل تقسم الارض اذا غنمت البلاد او توقف
فقال الكوفيون الامام مخير بين قسمتها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بارض خيبر وبين ايقافها كما فعل عمر بسواد
العراق وقال الشافعي تقسم الارض كلها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر لان الارض غنيمة كسائر اموال الكفار
وذهب ملك الى ايقافها تبعا لعمر لان الارض مخصوصة من سائر الغنيمة بما فعل عمر في جماعة من الصحابة في ايقافها لمن
بعده من المسلمين وروى ملك عن زيد بن اسلم عن ابيه قال سمعت عمر يقول لولا ان يترك آخر الناس لا شيء لهم ما فتحت
عليه قرية الا قسمتها بين اهلها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر سهمان وهذا يدل على ان ارض خيبر قسمت
كلها سهمان كما قال ابن اسحاق واما من قال انه كان بعضها صلحا وبعضها عنوة فقد وهم وغلط وانما دخلت عليه الشبهة
بالحصنين اللذين اسلمها اهلهما في حقن دمائهم فلما لم يكن اهل ذينك الحصنين من الرجال والنساء والذرية مغنومين
ظن ان ذلك صلحا وليس كذلك فان ذلك في الرجال والنساء والذرية ضرب من الصلح ولكنهم لم يتركوا ارضهم الا بالمحاصرة والقتال
فكان حكم ارضها حكم سائر ارض خيبر كلها عنوة غنيمة مقسومة بين اهلها وربما شبه على من قال نصف خيبر صلح و نصفها
عنوة بحديث يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم خيبر نصفين نصفها له ونصفها
للمسلمين قال ابو عمر وهذا الوهم لكان معناه ان النصف له مع سائر من وقع في ذلك النصف معه لانها قسمت على ستة
وثلثين سهما فوقع السهم للنبي صلى الله عليه وسلم وطائفة معه في ثمانية عشر سهما ووقع سائر الناس في باقيها وكلهم ممن شهد
الحديبية ثم خيبر وليست الحصون اسلمها اهلها بعد الحصار والقتال صلحا ولو كانت صلحا لملكها اهلها كما يملك
اهل الصلح ارضهم وسائر اموالهم فالحق في هذا ما قاله ابن اسحاق دون ما قاله موسى بن عقبة وغيره عن بن شهاب هذا آخر
كلام ابي عمر قلت ذكر ملك عن بن شهاب ان خيبر كان بعضها عنوة وبعضها صلحا والكتيبة اكثرها عنوة وفيها صلح
قال ملك والكتيبة ارض خيبر وهو اربعون الف عذق وقال ملك عن الزهري عن بن المسيب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم افتتح بعض ارض خيبر عنوة **فصل** ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر الى وادي
القرى وكان بها جماعة من اليهود وقد انضاف اليهم جماعة من العرب فلما نزلوا استقبلهم يهود بالرمي وهم على غير تعبية فقتل

مدعم

مدعم عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الناس قتل مدعم عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا له الجنة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي اخذها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا
فلما سمع بذلك الناس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراك او شراكين فقال النبي صلى الله عليه وسلم شراك من نار
او شراكان من نار فعبى رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه للقتال ووصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة ورايته الى الحباب
بن المنذر ورايته الى سهل بن حنيف ورايته الى عباد بن بشر ثم دعاهم الى الاسلام واخبرهم انهم ان اسلموا احرزوا اموالهم
وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله فبرز رجل منهم فبرز اليه الزبير بن العوام فقتله ثم برز اليه اخر فبرز اليه علي فقتله
حتى قتل منهم احد عشر رجلا كلما قتل منهم رجل دعى من بقي الى الاسلام وكانت الصلوة تحضر ذلك اليوم فيصلي باصحابه
فيعود فيدعوهم الى الاسلام والى الله ورسوله فقاتلهم حتى امسوا وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قدر رمح حتى اعطوا
ما بايديهم وفتحها عنوة وغنم الله اموالهم واصابوا متاعا واوانا كثيرا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي القرى
اربعة ايام وقسم ما اصاب على اصحابه بوادي القرى وترك الارض والنخل بايدي اليهود وعاملهم عليها فلما بلغ يهود تيما
ما واطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل خيبر وفدك ووادي القرى صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقاموا
باموالهم فلما كان زمن عمر بن الخطاب اخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج اهل تيما ووادي القرى لانهما دخلتا
في ارض الشام ويروى ان ماذون وادي القرى الى المدينة حجاز وان ما وراء ذلك من الشام وانصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم راجعا الى المدينة فلما كان ببعض الطريق عرس وقال لبلال اكلأ لنا الليل فغلبت بلالا عيناه وهو مسند
الى راحلته فلم يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا احد من الصحابة حتى ضربتهم الشمس وكان النبي صلى الله
عليه وسلم اولهم استيقاظا ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا بلال فقال اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك
باجابت وامي يا رسول الله فاقتادوا راحلهم مشيا حتى خرجوا من ذلك الوادي ثم قال هذا وادبه شيطان فلما
جاوزه امرهم ان ينزلوا وان يتوضئوا ثم صلى سنة الفجر ثم امر بلالا فاقام الصلوة وصلى بالناس ثم انصرف وقال
يا ايها الناس ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فاذا نام احدكم عن الصلاة او نسيها فليصلها
كما كان يصليها في وقتها ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر فقال ان الشيطان اتى بلالا وهو قايم
يصلي فاضجعه فلم يزل يهدئه كما يهدئ الصبي حتى نام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فاخبره بمثل ما
اخبر به ابا بكر وقد روي ان هذه القصة كانت في مرجعهم من الحديبية وروي انها كانت في مرجعه من تبوك وقد
روى قصة النوم عن صلوة الصبح عمران بن حصين ولم يوقت مدتها ولا اذكر في اي غزوة كانت وكذلك رواها ابو
قتادة وكلاهما في قصة طويلة مخصوصة وقد روى ملك عن زيد بن اسلم ان ذلك كان بطريق مكة وهو مرسل وقد روي
شعبة عن جامع بن شداد قال سمعت عبد الرحمن بن ابي علقمة قال سمعت عبد الله بن مسعود قال اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

زمن الحديبية وقال النبي صلى الله عليه وسلم مر بكلاءنا فقال بلال انا فذكر القصة ولكن قد اضطربت الرواة في هذه القصة
فقال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن جامع ان الحارس فيها كان بن مسعود وقال غندر عن ان الحارس كان بلال واضطربت
الرواية في تاريخها فقال المعتمر بن سليمان عن شعبة عنه انها كانت في غزوة تبوك وقال غيره عنه انها كانت في رجوعهم من الحديبية
فوهل على وهم وقع فيها ورواية الزهري عن شعبة سالمة عن ذلك وبالله التوفيق **فصل** في فقه هذه القصة فيها
ان من نام عن صلاة او نسيها فوقتها حين يستيقظ او يذكرها وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفجر معها وقضى سنة
الظهر وحدها وكان هديه صلى الله عليه وسلم قضاء الفوائت مع الفرايض وفيها ان الفائتة يؤذن لها ويقام
فان في بعض طرق هذه القصة انه امر بلالا فنادى بالصلوة وفي بعضها فامر بلالا فاقام وفيها انه يؤذن ويقام
واقام ذكره ابو داود وفيها قضاء الفائتة جماعة وفيها قضاؤها على الفور لقوله فليصلها اذا ذكرها وانما اخرها عن
مكان معهم قليلا لكونه مكانا فيه شيطان فارتحل منه الى مكان خير منه وذلك لا يفوت المبادرة الى القضاء فانهم في شغل
الصلوة وشانها وفيها تنبيه على اجتناب الصلوة في امكنة الشيطان كالحمام والحبس بطريق الاولى فان هذه منازله
التي يأوي اليها ويسكنها فان كان النبي صلى الله عليه وسلم ترك المبادرة الى الصلوة في ذلك الوادي وقال ان به شيطانا فما
الظن بما وى الشيطان وبيته **فصل** ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ردّ المهاجرون الى الانصار منائحهم
التي كانوا اعطوها منحوهم اياها من النخيل حين صار لهم بخيبر مال ونخيل وكانت ام سليم وهي ام انس بن مالك اعطت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عذاقا فاعطاهن ام ايمن مولاته وهي ام اسامة بن زيد فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سليم
عذاقها واعطا ام ايمن مكانهن من حائط مكان كل عذق عشرة **فصل** واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة بعد قدومه من خيبر الى شوال وبعث في خلال ذلك السرايا فمنها سرية ابي بكر الصديق الى نجد قبل بني قراره
ومعه سلمة بن الاكوع فوقع في سهمه جارية حسناء فاستوهبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفادى بها اسرى من المسلمين
كانوا بأيدكم ومنها سرية عمر بن الخطاب في ثلثين راكبا نحو هوازن فجاءهم الخبر وهربوا وجاء محالهم فلم يلق منهم احدا
فانصرف راجعا الى المدينة فقال له الدليل هل لكم في جمع من خثعم جاؤا اسايرين قد اجدبت بلادهم فقال عمر ما اعرفني برسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يعرض لهم ومنها سرية عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكبا فمنهم عبد الله بن انيس الى اليسير
بن رزام اليهودي فانه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجمع غطفان ليغزوه بجمعهم فاتوه بخيبر فقالوا ارسلنا اليك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستعملك على خيبر فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلثين رجلا مع كل رجل منهم رديف من المسلمين فلما
بلغوا ديار قومه وهي من خيبر على ثلثة اميال قدم اليسير فاهوى بيده الى سيف عبد الله بن انيس فقطن له عبد الله
فرجر بعيره ثم اقتحم عن البعير ليسوق القوم حتى اذا استمكن من اليسير ضرب رجله فقطعها فاقتحم اليسير وفي يده
مخرش من شوحط فضرب به وجه عبد الله فشجه مأمومة فاندفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل من اليهود

وفيها ان السنن الرواتب تقضى كما تقضى الفرايض ٢

اعجزهم شدا ولم يصب من المسلمين احدا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في شجة عبد الله بن انيس فلم تقح
ولم تؤذه حتى مات ومنها سرية بشير بن سعد الانصاري الى بني مرة بفدك في ثلثين راكبا فخرج اليهم فلقي رعاء الشاء
والنعم فاستاق الشاء والنعم ورجع الى المدينة فادركه الطلب عند الليل فباتوا يرامونهم بالنبل حتى فنيت نبل بشير واصحابه
فقتل منهم مقتلة واصيب منهم نفر يسير وقتل بشير قتالا شديدا ورجع القوم بنعمهم وشائهم فتحامل بشير حتى انتهى
الى فدك فاقام عند يهودي حتى برات جراحاته فرجع الى المدينة ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى الحرقات
من جهينة ومنهم اسامة بن زيد فلما دنى منهم بعث الامير الطلائع فلما رجعوا بخبرهم اقبل حتى اذا دنى منهم ليلا وقد اختلطوا
وهدأوا اقام فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال اوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وان تطيعوني ولا تعصوني ولا
تخالفوا امري فانه لا راي لمن لا يطاع ثم ربتهم وقال يا فلان انت وفلان يا فلان انت وفلان ولا يفارق كل منكما صاحبه
وزميله واياكم ان يرجع احدكم فاقول اين صاحبك فيقول لا ادري فاذا كبرت فكبروا وجردوا السيوف ثم كبروا واحملوا
حملة واحدة فاحاطوا بالقوم واخذتهم سيوف الله فهم يضعونها حيث شاؤا منهم وشعارهم امت امت وخرج اسامة
في اثر رجل منهم يقال له نهيك بن مرداس فلما دنى منه ولحمه بالسيف قال لا اله الا الله ثم استاق الشاء والنعم والذرية
وكانت سهمانهم عشرة ابرة لكل رجل او عدلها من الغنم ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بما صنع اسامة
فكبر ذلك عليه وقال اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قال انما قالها متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه ثم قال مزلك بلا اله
الا الله يوم القيمة فما زال يكرر ذلك عليه حتى تمنى ان يكون اسلم يومئذ وقال يا رسول الله اعطى الله عهدا ان لا اقتل رجلا يقول
لا اله الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدي فقال اسامة بعدك **فصل** وبعث غالب بن عبد الله الكلبي
الى بني الملوح بالكديد وامره ان يغير عليهم قال ابن اسحق فحدثني يعقوب بن عتبة عن مسلم بن عبد الله الجهني عن جندب
بن مكيث الجهني قال كنت في سريته فمضينا حتى اتينا قديدا فلقينا الحارث بن مالك بن البرصاء الليثي فاخذناه فقال انما
جيت لاسلم فقال غالب بن عبد الله ان كنت انما جيت لتسلم فلا يضرك ربط يوم وليلة وان كنت على غير ذلك استوثقنا منك
فاوثقه رباطا وخلف عليه رجلا اسود وقال امكث معه حتى نمر عليك فان نازعك فاجتز راسه ومضينا حتى اتينا
بطن الكديد فنزلناه عشية بعد العصر فبعثني اصحابي اليه فعمدت الى تل يطلعني على الحاضر فانبطحت عليه وذلك قبل
غروب الشمس فخرج رجل منهم فنظر فرآني على التل فنبطح فقال لا امر الك اني لارى سوادا على هذا التل ما رايته في اول النهار
فانظري لا يكون الكلاب اجترت بعض اوعيتك فنظرت فقلت والله ما افقد شيئا قال فنا وليني قوسي وسهمين من كنانتي
فناولته فرماني بسهم فوضعه في جنبي فنزعته ولم اتحرك ثم رماني بالاخر فوضعه في راس منكبي فنزعته ووضعته ولم
اتحرك فقال لامراته اما والله لقد خالط سهامي ولو كان زائلا لتحرك فاذا اصبحت فابتغي سهمي فخذيهما لا عضنهما على
الكلاب قال فامهلنا حتى اذا راحت راعيتهم واحتلبوا وسكنوا وذهبت عتمة من الليل شننا عليهم الغارة فقتلنا من قتلنا

واستقنا النعم فوجهنا قافلين به وخرج صريخهم الى قومهم وخرجنا سراعا حتى نمر بالحارث بن ملك وصاحبه فانطلقنا
به معنا واتانا صريخ الناس فجأنا بما لا قبل لنا به حتى اذا لم يكن بيننا وبينهم الا بطن الوادي من قديد ارسل الله عز وجل من حيث
شاء سيلا لا واسما رأينا قبل ذلك مطرا فجاء بما لا يقدر احد يقدم عليه فلقد رأيتهم وقوفا ينظرون الينا ما يقدر احد منهم
ان يقدم علينا ونحن نخدوها فذهبنا سراعا حتى اسندناها في المسلك ثم حدرنا عنه فاعجزنا القوم بما في ايدينا وقد قيل
ان هذه السرية هي السرية التي قبلها والله اعلم **فصل** ثم قدم حسيل بن ثويرة وكان دليل النبي صلى الله عليه وسلم
الى خيبر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال تركت جمعا من يمن وغطفان وحيان وقد بعث اليهم عيينة اما ان
تسيروا الينا واما ان نسير اليكم فارسلوا اليه ان سر الينا وهم يريدونك او بعضا طراقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر وعمر فذكرها ذلك فقالا لهم جميعا ابعث بشر بن سعد فعقد له لواء وبعث معه ثلثمائة رجل وامرهم ان يسيروا الليل
ويكمنوا النهار وخرج معهم حسيل دليلا فساروا الليل وكمنوا النهار حتى اتوا اسفل خيبر حتى دنوا من القوم فاغاروا على
سرحهم وبلغ الخبر جميعهم فتفرقوا فخرج بشر في اصحابه حتى اتوا محالهم فيجدونها ليس بها احد فرجع بالنعم فلما كانوا بسلاع
لقوا عينا لعيينة فقتلوه ثم لقوا جمع عيينة وعيينة لا يشعر بهم فناوشوهم ثم انكشف جمع عيينة وتبعهم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاصابوا منهم رجلين فقدموا بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما فارسلهما وقال الحارث بن عوف لعيينة
ولقيه منهزما تعد وابد فرسه قف فقال لا اقدر خلني الطلب فقال له الحارث اما آن لك ان تبصر ما انت عليه ان محمدا قد وطئ
البلاد وانت توضع في غير شيء فقال الحارث فاقمت فرجين زالت الشمس الى الليل وما ارى احدا وما طلبوه الا الرعب الذي دخله
فصل وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا حدرد الاسلمي في سرية وكانت عز قصته حاذكر ابن اسحق ان رجلا
من جشم بن معوية يقال له قيس بن رفاعة او رفاعة بن قيس اقبل في عدد كثير حتى نزلوا بالغابة يريدان يجمع قيسا على محاربة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذا اسم وشرف في جشم قال فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين من المسلمين فقال
اخرجوا الى هذا الرجل حتى تاتوا منه بخبر وعلم وقدم لنا شارفا عجفا فحمل عليها احدنا فوالله ما قامت به ضعفا حتى دعمها
الرجال فخرج خلفها بايديهم حتى استقلت وما كادت فقال لنا تبلغوا بها على هذه فخرجنا ومعنا سلاحنا خفاف النبل والسيوف حتى
اذا جئنا قريبا من الحاضر مع غروب الشمس فكمنت ناحية وامرت صاحبي فكمنا في ناحية اخرى من حاضر القوم فقلت لهما اذا سمعتما
قد كبرت وشددت في العسكر فكبروا وشدوا معي والله انا لكذلك ننتظران نرى غرة او نرى شيئا وقد غشينا الليل حتى دهبت
فحمة العشا وقد كان لهم راع قد سرح في تلك الليلة فابطا عليهم حتى تخوفوا عليه فقام صاحبهم رفاعة بن قيس فاخذ سيفه
وجعله في عنقه وقال والله لاتبعن اثر راعينا هذا والله لقد اصابه شر فقال نفر ممن معه والله لا نذهب بحن نكفيك فيه
فقال لا يذهب الا انا فقالوا لو انا معك قال والله لا يتبعني منكم احد وخرج حتى مر بي فلما امكنني فخخته بسهم في فؤاده فوالله
ما تكلم فوثبت اليه فاجتززت راسه في ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا فوالله ما كان الا النجاء فمن كان فيه عندك

بكل ما قدروا

بكل ما قدروا عليه من انعامهم وابنائهم وما خف معهم من اموالهم فاستقنا ابلا عظيمة وغنما كثيرة فجئنا بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجئت بيراسا احمل معي فاعطاني من تلك الابل ثلثة عشر بعيرا في صداقي فجعت علي اهلي وكنت قد تزوجت
امراة من قومي فاصدقتها مائتي درهم فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينه على نكاحي فقال والله ما عندي ما
اعينك فلبثت اياما ثم ذكر هذه السرية **فصل** وبعث سرية الى الخضم وكان فيهم ابو قتادة ومحلم بن جثامة في
نفر من المسلمين فمر بهم عامر بن الاضبط الاشجعي على قعود له ووطب من لبن فسلم عليهم بتحية الاسلام
فامسكوا عنه فحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه واخذ بعيره ومتيعه فلما قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخبروه الخبر فنزل فيهم القرآن يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله
كان بما تعملون خبيرا فلما قدموا اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم اقتلته بعد ما قال لا اله
الا الله ولما كان عام خيبر جاء عيينة بن حصن يطلب دم عامر بن الاضبط الاشجعي وهو سيد قيس وكان الاقرع بن حابس
يرد عن محلم وهو سيد خندف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم عامر هل لكم ان تاخذوا منا الا ثلثين بعيرا
وخمسين اذا رجعنا الى المدينة فقال عيينة والله لا ادعه حتى اذيق نساءه من الحزن مثل ما اذاق نسائي فلم يزل به حتى رضوا
بالدية فجاؤا بمحلم حتى يستغفر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام بين يديه قال اللهم لا تغفر لمحلم قالها ثلاثا فقام
وانه ليتلقى دموعه بطرف ثوبه قال ابن اسحق وزعم قومه انه استغفر له بعد ذلك قال ابن اسحق وحدثني سالم بن ابي النضر
قال لم يقبلوا الدية حتى قام الاقرع بن حابس فخلا بهم فقال يا معشر قيس سالكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا
لتتركوه ليصلح به الناس فتعتموه اياه افاتتم ان يغضب عليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه
او يلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلعنكم الله بلعنته والله لتسلمنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا تين بخمسين
من بني تميم كلهم يشهدون ان القتيل ما صلى قط فلا بطل دمه فلما قال ذلك لحذوا الدية **فصل** في سرية
عبد الله بن حذافة السهمي ثبت في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم في عبد الله بن حذافة السهمي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وثبت
في الصحيحين ايضا من حديث الاعمش عن سعد بن عبيدة عن ابي عبد الرحمن السلمي عن علي قال استعمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلا من الانصار على سرية بعثهم وامرهم ان يسمعوا له ويطيعوا قال فغضبوا في شيء فقال اجمعوا لي حطبا فجمعوا
فقال اوقدوا نارا فاوقدوا ثم قال الم يامركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسمعوا لي وتطيعوا قالوا بلى قال فادخلوها
قال فنظر بعضهم الى بعض وقالوا انما فررنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار قال فسكن غضبه وطفيت النار
فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها لما خرجوا منها انما الطاعة في المعروف وهذا هو عبد الله بن حذافة

فان قيل فان دخلوها دخلوها طاعة لله ورسوله في ظنهم وكانوا مثابين مخلصين فكيف يخلدون فيها قيل لما
كان القاؤهم نفوسهم في النار معصية فيكونون بها قاتلي انفسهم فهموا بالمبادرة اليها من غير اجتهاد منهم هل طاعة وقربة او معصية
كانوا مقدمين على ما هو محرم عليهم ولا تسوغ طاعة ولي الامر فيه لان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وكانت طاعة تزامرهم
بدخول النار معصية لله ولرسوله وكانت هذه الطاعة هي سبب العقوبة لانها نفس المعصية فلو دخلوها كانوا عصاة لله
ورسوله وان كانوا مطيعين لاولي الامر فلم تدفع طاعتهم لولي الامر معصيتهم لله ورسوله لانهم قد علموا انه مزهق نفسه فهو
مستحق للوعيد والله قد نهاهم عن قتل انفسهم فليس لهم ان يقدموا على هذا النهي طاعة لمن لا تجب طاعته الا في المعروف فاذا
كان هذا حكم مزعذب نفسه طاعة لولي الامر فكيف بمن عذب مسلما لا يجوز تعذيبه طاعة لولي الامر وايضا فاذا كان الصحابة
المذكورون لو دخلوها لما خرجوا منها مع قصدهم طاعة الله ورسوله بذلك الدخول فكيف بمن حمله على ما لا يجوز من الطاعة
الرغبة والرهبة الدنيوية واذا كان هؤلاء لما دخلوها لما خرجوا منها مع انهم قصدوا طاعة الامير فكيف بمن دخلها من
هؤلاء الملبسين اخوان الشياطين واوهم الجهال وظنوا ان ذلك ميراث من ابراهيم الخليل عليه السلام وان النار قد تصير
عليهم بردا وسلاما كما صارت على ابيهم وخيارها ولا ملبوس عليه يظن انه دخلها بحال رحماني وانما دخلها بحال شيطاني
فان كان لا يعلم بذلك فهو ملبوس عليه وان كان يعلم فهو ملبس على الناس يوهمهم انه من اولياء الرحمن وهو من اولياء الشيطان
واكثرهم يدخلها بحال بهتاني وتخيل انساني فهم في دخولها في الدنيا ثلثة اصناف ملبوس عليه وملبس ومتخيل وناد
الاخرة اشد وابقى **فصل** في عمرة القضية قال نافع كانت في ذي القعدة سنة سبع وقال سليمان التيمي لما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر بعث السرايا واقام بالمدينة حتى استهل ذو القعدة ثم نادى الناس في الخروج فقال
موسى بن عقبة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل من عام الحديبية معتمرا في ذي القعدة سنة سبع وهو
الشهر الذي صده فيه المشركون عن المسجد الحرام حتى اذا بلغوا ياجج وضع الاداة كلها الجحف والمجان والنبل والرماح
ودخلوا بسلاح الراكب السيوف وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن ابي طالب بين يديه الى ميمونة بنت الحارث
بن حزن العامرية فخطبها اليه فجعلت امرها الى العباس بن عبد المطلب وكانت اختها ام الفضل تحته فزوجها العباس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم امر اصحابه فقال اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف
ليرى المشركون جلدهم وقوتهم وكان يكايدهم بكل ما استطاع فوقف اهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبد الله بن رواحة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يرتجز
متوشحا بالسيف يقول خلوا بني الكفار عن سبيله قد انزل الرحمن في تنزيله في صحف تتلى على رسوله
يا رب اني مؤمن بقيله اني رايت الحق في قبوله اليوم نضربكم على تاويله ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله ويغيب رجال المشركين ان ينظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حنقا وغيضا فاقام ثلث

صلى الله

صلى الله عليه وسلم بمكة ثلثا فلما اصبح في اليوم الرابع اتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في مجلس الانصار يتحدث مع سعد بن عبادة فصاح حويطب بنا شدك الله والعقد لما خرجت
من ارضنا فقد مضت الثلاث فقال سعد بن عبادة كذبت لا ام لك ليست بارضك ولا ارض ابائك والله لا يخرج
ثم نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيلا او حويطبا اني قد نكحت منكم امرأة فايضركم ان امكث حتى ادخل بها
ونصنع الطعام فتاكلون معنا فقالوا لا ننشدك الله والعقد لا خرجت عنا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا رافع فاذن الرحيل وركبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل ببطن سرف فاقام بها وخلف ابا رافع ليحمل اليه
ميمونة حيث يمسي واقام حتى قدمت ميمونة ومعها وقد لقوا اذى وعنا من سفهاء المشركين وصبيانهم
فبنى بها بسرف ثم ارتحل وسار حتى قدم المدينة وقد راى ان يكون قبر ميمونة بسرف حيث بنى بها **فصل**
واما قول ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال فما استدرك عليه وعد
من وهمه قال سعيد بن المسيب وهل ابن عباس وان كانت خالته ما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بعد ما حل
ذكره البخاري وقال يزيد الاصم عن ميمونة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان بسرف رواه مسلم
قال ابو رافع تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حلال وبنى بها وهو حلال وكنت الرسول بينهما صحح ذلك عنه
وقال سعيد بن المسيب هذا عبد الله بن عباس يزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة وهو محرم وانما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وكان الحل والنكاح جميعا فشبه ذلك على الناس وقد قيل انه تزوجها قبل ان يحرم
وفي هذا نظر الا ان يكون وكل في العقد قبل احرامه واظن الشافعي ذكر ذلك فالاقوال ثلاثة احدها انه تزوجها
بعد حله من العمرة وهو قول ميمونة نفسها وقول السفير بينهما وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابو رافع وقول
سعيد بن المسيب وجمهور اهل النقل والثاني انه تزوجها وهو محرم وهو قول ابن عباس واهل الكوفة وجماعة
والثالث انه تزوجها قبل ان يحرم وقد حمل قول ابن عباس انه تزوجها وهو محرم على انه تزوجها في الشهر الحرام لا في
حال الاحرام قالوا ويقال احرام الرجل اذا عقد الاحرام واحرم اذا دخل في الشهر الحرام وان كان حلالا بدليل قول
الشاعر قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ومرادهم انه قتل في الشهر الحرام وانما قتلوه بالمدينة حلالا في الشهر الحرام وقد
روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينكح المحرم ولا ينكح
ولا يخطب ولو قدر تعارض الفعل والقول ها هنا لوجب تقديم القول لان الفعل موافق للبراءة الاصلية والقول
ناقل عنها فيكون رافعا لحكم البراءة الاصلية وهذا موافق لقاعدة الاحكام ولو قدر ان الفعل كان رافعا لموجب القول
والقول رافع لموجب البراءة الاصلية فيلزم تغيير الحكم مرتين وهو خلاف قاعدة الاحكام واما علم **فصل**
ولما اراد النبي صلى الله عليه وسلم الخروج من مكة تبعته ابنة حمزة تنادي يا عم يا عم فتناولها فتناولها علي فاخذ بيدها

وقال لفاطمة دونك ابنة عمك فحملتها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر فقال علي انا اخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر
ابنة عمي وخالتها تحتي وقال زيد ابنة اخي فقضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام وقال لعلي
انت مني وانا منك وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي وقال لزيد انت اخونا ومولانا متفق على صحته وفي هذه القصة
من الفقه ان الخالة مقدمة في الحضانة على سائر الاقارب بعد الابوين وان تزوجت الخالة بقريب من الطفل لا تسقط حضانتها
ونص احمد في رواية عنه على ان تزوجها لا يسقط حضانتها للجارية واحتج بقصة ابنة حمزة هذه ولما كان ابن العم ليس محرما
لم يفرق بينه وبين الاجنبي في ذلك وقال تزوج الحاضنة لا يسقط حضانتها للجارية وقال الحسن البصري لا يكون تزوجها
مسقطا لحضانتها بحال ذكرا كان الولد او انثى وقد اختلف في سقوط الحضانة بالنكاح على اربعة اقوال احدها يسقط
به ذكرا او انثى وهو قول مالك والشافعي وابي حنيفة واحمد في احدى الروايات عنه والثاني لا تسقط بحال وهو قول
الحسن وابن حزم والثالث ان كان الطفل بنتا لا تسقط الحضانة وان كان ذكرا سقطت وهذه رواية عن احمد وقال
في رواية مهنا اذا تزوجت الام وابنها صغير اخذ منها قيل والجارية تكون مثل الصبي قال لا الجارية تكون معها الى تسع
سنين وحكى ابن ابي موسى رواية اخرى عنه انها احق بالبنت وان تزوجت الى ان تبلغ والرابع انها اذا تزوجت بقريب
من الطفل لم تسقط حضانتها وان تزوجت باجنبي سقطت ثم اختلف اصحاب هذا القول على ثلثة اقوال احدها
يكفي كونه قريبا فقط محرما كان او غير محرم وهذا ظاهر كلام اصحاب احمد واطلاقهم والثاني انه يشترط كونه مع ذلك
ذا رحم محرم وهو قول الحنفية والثالث يشترط مع ذلك ان يكون بينه وبين الطفل ولادة بان يكون جد الطفل وهذا
قول بعض اصحاب احمد ومالك والشافعي وفي القصة حجة لمن قدم الخالة على العمة وقرابة الام على قرابة الاب فانه قضى بها
لخالتها وقد كانت صفية عمتها موجودة اذ ذاك وهذا قول الشافعي ومالك وابي حنيفة واحمد في احد الروايتين عنه
وعنه رواية ثانية ان العمة مقدمة على الخالة وهو اختيار شيخنا وكذلك نساء الاب يقدمن على نساء الام لان الولاية
على الطفل في الاصل للاب وانما قدمت عليه الام لمصلحة الطفل ولكمال تربيتها وكمال شفقتها وحنوها عليه والاناث
اقوم بذلك من الرجال فاذا صار الامر الى النساء فقط او الرجال فقط كانت قرابة الاب اولى من قرابة الام كما يكون الاب
اولى من كل ذكر سواه وهذا قوي جدا ويجاب عن تقديم خالة ابنة حمزة على عمتها بان العمة لم تطلب الحضانة حتى
لها يقضي لها به بطلبه بخلاف الخالة فان جعفرا كان نائبا عنها في طلبها للحضانة ولهذا قضى بها النبي صلى الله عليه وسلم
لها في غيبتها وايضا فكما ان لقرابة الطفل ان يمنع الحاضنة من حضانة الطفل اذا تزوجت فللزوج ان يمنعها من اخذه
وتفرغها له فاذا رضي الزوج باخذه حيث لا يسقط حضانتها لقرابته او لكون الطفل انثى على رواية مكنت من اخذه
وان لم يرض فالحق له والزوج ههنا قد رضي وخاصم في القصة وصفية لم يكن منها طلب وايضا فابن العم لا حضانة للجارية
التي لا تشتهى في احد الوجهين بل وان كانت تشتهى فلا حضانة لها ايضا ويسلم الى امرأة ثقة يختارها هو او الى محرمه

وهذا هو

وهذا هو المختار لان قريبا من عصباتها وهو او لمحرم الاجانب والحاكم وهذا ان كانت طفلة فلا اشكال وان كانت ممن
يشتهى فقد سلمت الى خالتها فهي وزوجها من اهل الحضانة والله اعلم وقوله لزيد ابنة اخي يريد الاخا الذي عقد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينه وبين حمزة لما واخى بين المهاجرين فانه واخى بين اصحابه مرتين فواخا بين المهاجرين بعضهم من بعض
قبل الهجرة على الحق والمواساة فاخى بين ابي بكر وعمر وبين حمزة وزيد بن حارثة وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف وبين
الزبير وبن مسعود وبين عبيدة بن الحارث وبلال وبين مصعب بن عمير وسعد بن ابي وقاص وبين ابي عبيدة وسالم مولى
ابي حذيفة وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله والمرة الثانية اخى بين المهاجرين والانصار في دار انس بن مالك بعد مقدمه
المدينة **فصل** واختلف في تسمية هذه العمرة بعمرة القضاء هل لكونها قضاء للعمرة التي صد واعنها او من المقاضاة
على قولين تقدما قال الواقدي حدثني بن رافع عن ابيه عن بن عمر قال لم تكن هذه العمرة قضاء ولكن كان شرطا على المسلمين
ان يعتمروا في الشهر الذي حاصرهم فيه المشركون واختلف الفقهاء في ذلك على اربعة اقوال احدها ان من احصر عن العمرة يلزمه
الهدي والقضاء وهذا احد الروايتين عن احمد بل اشهرهما عنه والثاني لا قضاء عليه وعليه الهدي وهو قول الشافعي
وملك في ظاهر مذهبه ورواية ابي طالب عن احمد والثالث يلزمه القضاء والاهدي عليه وهو احد الروايات عن احمد فمن
اوجب عليه الهدي والقضاء احتج بان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه نحروا الهدي حيث صدوا ثم قضوا من قابل قالوا
والعمرة تلزم بالشروع ولا يسقط الوجوب الا بفعلها ونحر الهدي لاجل التحلل قبل اتمامها قالوا وظاهر الآية يوجب الهدي
لقوله تعالى فان احصرتم فما استيسر من الهدي ومن لم يوجبها قال لو لم يامر النبي صلى الله عليه وسلم الذين احصروا معه بالقضاء
ولا احدا منهم ولا وقف الحل على نحرهم الهدي بل امرهم ان يحلقوا رؤسهم وامر من كان معه هدي ان ينحر هديه ومن اوجب
الهدي دون القضاء احتج بقوله تعالى فان احصرتم فما استيسر من الهدي ومن اوجب القضاء دون الهدي احتج بان
العمرة تلزم بالشروع فاذا احصر جاز له تاخيرها لعذر الاحصار فاذا زال الحصر اتى بها بالوجوب السابق ولا يوجب
تحلل التحلل بين الاحرام بها اولا وبين فعلها في وقت الامكان شيئا وظاهر القرآن يرد هذا القول ويوجب الهدي
دون القضاء لانه جعل الهدي هو جميع ما على المحصر بل على انه يكتفى به عنه والله اعلم **فصل** وفي نحره صلى الله
عليه وسلم لما احصر بالحديبية دليل على ان المحصر يبدأ بهديه وقت حصره وهذا الاخلاف فيه اذا كان محرما بعمرة وان كان مفردا
او قارنا ففيه قولان احدهما ان الامر كذلك وهو الصحيح لانه احد النسكين فجاز الحل منه ونحر هديه وقت حصره
كالعمرة لان العمرة لا تفوت وجميع الزمان وقت لها فاذا جاز الحل منها ونحر هديها من غير خشية فوات الحج الذي يخشى
فواته اولى وقد قال احمد في رواية حنبل انه لا يحل ولا ينحر الهدي الى يوم النحر ووجه هذا ان للهدي محل زمان
ومحل مكان فاذا عجز عن محل المكان لم يسقط عنه محل الزمان لتمكنه من الاتيان بالواجب في محله الزماني وعلى هذا القول
لا يجوز له التحلل قبل يوم النحر لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله **فصل** وفي نحره صلى الله عليه وسلم

وحمله دليل على ان المحصر بالعمرة يتحلل وهذا قول الجمهور وقد روي عن مالك ان المعتمر لا يتحلل لانه لا يخاف الفوات وهذا
بعيد صحته عن مالك لان الآية انما نزلت في الحديبية وكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كلهم محرمين بعمرة وحلوا كلهم
وهذا مما لا يشك فيه احد من اهل العلم **فصل** وفي ذبحه بالحديبية وهي من الحل بالاتفاق دليل على ان المحصر ينحر
هديه حيث احصر من حل او حرم وهذا قول الجمهور واحمد ومالك والشافعي وعن احمد رواية اخرى ان ليس له نحر هديه الا في
الحرم فيبعثه الى الحرم ويواطئ رجلا على نحره في وقت يتحلل فيه وهذا يروى عن ابن مسعود وجماعة من التابعين وهو قول ابي
حنيفة وهذا ان صح عنهم فينبغي حمله على المحصر الخاص وهو ان يتعرض ظالم لجماعة او لواحد واما الحصر العام فالسنة الثابتة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على خلافه والحديبية من الحل باتفاق الناس وقد قال الشافعي بعضها من الحل وبعضها
من الحرم قلت ومراده ان اطراف الحرم والافي من الحل باتفاقهم وقد اختلف اصحاب احمد في المحصر اذا قدر على اطراف الحل
هل يلزمه ان ينحر هديه في موضعه على قدرته على طرف الحرم وقد اخبر الله سبحانه عن الهدي اذا كان محبوسا عن بلوغ محله
ونصب الهدي بوقوع الصد عليه اي صدوكم عن المسجد الحرام وصدوا الهدي عن بلوغ محله ومعلوم ان صدهم وصد الهدي
استمر ذلك ولم يزل فلم يصلوا فيه الى محل احرامهم ولم يصل الهدي الى محل نحره **فصل** في غزوة مؤتة وهي بارض البلقا
من ارض الشام دون دمشق وكانت في جمادى الاولى سنة ثمان وكان سببها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير
الازدي احد بني لهب بكتاب الى ملك الروم او بصرى فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فاوثقه رباطا ثم قدمه وضرب
عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر فبعث البعوث واستعمل عليهم زيد
بن حارثة وقال ان اصيب فجعفر بن ابي طالب على الناس فان اصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فتجمع الناس وهم ثلثة الاف
فلما حضر النبي صلى الله عليه وسلم خروجهم ودع الناس امراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا فبكى عبد الله بن رواحة
فقالوا ما يبكيك فقال اما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا اية من كتاب الله
يذكر فيها النار وان منكم الاواردها كان على ربكم حتما مقضيا فلست ادري كيف لي بالصدر بعد الورود فقال المسلمون صحبكم
الله وسلم ودفع عنكم ورد كم الينا صالحين فقال عبد الله بن رواحة لكنني اسال الرحمن مغفرة منه وضربة ذات فرغ تقذف
الزبدا او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا حتى يقال اذا مروا على جدثي يا ارشد الله من غاز وقد رشدا
ثم مضوا حتى نزلوا معان فبلغ الناس ان هرقل بالبلقا في مائة الف من الروم وانضم اليهم من لخم وجذام وبلقين وبهرا وبلي
مائة الف فلما بلغ ذلك المسلمين اقاموا على معان ليلتين ينظرون في امرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره
بعدو عددنا فاما ان يمدنا بالرجال واما ان يامرنا بامره فنمضي له فشجع الناس عبد الله بن رواحة فقال يا قوم والله الذي
تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقاتلهم الا بهذا الذي اكرمنا الله به فانطلقوا فانما هي احدى الحسنيين اما ظفر واما شهادة فمضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقا لقيتهم الجموع بقرية يقال لها مشارف

فدنا العدو وانحاز المسلمون الى موتة فالتقى الناس عندها فتعبى المسلمون ثم اقتتلوا والراية في يدي زيد بن حارثة فلم
يزل يقاتل بها حتى شاط في رماح القوم وخر صريعا فاخذها جعفر وقاتل بها حتى اذهقه القتال فاقتحم عن فرسه
فعقرها ثم قاتل حتى قتل وكان جعفر اول من عقر فرسه في الاسلام عند القتال فقطعت يمينه فاخذ الراية بيساره فقطعت يساره
فاحتضن الراية حتى قتل وله ثلاث وثلاثون سنة ثم اخذها عبد الله بن رواحة وتقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل
نفسه ويتردد بعض التردد ثم نزل فاتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بها صلبك فانك قد لقيت ايامك ما لقيت
فاخذها منه فانتهس منها نهسة ثم سمع الحطمة فقال وانت في الدنيا ثم القاه من يده ثم اخذ سيفه وتقدم فقاتل حتى
قتل ثم اخذ الراية ثابت بن ارقم اخو بني العجلان فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم فقالوا انت قال ما انا
بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فاخذ الراية وذافع القوم وحاشى بجمعهم ثم انحاز بالمسلمين وانصرف الناس
وقد ذكر ابن سعد ان الهزيمة كانت على المسلمين والذي في صحيح البخاري ان الهزيمة كانت على الروم والصحيح ما ذكره ابن اسحق
ان كل فئة انحازت عن الاخرى واطلع الله على ذلك رسوله من يومهم ذلك فاخبر به اصحابه وقال لقد رفعوا لي في الجنة فيما
يرى النايم على سرر من ذهب فرايت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه فقلت عم هذا فقيل لي مضيا
وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى وذكر عبد الرزاق عن ابن عيينة عن ابن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل لي جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة مزدركل واحد منهم على سرير فرايت زيدا وابن رواحة في اعناقهما صدود ورايت
جعفرا مستقيما ليس فيه صدود قال فسئلت او قيل لي انهما حين غشيهما الموت اعترضا وكانهما صدا بوجوههما واما
جعفر فانه لم يفعل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في جعفر ان الله ابدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء
قال ابو عمر وروينا عن ابن عمر انه قال وجدنا ما بين صدر جعفر ومنكبه وما اقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة
بسيف وطعنة برمح وقال موسى بن عقبة قدم يعلى بن امية على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر اهل موتة فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخبرهم كلهم ووصفهم له فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا لم تذكره وان امرهم لكما ذكرت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله رفع لي الارض فرايت معتركهم واستشهد يومئذ جعفر وزيد بن حارثة وابن رواحة وسعود
بن الاوس ووهب بن سعد بن ابي سرح وعباد بن قيس وحارثة بن النعمان وسراقة بن عمرو بن عطية وابو كليب وجابر بن عمرو
بن زيد وعمرو بن سعد بن الحارث وغيرهم قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن ابي بكر انه حدث عن يزيد بن ارقم قال كنت يتيما
لعبد الله بن رواحة فخرج في سفره ذلك وزودني على عقبة رحله فوالله انه ليسير ليلة اذ سمعته يقول وينشد
اذا ادنيتني وحملت رحلي مسيرة اربع بعد الحساء فشانك فانعمي وخلاك ذم ولا ارجع الى اهلي وراءي
وجاء المسلمون وغادرني هناك بارض الشام مشهور الثواء **فصل** وقد وقع في النهدي وغيره ان رسول الله

دخل مكة يوم الفتح وعبد الله بن رواحة ينشد بين يديه خلوا بني الكفار عن سبيله الابيات وهذا وهم فان بن رواحة
قتل في هذه الغزوة وهي قبل الفتح باربعة اشهر وانما كان ينشد بين يديه بشعر بن رواحة وهذا مما لا خلاف فيه بين
اهل النقل **فصل** في غزوة ذات السلاسل وهي وراء وادي القرى بضم السينين الاولى وفتحهما لغتان وبينها
وبين المدينة عشرة ايام وكانت في جمادى الاخرة سنة ثمان قال ابن سعد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من قضاعة
قد تجمعوا يريدون ان يدنوا الى اطراف المدينة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص فعقد له لواء ابيض وجعل
معه راية سوداء وبعثه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا وامره ان يستعين بمن مر به من بلي وعذرة
وبلقين فسار الليل وكمن النهار فلما قرب من القوم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستمده فبعث اليه ابا عبيدة بن الجراح في مائتين وعقد له لواء وبعث اليه سراة المهاجرين والانصار وفيهم ابو بكر وعمر وامره
ان يلحق بعمرو ان يكونا جميعا ولا يختلفا فلما لحق به اراد ابو عبيدة ان يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت علي مددا وانا الامير
فاطاعه ابو عبيدة وكان عمرو يصلي بالناس وسار حتى اتى بلاد قضاعة فدوخها حتى اتى الى اقصى بلادهم ولقي في اخر
ذلك جمعا فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا وبعث عوف بن مالك الاشجعي يريد الحرسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره بتفرقهم في سلامتهم وما كان في غزاتهم وذكر اسحق نزولهم على ماء بجذام يقال له السلسل فلهذا سميت ذات
السلاسل قال الامام احمد ثنا محمد بن ابي عدي عن داود عن عامر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش ذات السلاسل
واستعمل ابا عبيدة على المهاجرين وعمرو بن العاص على الاعراب وقال لهما تطاوعا قالوا وكانوا امروا ان يغزوا على بكر فانطلق
عمرو واخاز على قضاعة (ان بكرا) اخوالهم قال فانطلق المغيرة بن شعبة الى ابي عبيدة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك علينا
وان فلانا قد اتبع اكثر القوم فليس معه امر فقال ابو عبيدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا ان نتطاوع فانا اطيع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان عصاه عمرو **فصل** وفي هذه الغزوة احتلم امير الجيش عمرو بن العاص وكانت ليلة
باردة فخاف على نفسه من الاغتسال بالماء فتيمم وصلى باصحابه الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو صليت
باصحابك وانت جنب فاخبره بالذي منعه من الاغتسال وقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ولا تقتلوا انفسكم
ان الله كان بكم رحيما فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا وقد احتج بهذه القصة من قال ان التيمم لا يرفع الحدث
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه جنبا بعد تيممه واجاب من زعم ذلك بثلاثة اجوبة احدها ان اصحابه لما شكوا مما
قالوا صلى بنا الصبح وهو جنب فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال صليت باصحابك وانت جنب استفهاما واستعلاما
فلما اخبره بعذره وان التيمم للحاجة اقره على ذلك الثاني ان الرواية اختلفت عنه فروي عنه فيها اذا غسل مغابنه وتوضأ
وضوءه للصلوة ثم صلى بهم ولم يذكر التيمم وكان هذه الرواية اقوى قال عبد الحق وقد ذكر رواية التيمم قبلها ثم قال
وهذا اوصل من الاول لانه عن عبد الرحمن بن جبير المصري وعن الجفيس مولى عمرو عن عمرو والاولى التي فيها التيمم من رواية

عبد الرحمن

عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص لم يذكر بينهما ابا قيس الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يستعلم فقه عمرو
في تركه الاغتسال فقال له صليت باصحابك وانت جنب فلما اخبره انه تيمم للحاجة علم فقهه فلم ينكر عليه ويدل عليه
ان ما فعله عمرو من التيمم كان خشية الهلاك بالبرد كما اخبر به والصلوة بالتيمم في هذه الحالة غير منكر على فاعلها
فعلم انه اراد استعلام فقهه او علمه والله اعلم **فصل** في سرية الخبط وكان اميرها ابا عبيدة بن الجراح وكانت
في رجب سنة ثمان فيما انبانا به الحافظ ابو الفتح محمد بن سيد الناس في كتاب عيون الاثر له وهو عندي وهم كما سنذكره
ان شاء الله قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة بن الجراح في ثلثمائة من المهاجرين والانصار فيهم عمر بن الخطاب
الى حي جهينة بالقبلية مما يلي ساحل البحر وبينها وبين المدينة خمس ليال فاصابهم في الطريق جوع شديد فاكلوا الخبط
والقى لهم البحر حوتا عظيما فاكلوا منه نصف شهر وادهنوا حتى ثابت منه اجسامنا فصلحت واخذ ابو عبيدة
ضلعا من اضلاعه فنظر الى اطول رجل في الجيش واطول جمل فحمل عليه ومر تحته وتزودنا من لحمه وشائق فلما قدمنا
المدينة اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال هو رزق اخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء تطعمونا
فارسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فاكل قلت وهذا السياق يدل على ان هذه الغزوة كانت قبل الهدنة
وكانت قبل عمرة الحديبية فانه مر حين صالح اهل مكة بالجحفة بيبيه لم يكن يرصدهم عيرا بل كان زمن امن وهدنة الى حين
الفتح ويبعد ان تكون سرية الخبط على هذا الوجه مرتين مرة قبل الفتح ومرة بعده والله اعلم **فصل** في فقه
هذه القضية ففيها جواز القتال في الشهر الحرام ان كان ذكر التاريخ فيها برجب محفوظا والظاهر والله اعلم انه وهم غير
محفوظ اذ لم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه غزا في الشهر الحرام ولا اغار فيه ولا بعث في سرية وقد غير المشركون على
المسلمين بقتالهم في اول رجب في قصة العلاء بن الحضرمي وقالوا استحل محمد الشهر الحرام وانزل الله في ذلك يسئلونك
عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير الآية ولم يثبت نسخ هذا بنص يجب المصير اليه ولا اجمعت الامة على نسخه
وقد استدل على تحريم القتال في الاشهر الحرم بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والاجمع
في هذا فان الاشهر الحرم هنا هي اشهر التسيير الاربعة التي سير الله فيها المشركين في الارض يامنون فيها وكان اولها
يوم الحج الاكبر عاشر ذي الحجة واخرها عاشر ربيع الاخر هذا هو الصحيح في الآية لوجوه عديدة ليس هذا موضعها وفيها
جواز اكل ورق الشجر عند المخمصة وكذلك عشب الارض وفيها جواز للامام وامير الجيش للغزاة عن نحرظهرهم ولنا احتاجوا
خشية ان يحتاجوا الى ظهرهم عند لقاء عدوهم ويجب عليهم الطاعة اذا نهاهم وفيها جواز اكل ميتة البحر والها لم تدخل

في عموم قول الله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وقد قال نعم احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وقد صح
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وعبد الله بن عباس وجماعة من الصحابة ان صيد البحر ما صيد منه وطعامه ما مات فيه وفي السنن
عن ابن عمر مرفوعا وموقوفا احلت لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالسمك والجراد واما الدمان فالكبد والطحال وحديث
حسن وهذا الموقوف في حكم المرفوع لان قول الصحابة احلت لنا كذا وحرم علينا كذا يضرف الى احلال النبي صلى الله عليه وسلم
وتحريمه فان قيل فالصحابة في هذه الواقعة كانوا مضطرين فلهذا اكلوها قلنا انهم اكلوها وقالوا نخشى
ان نموت جوعا ولو كانوا مضطرين لاكلوا الميتة كما اكلوا الخنزير بعد ان حرم عليهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
قيل لا ريب انهم كانوا مضطرين ولكن وهب الله لهم من الرزق اطيبه واحله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لهم بعد
ان قدموا عليه هل بقي معكم من لحمه شيء قالوا نعم فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم وقال انما هو رزق ساقه الله لكم ولو كان
هذا رزق مضطر لم يأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم في حال الاختيار ثم لو كان اكلهم منها للضرورة فكيف تساغ لهم
ان يدهنوا بودكها ويحسوا به بثياهم وابدانهم وايضا فكثير من الفقهاء لا يجوز السبع من الميتة وانما يجوزون منها
سدار مق والسرية اكلت منها حتى ثابت اليهم اجسامهم وسمنوا وتزودوا منها فان قيل انما يتم الاستدلال
بهذه القصة اذا كانت هذه الدابة قد ماتت في البحر ثم القاها البحر ميتة ومن المعلوم انه كما يحتمل ذلك ان يكون البحر
قد جزر عنها وهي حية فماتت بمفارقة الماء وذلك ذكاتها وذكاة حيوان البحر ولا سبيل الى دفع هذا الاحتمال كيف وفي
بعض طرق الحديث فجزر البحر عن حوت كالضرب قيل هذا الاحتمال مع بعده جدا فانه يكاد يكون خرقا للعادة
فان مثل هذه الدابة اذا كانت حية انما تكون في لجة البحر وثبجه دون ساحله ومارق منه ودنا من البر وايضا فانه لا
يكفي ذلك في الحل لانا اذا شككنا في السبب الذي مات به الحيوان هل هو سبب مبيح له او غير مبيح لم يحل الحيوان كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم في الصيد يرمى بالسهم ثم يوجد في الماء وان وجده غريقا في الماء فلا تاكله فانك لا تدري الماء قتله
او سهمك فلو كان الحيوان البحري حراما اذا مات في البحر لم يبح وهذا مما لا يعلم فيه خلاف بين الامة وايضا فلو لم تكن
هذه النصوص مع الميتين لكان القياس الصحيح معهم فان الميتة انما حرمت لاحتقان الرطوبات والفضلات
والدم الخبيث فيها والذكاة لما كانت تزيل ذلك والموت فالموت لا يقتضي التحريم فانه حاصل بالذكاة
كما يحصل بغيرها فاذا لم يكن في الحيوان دم وفضلات تزيلها الذكاة لم تحرم بالموت ولم يشترط لحله ذكاة كالجراد ولهذا
لا ينجس بالموت ما لا نفس له سائلة كالذباب والنحل ونحوهما والسمك من هذا الضرب فانه لو كان له دم وفضلات تحتقن
بموته لم تحل بموته بغير ذكاة ولو لم يكن فرق بموته في الماء وموته خارجه اذ من المعلوم ان موته في البر لا يذهب تلك الفضلات
التحريم عند المحرمين اذا مات في لجة البحر ولو لم يكن في المسئلة نصوص لكان هذا القياس كافيا والله اعلم **فصل**
وفيها دليل على جواز الاجتهاد في الوقائع في حياة النبي صلى الله عليه وسلم واقراره على ذلك ولكن هذا كان في حال الحاجة

الى الاجتهاد وعدم تمكنهم من مراجعة النص وقد اجتهد ابو بكر وعمر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة وقايع واقرهم
على ذلك لكن في قضايا جزئيات معينة لا في احكام عامة وشرائع كلية فان هذا لم يقع من احد من الصحابة في حضوره صلى الله
عليه وسلم البتة **فصل في الفتح الاعظم** الذي اعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الامين واستفتح به
بلده وبيته الذي جعله هديا للعالمين فرايت الكفار المشركين وهو الفتح الذي استبشر به اهل السماء وضربت اطناب عزه
على مناكب الجوزاء ودخل الناس به في دين الله افواجا واشرقت به وجه الارض ضياء وابتهاجا وخرج لرسول الله صلى الله عليه
وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن سنة ثمان لعشر مضين من شهر رمضان واستعمل على المدينة ابا رهم كلثوم بن الحصين
الغفاري وقال ابن سعد بل استعمل عبد الله بن ام مكتوم وكان السبب الذي خرج اليه وجد عليه فيما ذكر اهل المغازي والسير
والاخبار محمد بن اسحاق وغيره ان بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة وهم على ماء يقال له الوتير بنيتوهم وقتلوا منهم
وكان الذي اهاج ذلك ان رجلا من بني الحضرمي يقال له مالك بن عباد خرج تاجرا فلما توسط ارض خزاعة عدوا عليه فقتلوه واخذوا ماله
فعدت بنو ابكر على رجل من خزاعة فقتلوه فعدت خزاعة على بني الاسود وهم سلمى وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفة عند انصاب الحرم
وهذا كله قبل المبعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء الاسلام حجز بينهم وتشاغل الناس بشانه فلما كان صلح الحديبية
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش وقع الشرط انه من احب ان يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل
ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما استقرت الهدنة اغتنمها بنو ابكر من خزاعة واراد وا ان يصيبوا منهم الثار القديم فخرج نوفل بن معوية الدئلي في جماعة من
بني بكر فبيت خزاعة وهم على الوتير فاصابوا منهم رجلا وتناوشوا واقتتلوا واعانت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم فرقة من قريش
فرقا تل مستخفيا الليلا ذكر ابن سعد منهم صفوان بن امية وحويطب بن عبد العزى ومكرز حفص حتى جاوزوا خزاعة الى الحرم فلما
انتهوا اليه قالت بنو ابكر يا نوفل انا قد دخلنا الحرم الهك الهك فقال كلمة عظيمة لا الاله اليوم يا بني بكر اصيبوا ثاركم فلعمري انكم
لتسرقون في الحرم فلا تصيبون ثاركم فيه فلما دخلت خزاعة مكة لجاؤا الى دار بديل بن ورقا الخزاعي ودار مولى لهم يقال له رافع و
خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني اصحابه فقال

يارب اني ناشد محمدا ... حلف ابينا وابيه الاتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ... ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصر ايدا ... وادع عباد الله ياتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ... ابيض مثل البدر يسمو صعدا
ان ثم خسفا وجهه تربدا ... في فيلق كالبحر يجري مزبدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداء رصدا ... وزعموا ان لست تدعو احدا
وهم اذل واقل عددا ... هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا ... يقول قتلنا وقد اسلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت نصرت
يا عمرو بن سالم ثم عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سحابة فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب ثم خرج بديل بن ورقا في نفر من خزاعة
حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بما اصيب فيهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم رجعوا الى مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

للناس كانكم بابي سفيان وقد جاء يشد العقدة ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقا في اصحابه حتى لقوا ابا سفيان بن حرب بعسفان
وقد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد العقدة ويزيد في المدة وقد هيبوا الذي صنعوا فلما لقي ابو سفيان بديل بن
ورقا قال من اين اقبلت يا بديل فظن انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي
قال أوما جئت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى فاتى منزل رحله
فاخذ من بعرها ففتته فرأى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته
ام حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ما ادري ارغبت بي عن هذا الفراش
ام رغبت به عني قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت مشرك نجس قال والله لقد اصابك بعدي شر ثم خرج
حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب الى ابي بكر فكلمه ان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا
بفاعل شيئا ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال انا اشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به ثم
جاء فدخل على علي بن ابي طالب وعنده فاطمة والحسن غلام يدب بين يديهما فقال يا علي انك امس القوم بي رحما واني قد جئت
في حاجة فلا ارجعن كما جئت خائبا اشفع لي الى محمد فقال ويحك يا ابا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر
ما نستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال لهل لك ان تامري ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر
قالت والله ما يبلغ ابني ذاك ان يجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا الحسن اني ارى الامور
قد اشتدت علي فانصحني قال والله ما اعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم واجر بين الناس ثم الحق بارضك قال أو
ترى ذلك مغنيا عني شيئا قال لا والله ما اظنه ولكني لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال ايها الناس اني
قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال والله جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيئا
ثم جئت ابن ابي قحافة فلم اجد فيه خيرا ثم جئت عمر بن الخطاب فوجدته ادنى العدو ثم جئت عليا فوجدته الين القوم وقد اشار
علي بشيء صنعته فوالله ما ادري هل يغني شيئا ام لا قالوا وبم امرك قال امرني ان اجير بين الناس ففعلت قالوا فهل اجار
ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله ان زاد الرجل على ان لعب بك قال لا والله ما وجدت غير ذلك وامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله بحمله فدخل ابو بكر على ابنته عائشة وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا بنية امرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجهيزه قالت نعم قال اين ترينه يريد قالت لا والله ما ادري ثم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعلم الناس اني سائر الى مكة وامرهم بالجد والتجهيز وقال اللهم خذ العيون والاخبار على قريش حتى نبغتها في بلادها
فتجهز الناس فكتب حاطب بن ابي بلتعة الى قريش كتابا يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ثم اعطاه امراة وجعل لها
جعلا على ان تبلغ قريشا فجعلته في قرون راسها ثم خرجت به واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب
فبعث عليا والزبير وغير بن اسحق يقول بعث عليا والمقداد فقال انطلقا حتى تاتيا روضة خاخ فان بها ظعينة معها

كتاب الى قريش فانطلقا تعادى بهما خيلهما فلما وجدا المراة بذلك المكان فاستنزلاها وقالا معك كتاب فقالت ما معي كتاب
فنقشاها ورحلها فلم يجدا فيه شيئا فقالا لها علي احلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا والله لتخرجن الكتاب
او لنجردنك فلما رات الجد منهما قالت اعرض فاعرض فحلت قرون راسها واستخرجت الكتاب منها فدفعته اليهما فاتيا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى قريش يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حاطبا فقال له ما هذا يا حاطب قال لا تعجل علي يا رسول الله والله اني لمؤمن بالله ورسوله ما ارتددت ولا ابدلت وكنت امرأ
ملصقا في قريش لست من انفسهم وبني فيهم اهل وعشيرة وولد وليس لي فيهم قرابة يحمونهم وكان من معك لهم قرابة يحمون
بها اهليهم فاحببت اذ فاتني ذلك ان اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله دعني اضرب عنقه
فانه قد خان الله ورسوله وقد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع
على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو صائم والناس صيام حتى اذا كانوا بالكديد وهو الذي يستميد الناس قديدا افطر وافطر الناس معه ثم مضى حتى
نزل مر الظهران وهو بطن مر ومعه عشرة الاف وعمي الاخبار على قريش فهم على وجل وارتقاب وكان ابو سفيان
يخرج يتحسس الاخبار وكان العباس قد خرج باهله وعياله مسلما مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وقيل
فوق ذلك وكان ممن لقيه بالطريق ابن عمه ابو سفيان بن الحارث وعبد الله بن ابي امية لقياه بالابواء وهما ابن عمه وابن عمته فاعرض
عنهما لما كان يلقى منهما من شدة الاذى والهجو فقالت له ام سلمة لا يكون ابن عمك وبن عمتك اشقى الناس بك وقال علي لابي سفيان
فيما حكاه ابو عمر انت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قالت لاخوة يوسف تالله لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى ان يكون احد احسن منه قولا ففعل ذلك ابو سفيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فانشده ابو سفيان ابياتا منها "لعمرك اني حين احمل رايتي"
"لتغلب خيل اللات خيل محمد" "لكالمدلج الحيران اظلم ليله" "فهذا اواني حين اهدى واهتدي" "هداني هاد غير نفسي ودلني"
"على الله من طردته كل مطرد" فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال انت طردتني كل مطرد وحسن اسلامه بعد ذلك
ويقال انه ما رفع راسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلم حياء منه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه وشهد له بالجنة
وقال ارجو ان تكون خلفا من حمزة ولما حضرته الوفاة قال لا تبكوا علي فما تطقت بخطيئة منذ اسلمت عاد الحديث
فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران نزله عشاء فامر الجيش فاوقدوا النيران فاوقدت عشرة الاف نار وجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحرس عمر بن الخطاب وركب العباس بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء وخرج يلتمس لعله
يجد بعض الحطابة او احدا يخبر قريشا ليخرجوا ويستامنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يدخلها عنوة قال والله اني
لاسير عليها اذ سمعت كلام ابي سفيان وبديل بن ورقا وهما يتراجعان وابو سفيان يقول ما رايت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا

قال يقول بديل هذه واسه خزاعة حمشتها الحرب فيقول ابو سفيان خزاعة اقل واذل من ان تكون هذه نيرانها قال فعرف صوته
فقلت يا ابا حنظلة فعرف صوتي فقال ابا الفضل قلت نعم قال مالك فداك ابي وامي قال قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الناس واصباح قريش والله قال فما الحيلة فداك ابي وامي قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه
البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك فركب خلفي ورجع صاحباه قال فجئت به فكلما مررت بنار
من نيران المسلمين قالوا من هذا واذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على
بغلته قال فلما مررت بنار عمر بن الخطاب قام من هذا فقام الي فلما رآى ابا سفيان على عجز الدابة قال ابو سفيان عدو الله
الحمد لله الذي امكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته
فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا ابو سفيان قد عني
اضرب عنقه فقلت يا رسول الله اني قد اجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه
الليلة احد دوني فلما اكثر عمر في شانه قلت قد جهدت يا عمر فوالله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت مثل هذا
فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك كان احب الي من اسلام الخطاب لو اسلم وما بي الا اني قد عرفت ان اسلامك كان احب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت فائتني به
فذهبت به فلما اصبحت غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا ابا
الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك لقد ظننت ان لو كان مع الله غيره
لقد اغنى عني شيئا بعد قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك
اما هذه فان في النفس حتى الآن منها شيئا فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
قبل ان تضرب عنقك فاسلم وشهد شهادة الحق فقال العباس يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا
قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن وامر العباس ان يحبس
ابا سفيان في مضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله ليراها فمرت القبايل على رايتها كلما مرت قبيلة قال
قال يا عباس من هذه فاقول سليم فيقول مالي ولسليم ثم تمر به القبيلة فيقول من هذه يا عباس فاقول مزينة فيقول مالي
ولمزينة حتى تعدين القبايل ما تمر به قبيلة الا سالني عنها فاذا اخبرته بهم قال مالي ولبني فلان حتى مرت به رسول الله
صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء
قال قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار وما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ثم قال والله يا ابا
الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك اليوم عظيما قال قلت يا ابا سفيان انها النبوة قال فنعم اذن قال قلت النجا الى قومك قال فكانت
رايته الانصار مع سعد بن عباده فلما مر بابي سفيان قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اذل الله قريشا فلما حاذى رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ابا سفيان قال يا رسول الله اسلم تسمع ما قال سعد قال وما قال قال كذا وكذا فقال عثمان وعبد الرحمن
ابن عوف يا رسول الله ما نامن ان تكون له في قريش صوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اليوم يعظم الله فيه الكعبه
اليوم يوم اعز الله فيه قريشا ثم ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد فنزع منه اللواء ودفعه الى ابنه قيس ورأى
ان اللواء لم يخرج عن سعد اذ صار الى ابنه قال ابو عمر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزع منه الراية دفعها الى الزبير
ومضى ابو سفيان حتى اذا جاء قريشا صرخ باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار
ابي سفيان فهو امن فقامت اليه هند بنت عتبه فاخذت بشاربه وقالت اقتلوا الحميت الدسم الاحمش قبح من طليعة قوم
قال ويحكم لا تغرنكم هذه من انفسكم فانه قد جاءكم بما لا قبل لكم به من دخل داره ابي سفيان فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن
قالوا قاتلك الله وما تغني عنا دارك قال ومن اغلق عليه بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن فتفرق الناس الى دورهم
والى المسجد فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل مكة من اعلاها وضربت له هناك قبة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد ان يدخلها من اسفلها وكان على المجنبة اليمنى وفيها اسلم وسليم وغفار ومزينه وجهينه وقبايل من قبايل العرب
وكان ابو عبيدة على الرجاله والحسر وهم الذين لا سلاح معهم وقال لخالد ومن معه ان عرض لكم احد من قريش فاحصدوهم
حصدا حتى توافوني على الصفا فما عرض لهم احد الا اماتوه وتجمع سفهاء قريش واخفاطها مع عكرمة بن ابي جهل وصفوان
بن امية وسهيل بن عمرو بالخندمة ليقاتلوا المسلمين وكان حماس بن قيس بن خالد اخو بني بكر بعدة سلاحا فلما دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له امراته لما ذا اعد ما ارى قال لمحمد واصحابه قالت والله ما يقوم لمحمد واصحابه شيء قال
والله اني لارجو ان اخدمك بعضهم ثم قال ان يقبلوا اليوم فما بي علة هذا سلاح كامل والله وذو اغرار يرى مع
ثم شهد الخندمة مع عكرمة وصفوان وسهيل فلما لقيهم المسلمون ناوشوهم شيئا من قتال فقتل كرز بن جابر الفهري
وحبيش بن خالد بن ربيعة من المسلمين وكانا في خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غيره فقتلا جميعا واصيب
من المشركين نحو اثني عشر رجلا ثم انهزموا وانهزم حماس صاحب السلاح حتى دخل بيته فقال لامراته اغلقي علي الباب
فقالت اين ما كنت تقول فقال انك لو شهدت يوم الخندمة اذ فر صفوان وفر عكرمة واستقبلوا بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة ضربا فلا تسمع الا غمغمة لهم نهيت حولنا وهمهمة لم تنطق في اللوم ادنى كلمة
وقال ابو هريرة اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل مكة فبعث الزبير على احدى المجنبتين وبعث خالدا على المجنبة الاخرى
وبعث ابا عبيدة بن الجراح على الحسر فاخذوا بطن الوادي ورسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته وقد وبشت قريش اوباشا
لها فقالوا نقدم هؤلاء فان كان لقريش شيء كنا معهم وان اصيبوا اعطينا الذي سئلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابا هريرة فقلت لبيك فقال الهتف لي بالانصار ولا ياتيني الا انصاري فهتفت بهم فجاؤا فاطافوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اترون الى اوباش قريش واتباعهم ثم قال بيديه احداهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا

فانطلقنا فما شا احد منا ان يقتل منهم الا قتل ما شا وما احد منهم وجه الينا شيئا و ركزت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحجون عند مسجد الفتح ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والانصار بين يديه وحوله وخلفه حتى دخل المسجد
فاقبل الى الحجر الاسود فاستلمه ثم طاف بالبيت وفي يده قوس وحول البيت وعليه ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها
بالقوس ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والاصنام
تتساقط على وجوهها وكان طوافه على راحلته ولم يكن محرما يومئذ فاقتصر على الطواف فلما اكمله دعى عثمان بن طلحة
فاخذ منه مفتاح الكعبة فامر بها ففتحت فدخل فرأى فيها الصور ورأى صورة ابرهيم واسمعيل يستقسمان بالازلام
فقال قاتلهم الله استقسما بهما قط ورأى في الكعبة حمامة من عيدان فكسرها بيده وامر بالصور فحيت ثم اغلق عليه
الباب وعلى اسامة وبلال فاستقبل الجدار الذي يقابل الباب حتى اذا كان بينه وبينه ثلاثة اذرع وقف وصلى هناك
ثم دار في البيت وكبر في نواحيه ووحد الله ثم فتح الباب وقريش قد ملأت المسجد صفوفا ينظرون ماذا يصنع فاخذ
بعضادة الباب وهم تحته فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده
الا كل مأثرة او مال او دم فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتيل الخطا شبه العمد بالسوط
والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل اربعون منها في بطونها اولادها يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية
وتعاظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلى هذه الآية يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل
لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم
وابن اخ كريم ثم قال اقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء ثم جلس في المسجد
فقام اليه علي ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اين عثمان بن طلحة فدعي له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء وذكر بن سعد في الطبقاة
عن عثمن بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوما يريد ان يدخل
الكعبة مع الناس فاغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال يا عثمن لعلك ترى هذا المفتاح يوما بيدي اضعه حيث
شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة ووقعت كلمته مني
مني موقعا ظننت ان الامر سيصير الى ما قال فلما كان يوم الفتح قال يا عثمن ائتني بالمفتاح فاتيته به فاخذه مني
ثم دفعه الي وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها الا ظالم يا عثمان ان الله استامنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم
من هذا البيت بالمعروف قال فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال الم يكن الذي قلت لك قال فذكرت قوله لي بمكة
قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي اضعه حيث شئت فقلت بلى اشهد انك رسول الله وذكر سعيد
ابن المسيب ان العباس تطاول يومئذ لاخذ المفتاح في رجال من بني هاشم فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عثمن بن طلحة

واما رسول الله

وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ان يصعد فيؤذن على الكعبة وابو سفين بن حرب وعتاب بن اسيد والحارث
بن هشام واشراف قريش جلوس بفنا الكعبة فقال عتاب لقد اكرم الله اسيدا ان لا يكون سمع هذا وسمع منه ما يغيضه
فقال الحارث انا والله لو اعلم انه حق لاتبعته فقال ابو سفيان انا والله لا اقول شيئا لو تكلمت لاخبرت عني هذه
الحصبا فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم لقد علمت الذي قلتم ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب
نشهد انك رسول الله والله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك

فصل

ثم دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم دار ام هانى بنت ابى طالب فاغتسل وصلى ثمانى ركعات في بيتها فظنتها صلوة الضحى وانما هي صلوة الفتح
وكانت امراة الاسلام اذا افتحموا حصنا او بلدا صلوا عقيب الفتح هذه الصلوة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي القصة ما يدل على انها بسبب الفتح شكرا لله عليه فانها قالت ما رايته صلاها قبلها ولا بعدها واجارت ام هانى
حموين لها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم قد اجرنا ما اجرت يا ام هانى

فصل

ولما استقر الفتح امن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كلهم الا تسعة نفر فانه امر بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة وهم عبد الله بن سعد
بن ابى سرح وعكرمة بن ابى جهل وعبد العزى بن خطل والحويرث بن نقيذ بن وهب وقيس بن صبابة وهبار بن الاسود
وقينتان بن خطل كانتا يغنيان بهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم وسارة مولاة لبعض بني عبد المطلب فاما ابن سرح
فاسلم فجاء به عثمان بن عفان فاستامن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل منه بعد ان امسك عنه جاء ان يقوم اليه
بعض اصحابه فيقتله وكان قد اسلم بعد ذلك وهاجر ثم ارتد ورجع الى مكة واما عكرمة بن ابى جهل فاستامنت له
امراته بعد ان فر فامنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم واسلم وحسن اسلامه واما مقيس وبن خطل والحارث
واحدى القينتين فقتلوا وكان مقيس قد اسلم ثم ارتد وقتل والحق بالمشركين واما هبار بن الاسود فهو الذي عرض
لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر فنخس بها حتى سقطت على صخرة واسقطت جنينها ففر ثم اسلم
وحسن اسلامه واستومن رسول الله صلى الله عليه وسلم لسارة ولاحد القينتين فامنهما فاسلمتا فلما كان الغد
من يوم الفتح قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس خطيبا فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو اهله ثم قال ايها الناس
ان الله حرم مكة يوم خلق السموت والارض فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيمة ولا يحل لامرئ يومن بالله واليوم الاخر ان يسفك
بها دما او يعضد بها شجرة فان احد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم
ياذن لكم وانما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ولما فتح الله
مكة على رسوله وهي بلده ووطنه ومولده قالت الانصار فيما بينهم اترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه
ارضه وبلده يقيم بها وهو يدعوا على الصفا رافعا يديه فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول
فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وهم فضالة بن عبيد المقوم

ان يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنى منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضالة قال نعم
فضالة ترى يا رسول الله قال ما كنت تحدث به نفسك قال لا شيء كنت اذكر الله فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر
ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه قال
فضالة فرجعت الى اهلي فمررت بامرأة كنت اتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت يا بجاد عليك والاسلام ثم قال
فلو قد رأيت محمدا وقبيلة يوم تكسر الاصنام يعني لرأيت دين الله اضحى يتنا والشرك يغشى وجهه الاظلام
وفر يومئذ صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل فاما صفوان فاستامن له عمير بن وهب الجمحي رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه
واعطاه عمامته التي دخل بها مكة فلحقه عمير وهو يريد ان يركب البحر فرده فقال اجعلني بالخيار شهرين فقال انت بالخيار
اربعة اشهر وكانت ام حكيم بنت الحارث ابن هشام تحت عكرمة بن ابي جهل فاسلمت واستامنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامنه فلحقته باليمن فردته واقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصفوان على نكاحهما الاول ثم امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بني اسد الخزاعي فجذوا انصاب الحرم وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم سراياه الى الاوثان التي كانت حول الكعبة
فكسرت كلها منها اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ونادى مناديه بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدع في بيته
صنما الا كسره فبعث خالد بن الوليد الى العزى لخمس ليال بقين من رمضان ليهدمها فخرج اليها في ثلثمائة فارس من اصحابه حتى
انتهوا اليها فهدمها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال هل رأيت شيئا قال لا قال فانك لم تهدمها فارجع
اليها فاهدمها فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الراس فجعل السادن يصيح بها
فضربها خالد فجزلها اثنتين ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال نعم تلك العزى وقد يئست ان تعبد
في بلادكم ابدا وكانت بنخلة وكانت لقريش وجميع بني كنانة وكانت اعظم اصنامهم وكانت سدنتها بنو شيبان ثم
بعث عمرو بن العاص الى سواع وهي صنم لهذيل ليهدمه قال عمرو فانتهيت اليه وعنده السادن فقال ما تريد فقلت امرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهدمه فقال لا تقدر على ذلك قلت لم قال لم تمنع قلت حتى الآن انت على الباطل ويحك وهل
يسمع او يبصر قال فدفوت منه فكسرته وامرت اصحابي فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيه شيئا ثم قلت للسادن كيف
رأيت قال اسلمت لله ثم بعث سعد بن زيد الاشهلي الى مناة وكانت بالمشلل عند قديد للاوس والخزرج وغسان
وغيرهم فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى اليها وعندها سادن فقال السادن ما تريد قال لهدم مناة قال انت وذاك فاقبل سعد
يمشي اليها فخرج اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الراس تدعوا بالويل وتضرب صدرها فقال السادن مناة دونك بعض
غضبائك وضربها سعد فقتلها واقبل الى الصنم فهدمه وكسره ولم يجد وافي خزانته شيئا ذكر سرية خالد
بن الوليد الى بني جذيمة قال ابن سعد ولما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعثه الى بني جذيمة داعيا
الى الاسلام ولم يبعثه مقاتلا فخرج في ثلثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والانصار وبني سليم فانتهى اليهم فقال ما انتم فقالوا اسلمنا

قد صلينا

قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا واذنا فيها فقال فما بال السلاح عليكم قالوا ان بيننا وبين قوم
من العرب عداوة فخفنا ان تكونوا هم وقد قيل لهم قولوا اصبانا ولم يحسنوا ان يقولوا اسلمنا قال فضعوا
السلاح فوضعوه فقال لهم استاسروا القوم فاستاسر القوم فامر بعضهم فكتف بعض وفرقهم في اصحابه فلما كان
في السحر نادى منادي خالد فمن كان معه اسير فليضرب عنقه فلما يتواسلم فقتلوا من كان في ايديهم واما المهاجرون
والانصار فارسلوا اسراهم فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما صنع خالد فقال اللهم اني ابرء اليك مما صنع خالد وبعث عليا
فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم وكان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف في ذلك كلام وشر فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال مهلا يا خالد دع عنك اصحابي فوالله لو كان احد ذهبا ثم انفقته في سبيل الله ما ادركت غدوة رجل من
اصحابي ولا روحته وكان حسان بن ثابت قد قال في عمرة الحديبية عفت ذات الاصابع فالجواء ... الى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحمحاس قفر ... تعفتها الروامس والسماء ... وكانت لا يزال بها انيس ... خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف ... يؤرقني اذا ذهب العشاء ... لشعثاء التي قد تيمته ... فليس لقلبه منها شفاء
كان سبيئة من بيت راس ... يكون مزاجها عسل وماء ... اذا ما الاشربات ذكرن يوما ... فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة ان الينا ... اذا ما كان مغث او لحاء ... ونشربها فتترك كنا ملوكا ... واسدا ما ينهنهنا اللقاء
عدمنا خيلنا ان لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء ... بنا نزعن الاعنة مصغيات ... على اكتافها الاسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات ... تلطمهن بالخمر النساء ... فاما تعرضوا عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لجلاد يوم ... يعز الله فيه من يشاء ... وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد سارت كلمة ... يقول الحق ليس بها خفاء ... وقال الله قد يسرت جندا ... هم الانصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد ... سباء او قتال او هجاء ... فنلحم بالقوافي من هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء
الا ابلغ ابا سفيان عني ... مغلغلة فقد برح الخفاء ... فان سيوفنا تركتك عبدا ... وعبد الدار سادتها الاماء
هجوت محمدا فاجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء ... اتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركا برا حنيفا ... امين الله شيمته الوفاء ... امر بهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء
فان ابي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء ... لساني صارم لا عيب فيه ... وبحري لا تكدره الدلاء

فصل في الاشارة الى ما هذه الغزوة من الفقه واللطايف كان صلح الحديبية مقدمة وتوطئة بين يدي هذا الفتح
العظيم اعز الناس وكلم بعضهم بعضا وناظره في الاسلام وتمكن من اختفى من المسلمين بمكة ولهذا اسلم عقيب الفتح
فتحا بينا نزلت في شان الحديبية فقال عمر يا رسول الله افتح هو قال نعم واعاد سبحانه ذكر كونه فتحا قريبا فقال لقد صدق الله
رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الحق وقوله فعلم ما لم تعلموا من دون ذلك فتحا قريبا وهذا شانه سبحانه وتعالى

ان يقدم بين يدي الامور العظيمة مقدمات تكون كالمدخل اليها المنبهة عليها كما قدم بين يدي قصة المسيح وخلقه من غير اب
قصة زكريا وخلق الولد له مع كونه كبيرا لا يولد لمثله وكما قدم بين يدي نسخ القبلة قصة البيت وبناه وتعظيمه والتنويه به
وذكر بانيه وتعظيمه ومدحه ووطأ قبل ذلك بذكر النسخ وحكمته المقتضية له وقدرته الشاملة له وهكذا ما قدم بين يدي
مبعث رسوله من قصة الفيل وبشارات الكهان به وغير ذلك وكذلك الرؤيا الصالحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت
مقدمة بين يدي الوحي في اليقظة وكذلك الهجرة كانت مقدمة بين يدي الامر بالجهاد ومن تامل اسرار الشرع والقدر راى من
ما يبهر حكمة الالباب فصل وفيها ان اهل العهد اذا حاربوا مزهم في ذمة الامام وجواره وعهده صاروا
حربا له بذلك ولم يبق بينهم وبينه عهد فلا ان يبيتهم في ديارهم ولا يحتاج ان يعلمهم على سواء وانما يكون الاعلام اذا خاف
منهم الخيانة واذا تحققها صار وانا بنبذ العهد فصل وفيها انتقاض عهد جميعهم بذلك بريئهم ومباشرهم
اذا رضوا بذلك واقروه ولم ينكروه فان الذين اعانوا بني بكر من قريش لم يقاتلوا كلهم معهم ومع هذا فخز اهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلهم وهذا كما ان الخصم دخلوا في عقد الصلح تبعا ولم ينفرد واكل واحد منهم بصلح اذا رضوا به واقروا
عليه وكذلك حكم نقضهم العهد هذا هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا شك فيه كما ترى وطرد هذا ان
هذا الحكم على ناقضين العهد من اهل الذمة اذا رضي جماعتهم به وان لم يباشر كل واحد منهم ما ينقض العهد كما
اجلى عمر يهود خيبر لما عدا بعضهم على ابنه ورموه من ظهر داره فقد عوا به بل قد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
جميع بقاتلة بني قريظة ولم يسال عن كل رجل منهم هل نقض العهد ام لا وكذلك اجلى بني النظير كلهم وانما كان الذي
هم بالقتل رجلا وكذلك فعل ببني قينقاع حتى استوهبهم منه عبد الله بن ابي فهذه سيرته وهديه الذي
لا شك فيه وقد اجمع المسلمون على ان حكم الردء حكم المباشر في الجهاد ولا يشترط في قسمة الغنيمة ولا في الثواب مباشرة
كل واحد للقتال وهذا حكم قطاع الطريق حكم ردئهم حكم مباشرهم لان المباشر انما باشر الافساد بقوة الباقين
ولولاهم ما وصل الى ما وصل اليه وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه وهو مذهب احمد ومالك وابي حنيفة
وغيرهم والله اعلم فصل وفيها جواز صلح اهل الحرب على وضع القتال عشر سنين وهل يجوز فوق
ذلك الصواب انه يجوز للحاجة والمصلحة الراجحة كما اذا كان بالمسلمين ضعف وعدوهم اقوى منهم وفي العقد لما زاد
على العشر مصلحة للاسلام فصل وفيها ان الامام وغيره اذا سئل امرا لا يجوز بذله لا يجب فسكت عن بذله
لم يكن سكوته بذلا له فان ابا سفيان سال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجديد العهد فسكت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يجبه بشيء ولم يكن هذا السكوت معاهدة له فصل وفيها ان رسول الكفار لا يقتل فان ابا
سفيان كان ممن جرى عليه حكم انتقاض العهد ولم يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان رسول قوم اليه فصل
وفيها جواز تبييت الكفار ومباغتتهم في ديارهم اذا كانت قد بلغتهم الدعوة وقد كانت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يبيتون

يبيتون الكفار ويغيرون عليهم باذنه بعد ان بلغتهم دعوته فصل وفيها جواز قتل الجاسوس
وان كان مسلما لان عمر سال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حاطب بن ابي بلتعة لما بعث يخبر اهل مكة ولم
يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل قتله انه مسلم بل قال وما يدريك لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال
اعملوا ما شئتم فاجاب بان فيهم ما تعامر قتله وهو شهوده بدرا وفي هذا الجواب تنبيه على جواز قتل
الجاسوس ليس له مثل هذا المانع وهذا مذهب مالك واحد الوجهين في مذهب احمد وقال الشافعي وابو حنيفة
لا يقتل وهو ظاهر مذهب احمد والفريقين يحتجون بقصة حاطب والصحيح ان قتله راجع الى راي الامام
فان راى في قتله مصلحة للمسلمين قتله وان كان ابقاؤه اصلح استبقاه والله اعلم فصل وفيها جواز تجريد
المراة كلها وتكشيفها للحاجة والمصلحة العامة فان عليا والمقداد قالا للظعينة لتخرجن الكتاب او لتكشفنك
واذا جاز تجريدها لحاجتها الى ذلك حيث تدعوا اليها فتجريدها لمصلحة الاسلام والمسلمين اولى فصل
وفيها ان الرجل اذا نسب المسلم الى النفاق والكفر متاولا او غضبا لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه فانه لا يكفر
بذلك بل يثاب على نيته وقصده وهذا بخلاف اهل الاهواء والبدع فانهم يكفرون ويبدعون لمخالفة اهوائهم
وظلمهم وهم اولى بذلك ممن كفروه وبدعوه فصل وفيها ان الكبيرة العظيم مما دون الشرك قد تكفر
بالحسنة الكبيرة الماحية كما وقع للجيش من حاطب مكفرا بشهوده بدرا فان ما اشتملت عليه هذه الحسنة العظيمة
من المصلحة وتضمنته من محبة الله لها ورضاه بها وفرحه بها ومباهاة الملائكة بفاعلها اعظم مما اشتملت عليه سيئة
الجسس من المفسدة وتضمنته من بغض الله لها فغلب الاقوى على الاضعف فازاله وابطل الله مقتضاه وهذه
حكمة الله سبحانه وتعالى في الصحة والمرض الناشئين من الحسنات والسيئات الموجبين لصحة القلب ومرضه وهي نظير
حكمته في الصحة والمرض اللاحقين للبدن فان الاقوى منهما يقهر المغلوب ويصير الحكم له حتى يذهب اثر الاضعف
فهذه حكمة الله في خلقه وقضاءه وتلك حكمته في شرعه وامره وهذا كما انه ثابت في محو السيئات بالحسنات لقوله
تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقوله
صلى الله عليه وسلم واتبع السيئة الحسنة تمحها فهو ثابت في عكسه كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون وقول عايشة في زيد بن ارقم لما باع بالعينة انه قد ابطل جهاده مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يتوب ولقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من ترك
صلوة العصر حبط عمله الى غير ذلك من النصوص والآثار الدالة على تدافع الحسنات والسيئات وابطال بعضها بعضا
واذهاب اثر القوي بدونه وعلى هذا مبنى الموازنة والاحباط وبالجملة فقوة الاحسان ومرض العصيان يتصاولان

ويتجاريان ولهذا المرض مع هذه القوة حالة تزايد وترامى الى الهلاك وحالة انحطاط وتناقص وهي خير حالات المريض
مع وقوف وتقاتل الى ان تقهر احديهما الاخرى واذا دخل وقت البحران وهي ساعة للناجزة فحظ القلب احد الخطتين اما السلامة
واما العطب وهذا البحران يكون وقت فعل الواجبات التي توجب رضى الرب تعالى ومغفرته او توجب سخطه وعقوبته
وفي الدعاء النبوي اللهم اسئلك بموجبات رحمتك وعزائم مغفرتك وكان عن طلحة يومئذ اوجب طلحة ورفع الى النبي صلى الله
عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله انه قد اوجب فقال اعتقوا عنه وفي الحديث الصحيح اتدرون ما الموجبتان قالوا الله ورسوله
اعلم قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار يريد ان التوحيد والشرك رأس الموجبتان و
اصلها فهي بمنزلة السم القاتل قطعا والترياق المنجي قطعا وكما ان البدن قد تعرض له اسباب رديئة لازمة توهن قوته
وتضعفها ولا ينتفع معها بالاسباب الصالحة والاغذية النافعة بل تحيلها تلك المواد الفاسدة الى طبعها وقوتها فلا
يزداد بها الا مرضا وقد تقوى مواد صالحة واسباب موافقة توجب قوته وتكمنه من الصحة واسبابها فلا تكاد تضره الا
الفاسدة التي تحيلها تلك المواد الغالبة الى طبعها فهكذا مواد صحة القلب وفساده فتامل قوة ايمان حاطب التي
حملته على شهود بدر وبذله نفسه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وايثاره الله ورسوله على قومه وعشيرته واقاربه وهم
بين ظهراني العدو وفي بلدهم وليس ذلك عنان عزمه ولا قلة مزجد ايمانه ومواجهته بالقتال لمن اهله وعشيرته واقاربه
عندهم فلما جاء مرض الجبن برزت اليه هذه القوة فكان البحران صالحا فاندفع المرض وقام المريض كان لم يكن به
علة ولما رأى الطبيب قوة ايمانه قد استعلت على مرض جبنه وقهرته قال لمن اراد فصده لا يحتاج لهذا العارض الى فصد
ومايدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وعكس هذا ذو الخويصرة اليماني واضرابه
من الخوارج الذين بلغ اجتهادهم في الصلوة والصيام والقراءة الى حد يحقر الصحابة عملهم معه فكيف قال فيهم لئن ادركتهم
لاقتلنهم قتل عاد وقال اقتلوهم فان في قتلهم اجرا عند الله لمن قتلهم وقال لهم شر قتيل تحت اديم السماء فلم ينتفعوا
بتلك الاعمال العظيم مع تلك المواد الفاسدة المهلكة واستحالت فاسدة وتامل في حال ابليس لما كانت المادة
المهلكة كامنة في نفسه لم ينتفع معها بما سلف من طاعاته ورجع الى شاكلته وما هو به اولى وكذلك الذي اتاه الله ايانه فانسلخ
منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين واضرابه واشكاله فالمعول على السرائر والمقاصد والنيات والهمم فهي الاكسير الذي
يقلب نحاس الاعمال ذهبا او يردها خبيثا وبالله التوفيق ومزلة لب او عقل يعلم قدر هذه المسئلة وشدة حاجته اليها
وانتفاعه بها ويطلع منها على باب عظيم من ابواب معرفة الله سبحانه وحكمته في خلقه وامره وثوابه وعقابه واحكامها
الموازنة واتصال الالم واللذة الى الروح والبدن في المعاش والمعاد وتفاوت المراتب في تلك الاسباب مقتضية بالغة
ممن هو قايم على كل نفس بما كسبت فصل وفي هذه القصة جواز مباغتة المعاهدين اذا نقضوا العهد
والاغارة عليهم وان لم يعلموهم بمسيره اليهم واما اذا واقاهم على الوفاء والعهد فلا يجوز ذلك حتى ينبذ اليهم على سواء

فصل وفيها جواز

فصل وفيها جواز بل استحباب اظهار كثرة المسلمين وقوتهم وشوكتهم وهيأتهم لرسل العدو واذا جاؤا
الى الامام كما يفعل ملوك الاسلام كما امر النبي صلى الله عليه وسلم بايقاد النيران ليلة الدخول الى مكة وامر العباس ان يحبس
ابا سفيان عند خطم الجبل وهو مما تضايق منه حتى عرضت عساكر الاسلام وعصابة التوحيد وجنده وعرضت
عليه كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في السلاح لا يرى منهم الا الحدق ثم ارسله فاخبر قريشا بما رأى فصل
وفيها جواز دخول مكة للقتال المباح بغير احرام كما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وهذا لا خلاف فيه
ولا خلاف انه لا يدخلها مزار الحج او العمرة الا باحرام واختلف فيما سوا ذلك اذا لم يكن الدخول لحاجة مكررة كالحشاش
والحطاب فيدخلها بغير احرام وهذا القول الاخر للشافعي ورواية عن احمد والثالث ان كان داخل المواقيت جاز
دخوله بغير احرام وان كان خارج المواقيت لم يدخلها الا باحرام وهذا مذهب ابي حنيفة وهدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المجاهد ومريد النسك واما من عداهما فلا واجب الا ما اوجبه الله ورسوله واجتمعت عليه الامة فصل
وفيها البيان الصحيح ان مكة فتحت عنوة كما ذهب اليه جمهور اهل العلم ولا يعلم في ذلك خلاف الا عن الشافعي واحمد
في احد قوليه وسياق القصة اعظم شاهد بذلك لمن تامله لقول الجمهور ولما استجبن ابو حامد الغزالي القول بانها
فتحت صلحا حكى قول الشافعي حكى قول الشافعي بانها فتحت عنوة في وسيطه وقال هذا مذهبه قال اصحاب الصلح
لو فتحت عنوة لقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الغانمين كما قسم خيبر وكما قسم سائر الغنائم من المنقولات وكان
يقسمها ويحبسها قالوا ولما استامن ابو سفيان لاهل مكة لما اسلم فامنهم كان هذا عقد صلح معهم قالوا ولو فتحت
عنوة لملك الغانمون دورها ورباعها وكانوا حقوا بها من اهلها واجلاهم منها حيث لم يحكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بهذا الحكم بل لم يرد على المهاجرين دورهم التي اخرجوا منها فهي بايدي الذين اخرجوهم منها واقرهم على بيع
الدور وشرائها واجارتها وسكناها والانتفاع بها وهذا منافٍ لاحكام فتوح العنوة وقد صرح باضافة
الدور لاهلها فقال من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن قال [illegible] رباب العنوة لو كان قد صالحهم
لم يكن لامانه المقيد بدخول كل واحد داره واغلاقه بابه والقاء سلاحه فائدة ولم يقاتلهم خالد بن الوليد حتى قتل
منهم جماعة ولم ينكر عليه ولما قتل مقيس بن صبابة وعبد الله بن خطل ومن ذكر معهما فان عقد الصلح لو كان قد وقع
لا استثنى فيه هؤلاء قطعا وليقل هذا وهذا ولو فتحت صلحا لم يقاتلهم وقد قال فان احد ترخص لقتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لكم ومعلوم ان هذا الاذن المختص برسول الله صلى الله
عليه وسلم انما هو الاذن في القتال لا في الصلح فان الاذن في الصلح عام وايضا فلو كان فتحها صلحا لم يقل ان الله
احلها لي ساعة من نهار فانها اذا فتحت صلحا كانت باقية على حرمتها ولم تخرج بالصلح عن الحرمة وقد اخبر انها
في تلك الساعة لم تكن حراما وانها بعد انقضاء ساعة الحرب عادت الى حرمتها الاولى وايضا فانها لو فتحت صلحا لم يجب

جيشه خيلهم ورجالهم ميمنة وميسرة ومعهم السلاح وقال ابو هريرة اهتفي بالانصار فهتفت بهم فجاؤا قاطفوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اترون الى اوباش قريش واتباعهم ثم قال بيديه احداهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتى
توافوني على الصفا حتى قال ابو سفيان يا رسول الله ابيحت حضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اغلق بابه فهو آمن وهذا محال ان يكون مع الصلح فان كان قد تقدم صلح وكلا فانه ينتقض بدون هذا وايضا
فكيف يكون صلحا وانما فتحت بايجاف الخيل والركاب ولم يحبس الله خيل رسوله وركابه عنها كما حبسها عنها يوم صلح الحديبية
فان ذلك اليوم كان يوم الصلح حقا فان القصوى لما بركت به قالوا خلأت القصوى قال ما خلأت وما ذاك لها بخلق ولكن
حبسها حابس الفيل ثم قال والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة من حرمات الله الا اعطيتهموها وكذلك جرى عقد
الصلح بالكتاب والشهود ومحضر ملأ من المسلمين والمشركين والمسلمون يومئذ الف واربعمائة فجرى مثل هذا الصلح في يوم
الفتح ولا يكتب ولا يشهد عليه ولا يحضره احد ولا ينقل كيفية الشروط فيه هذا من الممتنع البين امتناعه وتامل قوله
ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين كيف يفهم منه ان قصر رسوله وجنده الغالبين لاهلها اعظم من قصر
الفيل الذي كان يدخلها عليهم عنوة فحبسه ذلك عنهم وسلط رسوله والمؤمنين عليهم حتى فتحوها بعز القهر وسلطان العنوة
واذلال الكفر واهله وكان ذلك اجل قدرا واعظم خطرا واظهر اثرا واتم نصرة واعلا كلمة من ان يدخلهم تحت رق الصلح واقتراح
العدو وشروطهم ويمنعهم سلطان العنوة وعزها وظفرها في اعظم فتح فتحه على رسوله واعز به دينه وجعله آية للعالمين
قال ولما فتح الله مكة لم تفتح عنوة لقسمت بين الغانمين فهذا مبني على ان الارض داخلة في الغنايم التي قسمها الله تعالى بين
الغانمين بعد تخميسها وجمهور الصحابة والائمة بعدهم على خلاف ذلك وان الارض ليست داخلة في الغنايم التي يجب قسمتها
وهذه كانت سيرة الخلفاء الراشدين فان بلالا واصحابه لما طلبوا من عمر بن الخطاب ان يقسم بينهم الارض التي فتحوها
عنوة وهي الشام وما حولها وقالوا له خذ خمسها واقسمها قال عمر هذا غير المال ولكن احبسه فيما يخرج عليكم وعلى المسلمين
فقال بلال واصحابه اقسمها بيننا فقال عمر اللهم اكفني بلالا وذويه فما حال الحول ومنهم عين تطرف تم وافق سائر الصحابة
عمر على ذلك وكذلك جرى في فتوح مصر والعراق وارض فارس وسائر البلاد التي فتحت عنوة ولم يقسم منها الخلفاء الراشدون
قرية واحدة ولا يصح ان يقال انه استطاب نفوسهم ووقفها برضاهم فانهم تنازعوه في ذلك وهو يابى عليهم ودعا على بلال
واصحابه وكان الذي رآه وفعله عين الصواب ومحض التوفيق اذ لو قسمت لتوارثها ورثتا ولئك واقاربهم فكانت القرية والبلد
تصير الى المرأة واحدة او صبي صغير والمقاتلة لا شيء بايديهم فكان في ذلك اعظم الفساد واكبره وهذا هو الذي حاد عنه عمر
فوقفه سبحانه لترك قسمة الارض وجعلها وقفا على المقاتلة يجري عليهم فيئها حتى يغزو اولهم آخر المسلمين وظهرت بركة
رايه ويمنه على الاسلام واهله ووافق جمهور الائمة واختلفوا في كيفيته وابقائها بلا قسمة فظاهر مذهب الامام احمد
واكثر نصوصه على ان الامام مخير فيها تخيير مصلحة لا تخيير شهوة فان كان الاصلح للمسلمين قسمتها قسمها وان كان الاصلح ان يقفها

على جماعتهم

على جماعتهم وقفها وان كان الاصلح قسمة البعض ووقف البعض فان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل الاقسام الثلاثة فانه قسم
ارض قريضة وترك قسمة مكة وقسم بعض خيبر وترك بعضها لما ينوبه من مصالح المسلمين وعن احمد رواية ثانية انها تصير وقفا
بنفس الظهور والاستيلاء عليها من غير ان ينشئ الامام وقفها وهو مذهب مالك وعنه رواية ثالثة انه يقسمها بين
الغانمين كما يقسم بينهم المنقول الا ان يتركوا حقوقهم منها وهي مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة الامام مخير بين القسمة
وبين ان يقرها بايديهم فيها بالخراج وبين ان يخرجهم عنها وينفذ اليها قوما آخرين يضرب عليهم الخراج وليس هذا الذي فعله
عمر مخالفا للقرآن فان الارض ليست داخلة في الغنايم التي امر الله بتخميسها وقسمتها ولهذا قال عمر انها غير المال ويدل
عليه ان اباحة الغنايم لم تحل لغير هذه الامة بل هو من خصائصها كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته
واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وقد احل الله سبحانه الارض التي كانت بايدي الكفار لمن قبلنا من اتباع الرسل اذا
استولوا عليها عنوة كما احلها لقوم موسى فلهذا قال لموسى لقومه يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم
ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فموسى وقومه قاتلوا الكفار واستولوا على ديارهم واموالهم فجمعوا الغنائم
فنزلت النار من السماء فاكلتها وسكنوا الارض والديار ولم تحرم عليهم فعلم انها ليست من الغنايم وانها لله يورثها
من يشاء **فصل** واما مكة فان فيها شيئا آخر يمنع من قسمتها ولو وجبت قسمة ما عداها من القرى وهي
انها لا تملك فانها دار النسك ومتعبد الخلق وحرم الرب الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد فهي وقف من الله
على العالمين وهم فيها سواء ومنى مناخ من سبق قال الله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام الذي
جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم والمسجد الحرام المراد به
الحرم لقوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فهذا المراد به الحرم كله وقوله سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وفي الصحيح انه اسري به من بيت ام هانئ وقال ثم
ذكر لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وليس المراد حضور نفس موضع الصلاة اتفاقا وانما هو حضور
الحرم والقرب منه وسياق آية الحج يدل على ذلك فانه قال ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وهذا لا
يختص بمكان الصلوة قطعا بل المراد الحرم كله فالذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد هو الذي توعد من
صد عنه ومن اراد الالحاد فيه بالظلم فالحرم ومشاعرهم كالصفا والمروة والمسعى ومنى وعرفة ومزدلفة
لا يختص بها احد دون احد بل هي مشتركة بين الناس اذ هي محل نسكهم ومتعبدهم فمن سبق الى مسجد من المساجد وقفه وو
ضعه
لخلقه ولهذا امتنع النبي صلى الله عليه وسلم ان يبني لربيت بمنى لربيظله من الحر وقال منى مناخ من سبق ولهذا ذهب
جمهور الائمة من السلف والخلف الى انه لا يجوز بيع ارض مكة ولا اجارة بيوتها وهذا مذهب مجاهد وعطاء واهل
ومالك في اهل المدينة وابي حنيفة في اهل العراق وسفيان الثوري والامام احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وروى الامام

احمد عن علقمة بن نضلة قال كانت رباع مكة تدعى السوائب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر مزاحتام
سكن ومن استغنى اسكن وروي ايضا عن عبد الله بن عمر من اكل اجر بيوت مكة فانما ياكل في بطنه نارا جهنم ورواه
الدارقطني مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وفيه ان الله حرم مكة فحرام بيع رباعها واكل ثمنها وقال الامام احمد
نا معمر عن ليث عن عطاء وطاوس ومجاهد انهم قالوا لم يكره ان تباع رباع مكة او تكرا بيوتها وذكر احمد عن القاسم
بن عبد الرحمن قال من اكل من كرا بيوت مكة فانما ياكل في بطنه نارا فقال احمد نا هشيم انا حجاج عن مجاهد عن
عبد الله بن عمر قال نهى عن اجارة بيوت مكة وعن بيع رباعها وذكر عن عطاء انه نهى عن اجارة بيوت مكة وقال احمد
نا اسحق بن يوسف نا عبد الملك قال كتب عمر بن عبد العزيز الى امير اهل مكة ينهاهم عن اجارة بيوت مكة وقال انها
حرام وحكى احمد عن عمر انه نهى ان يتخذ اهل مكة للدور ابوابا لينزل حيث شاء وحكى عن عبد الله بن عمر عن ابيه
انه نهى ان تغلق ابواب دور مكة فرخص مزاد باب لداره ان يتخذ لها بابا ومن لداره باب ان يغلقه وهذا في ايام الموسم
وقال المجوزون للبيع والاجارة الدليل على ذلك كتاب الله وسنة رسوله وعمل اصحابه وخلفاءه الراشدين قال تعالى
للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقال فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وقال انما ينهاكم الله
عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من ديارهم فاضاف الديار اليهم وهذه اضافة تمليك وقال النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قيل له اين تنزل غدا ببلادك من مكة فهل ترك لنا عقيل من رباع ولم يقل انه لا دار لي بل اقرهم على الاضافة
واخبر ان عقيلا استولى عليها ولم ينزعها من يده واضافة دورهم اليهم في الاحاديث اكثر من ان تذكر كدار هانئ
ودار خديجة ودار احمد بن ابي عبيش وغيرها فكانوا يتوارثونها كما يتوارثون المنقول ولهذا قال النبي صلى الله
عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من دار وكان عقيل هو ورث اباه ابا طالب دوره فانه كان كافرا ولم يرثه على الاختلاف
في الدين بينهما فاستولى عقيل على الدور ولم يزالوا قبل الهجرة وبعدها بل قبل المبعث وبعده ومن مات ورث ورثته
داره والى الان وقد باع صفوان بن امية دار لعمر بن الخطاب باربعة الاف درهم فاتخذها سجنا واذا جاز البيع والميراث
فالاجارة اجوز واجوز فهذا موقف اقدام الفريقين كما ترى وحجتهم في القوة والظهور لاندفع وبحجج الله
وبيانه لا يبطل بعضها بعضا ويجب العمل بموجبها كلها والواجب اتباع الحق حيث كان فالصواب القول بموجب الادلة من الجانبين وان الدور تملك وتوهب وتورث وتباع ويكون نقل الملك في البناء في الارض والعرصة
فلو زال البناء لم يكن له ان يبيع الارض وله ان يبنيها ويعيدها كما كانت وهو احق بها وبسكناها ويسكن فيها من شاء
وليس له ان يعاوض على منفعة السكنى بعقد الاجارة فان هذه المنفعة انما استحق ان يقدم فيها على غيره ويختص بها
لسبقه وحاجته فاذا استغنى عنها لم يكن ان يعاوض عليها كالجلوس في الرحاب والطرق الواسعة والاقامة على المعادن
وغيرها من المنافع والاعيان المشتركة التي من سبق اليها فهو احق بها ما دام ينتفع فاذا استغنى لم يكن له ان يعاوض

بل يصيد بعضها بعضا

وقد صرح

وقد صرح ارباب هذا القول بان البيع ونقل الملك في رباعها انما يكون على البنا لا على الارض ذكره اصحاب ابي حنيفة
فان قيل قد منعتم الاجارة وجوزتم البيع فهل لهذا نظير في الشريعة والمعهود في الشريعة ان الاجارة اوسع من البيع فقد يمنع البيع ويجوز الاجارة كالوقف والحر فاما العكس فلا عهد لنا به قيل كل واحد من البيع والاجارة
عقد مستقل غير مستلزم للاخر في جوازه وامتناعه ومورد هما مختلف واحكامهما مختلفة وانما جاز البيع لانه وارد
على المحل الذي كان البايع اختص به دون غيره وهو البنا واما الاجارة فانما ترد على المنفعة وهي مشتركة للسابق اليها حق
التقديم دون المعاوضة فلهذا اجزنا البيع دون الاجارة فان ايتم الا النظر فهذا المكاتب يجوز لسيده بيعه ويصير
مكاتبا عند مشتريه ولا يجوز له اجارته اذ فيها ابطال منافعه والكتابة التي ملكها بعقد الكتابة واسا علم على انه لا يمتنع
البيع وان كان منافع ارضها ورباعها مشتركة بين المسلمين فانها تكون عند المشتري كذلك مشتركة ان احتاج سكن
وان استغنى اسكن كما كانت عند البايع فليس في بيعها ابطال اشتراك المسلمين في هذه المنفعة كما انه ليس في بيع المكاتب
ابطال ملكه لمنافعه التي ملكها بعقد الكتابة ونظير هذا جواز بيع ارض الخراج التي وقفها عمر على الصحيح الذي
استقر عليه عمل الامة قديما وحديثا فانها تنتقل الى المشتري خراجية كما كانت عند البايع وحق المقاتلة انما هو في
خراجها وهو لا يبطل بالبيع وقد اتفقت الامة على انها تورث فان كان بطلان بيعها لكونها وقفا فكذلك ينبغي
ان تكون وقفيتها مبطلة لتوريثها وقد نص احمد على جواز جعلها صداقا في النكاح فاذا جاز نقل الملك فيها بالصداق
والميراث والهبة وجاز بالبيع قياسا وعملا وفقها واسا علم

فصل

فصل فان قيل اذا كانت مكة قد فتحت عنوة فهل
يضرب الخراج على مزارعها كسائر ارض العنوة وهل يجوز لكم ان تفعلوا ذلك ام لا قيل في هذه المسئلة قولان
لاصحاب العنوة احدهما المنصوص المتصور الذي لا يجوز القول بغيره انه لا خراج على مزارعها وان فتحت عنوة
فانها اجل واعظم من ان يضرب عليها الخراج لاسيما والخراج هو جزية الارض وهو على الارض كالجزية على الرؤس وحرم
الرب تعالى اجل قدرا واكبر من ان يضرب عليه جزية ومكة بفتحها عادت الى ما وضعها الله عليه من كونها حرما امنا
يشترك فيها اهل الاسلام اذ هو موضع مناسكهم ومتعبدهم وقبلة اهل الارض والثاني وهو قول بعض اصحاب احمد
ان على مزارعها الخراج كما هو على مزارع غيرها من ارض العنوة وهذا فاسد مخالف لنص احمد ومذهبه ولفعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين من بعده فلا التفات اليه واسا علم وقد بنى بعض الاصحاب بيع رباع مكة على كونها
فتحت عنوة وهذا بناء غير صحيح فان مساكن ارض العنوة تباع قولا واحدا فظهر بطلان هذا البنا واسا علم

فصل

وفيها تعيين قتل الساب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان قتله حد لا يسقط باستيفاء ورثته فان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يؤمن مقيس بن صبابة وبن خطل والجاريتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه مع ان نساء اهل الحرب لا يقتلن كما لا تقتل الذرية
وقد امر بقتل هاتين المرأتين واهدر دم امه وولد الاعمى لما قتلها سيدها لاجل سبها النبي صلى الله عليه وسلم وقتل كعب بن الاشرف

اليهودي فقال من لكعب فانه قد آذى الله ورسوله وكان يسبه وهذا اجماع من الخلفاء الراشدين ولا يعلم لهم في
الصحابة مخالف فان الصديق قال لابي برزة الاسلمي وقد هم بقتل من سبه لم تكن هذه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن عربي اهب فقيل له هذا يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو سمعته لقتلته انا لم نعطهم الذمة على ان يسبوا
بنينا صلى الله عليه وسلم ولا ريب ان المحاربة بسب نبينا اعظم اذية ونكاية لنا من المحاربة باليد ومنع دينار جزية في السنة
فكيف ينتقض عهده ويقتل بذلك دون السب واي نسبة بمفسدة دينار في السنة الى مفسدة الجهاد به بسبب نسبا اقبح سب
على رؤس الاشهاد بل لا نسبة لمفسدة محاربته باليد الى مفسدة محاربته بالسب فاولى ما انتقض به عهده وامانه سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينتقض عهده بشئ اعظم منه الا بسبه الخالق تبارك فهذا محض القياس ومقتضى النصوص
واجماع الخلفاء الراشدين وعلى هذه المسئلة اكثر من اربعين دليلا فان قيل فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل عبد الله
بن ابي وقد قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولم يقتل ذا الخويصرة التميمي وقد قال له اعدل فانك لم
تعدل ولم يقتل من قال له انهم يقولون انك تنهى عن الغي وتستحلي به ولم يقتل القايل ان هذه القسمة ما اريد بها
وجه الله ولم يقتل من قال له لما حكم للزبير بتقديمه في السقي ان كان ابن عمتك وغير هؤلاء ممن كان يبلغه اذى له
وتنقص قيل الحكم كان له فله ان يستوفيه وله ان يسقطه وليس لمن بعده ان يسقط حقه كما ان الرب تعالى
له ان يستوفي حقه وله ان يسقط وليس لاحد ان يسقط حقه تعالى بعد وجوبه كيف وقد كان في ترك قتل من ذكرتم
وغيرهم من المصالح العظيمة في حياته زالت بعد موته من تاليف الناس وعدم تنفيرهم عنه فانهم لو بلغهم انه يقتل
اصحابه لنفروا وقد اشار الى هذا بعينه وقال لعمر لما اشار عليه بقتل عبد الله بن ابي لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل
اصحابه ولا ريب ان مصلحة هذا التاليف وجمع القلوب عليه كانت اعظم عنده واحب اليه من المصلحة الحاصلة بقتل من سبه
واذاه ولهذا لما ظهرت مصلحة القتل وترجحت جدا قتل الساب كما فعل بكعب بن الاشرف فانه ظاهره بالعداوة
والسب وكان قتله ارجح من ابقاءه وكذلك قتل ابن خطل ومقيس والجاريتين وام ولد الاعمى فقتلوا لما رجحت
فاذا صار الامر الى نوابه وخلفاءه لم يكن لهم ان يسقطوا حقه **فصل** فيما في خطبته العظيمة ثاني
يوم الفتح من انواع العلم فمنها قوله ان مكة حرمها الله تعالى ولم يحرمها الناس فهذا التحريم الشرعي قدري
سبق به قدره يوم خلق هذا العالم ثم ظهر به امره على لسان خليله ابرهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما
كما في الصحيح عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم ان ابرهيم خليلك حرم مكة وانا احرم المدينة فهذا اخبار
عن ظهور التحريم السابق يوم خلق الله السموات والارض على لسان ابرهيم ولهذا لم ينازع احد من اهل الاسلا
في تحريمها وان تنازعوا في تحريم المدينة والصواب المقطوع به تحريمها اذ قد صح فيه بضعة وعشرون حديثا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مطعن فيها بوجه ومنها قوله لا يحل لاحد ان يسفك بها دما هذا التحريم

لسفك الدم

لسفك الدم المختص بها هو الذي يباح في غيرها ويحرم فيها لكونها حرما كما ان تحريم عضد الشجر بها واختلاء خلاها
والتقاط لقطتها هو امر يختص بها وهو مباح في غيرها اذ الجميع في كلام واحد ونظام واحد والا بطلت فائدة
التخصيص وهذه انواع احدها وهو الذي ساق ابو شريح العدوي لاجله ان الطائفة الممتنعة بها من
مبايعة الامام لا تقاتل لاسيما ان كان لها تاويل كما امتنع اهل مكة من بيعة يزيد وبايعوا ابن الزبير فلم يكن
قتالهم ونصب المنجنيق عليهم واحلال الحرم الله جايز بالنص والاجماع وانما خالف في ذلك عمرو بن سعيد الفاسق
وشيعته وعارض نص رسول الله صلى الله عليه وسلم برايه وهواه فقال ان الحرم لا يعيذ عاصيا فيقال له ولا يعيذ
عاصيا من عذاب الله ولم يعذ من سفك دمه لم يكن حراما بالنسبة الى الآدميين وكان حراما بالنسبة الى الطير والحيوان
البهيم وهو لم يزل يعيذ العصاة من عهد ابرهيم صلوات الله وسلامه عليه وقام الاسلام على ذلك وانما لم يعذ مقيس
بن صبابة وابن خطل ومن سمي معهم فانه في تلك الساعة لم يكن حراما بل حلالا فلما انقضت ساعة الحرب عاد الى ما
وضع عليه يوم خلق الله السموات والارض وكانت العرب في جاهليتها يرى احدهم قاتل ابيه وابنه في الحرم
فلا يهيجه وكان ذلك بينهم خاصة الحرم التي صار بها حراما فجاء الاسلام فاكد ذلك وعلم النبي صلى الله عليه وسلم
ان مزالة من يتاسى به في احلاله بالقتال والقتل فقطع الالحاق وقال لاصحابه فان احد ترخص بقتال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم ياذن لكم وفعلي هذا فمن ياتي حدا او قصاصا خارج الحرم ثم جاء
القتل ثم لجا اليه لم يجز اقامته عليه فيه وذكر الامام احمد عن عمر بن الخطاب انه قال لو وجدت فيه قاتل الخطاب
ما مسسته حتى يخرج منه وذكر عن عبد الله بن عمر انه قال لو وجدت فيه قاتل عمر ما بدهته وعن ابن عباس
انه قال لو لقيت قاتل ابي في الحرم ما هجته حتى يخرج منه وهذا قول جمهور التابعين ومن بعدهم بل لا يحفظ
عن تابعي ولا صحابي خلافه واليه ذهب ابو حنيفة ومن وافقه من اهل العراق والامام احمد ومن وافقه من اهل
الحديث وذهب مالك والشافعي الى انه يستوفى منه في الحرم كما يستوفى منه في الحل وهو اختيار ابن المنذر واحتج
لهذا القول بعموم النصوص الدالة على استيفاء الحدود والقصاص في كل زمان ومكان وبان النبي صلى الله
عليه وسلم قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة وبما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحرم لا يعيذ
عاصيا ولا فار بدم ولا فار بخربة وبانه لو كان الحدود والقصاص فيما دون النفس لم يعذه الحرم ولم يمنعه اقامة
عليه وكذلك اذا اتاه خارجه ثم لجا اليه اذ كونه حراما بالنسبة الى عصمته لا يختلف بين الامرين وبانه حيوان
يبيح قتله لفساده فلم يفرق الحال بين قتله لاجيا الى الحرم وبين كونه قد وجب ما يبيح قتله فيه كالجيد والحداة
والكلب العقور لان النبي صلى الله عليه وسلم قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم فنبه بقتلهن في الحل
والحرم على العلة وهي فسقهن ولم يجعل التجاءهن الى الحرم مانعا من قتلهن فكذلك فاسق بني آدم الذي انتهت

قتالهم

القتل قال الاولون ليس في هذا ما يعارض ما ذكرنا من الادلة لا سيما قوله تعالى ومن دخله كان آمنا وهذا اما
خبر بمعنى الامر لاستحالة الخلف في خبره تعالى واما خبر عن شرعه ودينه الذي شرعه في حرمه واما خبر
عن الامر المعهود المستمر في حرمه في الجاهلية والاسلام كما قال تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس
من حولهم وفي قوله تعالى وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات
كل شيء وما عدا هذا من الاقوال الباطلة فلا يلتفت اليها كقول بعضهم ومن دخله كان آمنا من النار وقول
بعضهم كان آمنا من الموت على غير الاسلام ونحو ذلك فكم ممن دخله وهو في قعر الجحيم واما العمومات
الدالة على استيفاء الحدود والقصاص في كل زمان ومكان فيقال ولا تعارض في تلك العمومات لزمان الا استيفا
ولا مكانه كما لا تعارض فيها لشروطه وعدم موانعه فان اللفظ لا دليل عليها بوضعه ولا بتضمنه فهو مطلق بالنسبة اليها وهذا اذا كان الحكم شرطا وما نعا لم يقل ان توقف الحكم عليه مخصص لذلك العام فلا تقول
محصل ان قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم مخصوصة بالمنكوحة في عدتها او بغير اذن وليها او بغير شهود
فهكذا النصوص العامة في استيفاء الحدود والقصاص لا تعارض فيها لزمانه ولا مكانه ولا شرطه ولا مانعه
ولو قدر تناول اللفظ لذلك لوجب تخصيصه بالادلة الدالة على المنع لئلا يبطل موجبها ووجوب حمل
اللفظ العام على ما عداها كسائر نظائره فاذا خصصتم تلك العمومات بالحامل والمرضع والمريض الذي
لا يرجى برؤه والحال المحرمة للاستيفاء كشدة المرض والبرد والحر فما المانع من تخصيصها بهذه الادلة
وان قلتم ليس ذلك تخصيصا بل تقييد المطلقها كلنا لكم بهذه الصاع سواء بسواء واما قتل الخطإ
فقد تقدم انه كان في وقت الحل وان النبي صلى الله عليه وسلم قطع الالحاق ونص على ان ذلك من خصائصه
وقوله صلى الله عليه وسلم انما احلت لي ساعة من نهار صريح في انه انما احل له سفك دم حلال في غير الحرم في
تلك الساعة خاصة اذ لو كان حلالا في كل وقت لم يختص بتلك الساعة وهذا صريح في ان الدم الحلال
في غيرها حرام فيها فيما عدا تلك الساعة واما قوله وان الحرم لا يعيذ عاصيا فهو من كلام الفاسق عمرو
بن سعيد الاشدق رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين روى له ابو شريح الكعبي هذا الحديث كما
جاء مبينا في الصحيح فكيف يقدم على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قولكم لو كان الحد والقصاص
فيما دون النفس لم يعذه الحرم منه فهذه المسئلة فيها قولان للعلماء وهما روايتان منصوصتان عن
الامام احمد فمن منع الاستيفاء نظر الى عموم الادلة العاصمة بالنسبة الى النفس وما دونها ومن فرق قال
سفك الدم انما ينصرف الى القتل ولا يلزم من تحريمه في الحرم تحريم ما دونه لان حرمة النفس اعظم والانتهاك
بالقتل اشد فلو لا ان الحد بالجلد والقطع يجري مجرى التأديب فلا يمنع منه كتأديب السيد عبده وظاهر

هذا المذهب

هذا المذهب انه لا فرق بين النفس وما دونها في ذلك قال ابو بكر هذه مسئلة وجدتها الخلال عن عمه
ان الحدود كلها تقام في الحرم الا القتل قال والعمل على ان كل جان دخل الحرم لم يقم عليه الحد حتى يخرج منه
قالوا وحينئذ فنجيبكم بالجواب المركب وهو انه ان كان بين النفس وما دونها في ذلك فرق مؤثر بطل
الالزام وان لم يكن بينهما فرق يؤثر سوينا بينهما في الحكم وبطل الاعتراض بتحقق بطلانه على التقديرين واما
قولكم ان الحرم لا يعيذ عاصيا فنحن انما نتكلم في الحرم اذا التجى اليه ما يوجب الحد فذلك اللاجئ اليه فهو جمع بين فرق
الله ورسوله والصحابة بينهما فروى الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس
قال من سرق او قتل في الحل ثم دخل الحرم فانه لا يجالس ولا يكلم ولا يؤوى حتى يخرج فيؤخذ فيقام عليه الحد
وان قتل او سرق في الحرم اقيم عليه في الحرم وذكر الاثرم عن ابن عباس ايضا من احدث في الحرم اقيم عليه ما احدث
فيه من شيء وقد امر الله سبحانه بقتل من قاتل في الحرم فقال ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم والفرق بين اللاجئ والمنتهك فيه من وجوه احدها ان الجاني فيه منتهك لحرمته
بإقدامه على الجناية فيه بخلاف من خرج من خارجه ثم لجأ اليه فانه بعظم لحرمته مستشعر لها بالتجائه اليه فقياس
احدهما على الآخر باطل الثاني ان الجاني فيه بمنزلة المفسد الجاني على بساط الملك في داره وحرمه ومن جنى خارجه
ثم لجأ اليه فانه بمنزلة من جنى خارج بساط الملك وحرمه ثم دخل الحرم مستلجيا الثالث ان الجاني في الحرم قد انتهك
حرمة الله سبحانه وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم فهو منتهك لحرمتين بخلاف غيره الرابع انه لو لم يقم الحد على
الجناة في الحرم لعم الفساد وعظم الشر في حرم الله فان اهل الحرم كغيرهم في الحاجة الى صيانة نفوسهم واموالهم
واعراضهم ولو لم يشرع الحد في حق من ارتكب الحرام في الحرم لتعطلت حدود الله وعم الضرر المحرم واهله الخامس
ان اللاجئ الى الحرم بمنزلة التائب المستظل المستجير ببيت الرب تعالى المتعلق باستاره فلا يناسب حاله ولا ما
حرمه وبيته ان يهاج بخلاف المقدم على انتهاك حرمته وظهر سر الفرق وتبين ان ما قاله ابن عباس هو محض
الفقه واما قولكم انه حيوان مفسد فابيح قتله في الحل والحرم كالكلب العقور فلا يصح القياس فان
الكلب العقور طبعه الاذى فلم يحرمه الحرم ليدفع اذاه عن اهله واما الآدمي فاصله الحرمة وحرمته عظيمة
وانما ابيح لعارض فاشبه الصيد من الحيوانات المباحة من المأكولات فان الحرم يعصمها وانضم فان حاجة
اهل الحرم الى قتل الكلب العقور والحية والحدأة كحاجة اهل الحل سواء فلو اعاذها الحرم لعظم الضرر عليهم
بها فصل في قوله صلى الله عليه وسلم ولا يعضد بها شجر وفي اللفظ الآخر ولا يعضد شوكها وفي
لفظ في صحيح مسلم ولا يخبط شوكها لا خلاف بينهم ان الشجر البري الذي لم ينبته الآدمي على اختلاف انواعه
مراد من هذا اللفظ واختلفوا فيما انبته الآدمي فالشجر في الحرم على ثلثة اقوال وهي في مذهب الامام احمد

احدهما ان له قلعه والاصحاب عليه وهذا اختيار ابن عقيل وابو الخطاب وغيرهما والثاني انه ليس له قلعه وان فعله
فعليه الجزا بكل حال وهذا قول الشافعي وهو الذي ذكره ابن البنا في خصاله والثالث الفرق بين ما انبته في الحل ثم
غرسه في الحرم وبين ما انبته في الحرم اولا فالاول لا جزا فيه والثاني يقلع وفي الجزا بكل حال وهذا قول القاضي وفيه
قول رابع وهو الفرق بين ما ينبت الادمي جنسه كالجوز واللوز والنخل ونحوه وما لا ينبت الادمي جنسه كالدوح والسلم
ونحوه فالاول يجوز قلعه ولا جزا فيه والثاني فيه الجزا قال صاحب المغني والاولى الاخذ بعموم الحديث في تحريم الشجر كله
الا ما انبته الآدمي من جنس شجرهم بالقياس على ما انبتوه من الزرع والاهلي من الحيوان فاننا انما اخرجنا من الصيد ما كان
اصله انسيا دون ما تانس من الوحشي كذا هاهنا وهذا صريح منه باختيار هذا القول الرابع فصار في مذهب احمد اربعة
اقوال والحديث ظاهر جدا في تحريم قطع الشوك والعوسج وقال الشافعي لا يحرم قطعه لانه يوذي الناس بطبعه
اشبه السباع وهو اختيار ابي الخطاب وابن عقيل وهو مروي عن عطا ومجاهد وقوله صلى الله عليه وسلم لا يعضد
شوكها وفي لفظ لا يختلى شوكها صريح في المنع ولا يصح قياسه على السباع العاديه فان تلك تقصد لان طبعها الاذى
وهذا لا يوذي حرم بدين منه والحديث لم يفرق بين الاخضر واليابس ولكن قد جوز واقطع اليابس قالوا لانه منزلة
الميت ولا يعرف فيه خلاف وعلى هذا فسياق الحديث يدل على انه انما اراد الاخضر فانه جعله بمنزلة تنفير الصيد
وليس في اخذ اليابس انتهاك حرمة الشجرة الخضرا التي تسبح بحمد ربها وهذا عرس النبي صلى الله عليه وسلم على القبرين
غصنين اخضرين قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا وفي الحديث دليل على انه اذا انقلعت الشجرة بنفسها او انكسر
الغصن جاز الانتفاع به لانه لم يعضده هو وهذا لا نزاع فيه فان قيل فما تقولون فيما اذا قلعها قالع ثم تركها
فهل يجوز له او لغيره ان ينتفع بها قيل سئل الامام احمد عن هذه المسئلة فقال من شبهه بالصيد لم ينتفع
بخطبها وقال اسمع اذا قطعه ينتفع به وفيه وجه اخر انه يجوز لغير القاطع الانتفاع به لانه قطع بغير فعله
فاشبه ما لو قلعته الريح وهذا بخلاف الصيد اذا قتله محرم حيث يحرم على غيره فان قيل المحرم
لم جعلته ميتة وقوله في اللفظ الاخر لا يختلى شوكها صريح او كالصريح في تحريم قطع الورق وهذا مذهب احمد
وقال الشافعي له اخذه ويروى عن عطا والاول اصح لظاهر النص والقياس فان منزلته من الشجرة منزلة ريش الطائر
منه وقص فان اخذ الورق ذريعة الى يبس الاغصان فانه لباسها ووقايتها فصل وقوله صلى الله عليه وسلم
لا يختلى خلاها لا خلاف ان المراد من ذلك ما ينبت بنفسه دون ما انبته الآدميون ولا يدخل اليابس في الحديث
بل هو الرطب خاصة فان الخلا بالقصر الحشيش الرطب ما دام رطبا فاذا يبس فهو حشيش واخلت الارض كثر خلاها
واختلى الخلا قطعه ومنه الحديث كان بزعم يختلي لفرسه ومنه سميت المخلاة وهي وعاء الخلا والاذخر مستثنى بالنص
وفي تخصيصه بالاستثنا دليل على ارادة العموم فيما سواه فان قيل فهل تناول الحديث الرعي ام لا قيل هذا

فيه قولان احدهما لا يتناوله ويجوز الرعي وهذا قول الشافعي والثاني يتناوله بمعناه وان لم يتناوله بلفظه
فلا يجوز الرعي وهو مذهب ابي حنيفة والقولان لاصحاب احمد قال المجدون واي فرق بين اختلائه وتقديمه
للدابة وبين ارسال الدابة عليه ترعاه قال المجد لما كانت عادة الهدايا ان تدخل الحرم وتكثر ولم ينقل قط انها
كانت تشد افواهها دل على جواز الرعي قال المحررون الفرق بين ان يرسلها ترعى ويسلطها على ذلك وبين ان
ترعى ذلك بطبعها من غير ان يسلطها صاحبها وهو لا يجب عليه ان يسد افواهها كما لا يجب عليه ان يسد انفه
في الاحرام عن شم الطيب وان لم يجز له ان يتعمد شمه وكذلك لا يجب عليه ان يمنع فرسه حشيشة ان يوطي صيدا في طريقه
وان لم يجز له ذلك ولكنه نظائره فان قيل فهل يدخل في الحديث اخذ الكمأة والبنع وما كان مغيبا في الارض
قيل لا يدخل فيه لانه بمنزلة الثمره وقد قال احمد يوكل من شجر الحرم الضغابيس والعشر فصل وقوله
ولا ينفر صيدها صريح في تحريم التسبب الى قتل الصيد واصطياده بكل سبب حتى انه لا ينفره عن مكانه لانه حيوان
محرم في هذا المكان فمن سبق الى مكان فهو احق به ففي هذا ان الحيوان الحرم اذا سبق الى مكان لم يبح عنه والله اعلم

ساقطتها ٣

فصل قوله صلى الله عليه وسلم ولا يلتقط لقطتها الا من عرفها وفي لفظ لا تحل ساقطتها الا لمنشد فيه دليل
على ان لقطة الحرم لا تملك بكل حال وانها لا تلتقط الا للتعريف لا للتملك والا لم يكن لتخصيص مكة بذلك فايدة اصلا
وقد اختلف في ذلك فقال مالك وابو حنيفة لقطة الحل والحرم سواء وهذا احد الروايتين عن احمد واحد قولي
الشافعي ويروى عن ابن عمرو ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم وقال احمد في الرواية الاخرى والشافعي في القول
الاخر لا يجوز التقاطها للتملك وانما يجوز لحفظها لصاحبها فان التقطها عرفها ابدا حتى يأتي صاحبها وهذا قول عبد الرحمن
بن مهدي وابي عبيد وهذا هو الصحيح والحديث صريح فيه والمنشد المعرف والناشد الطالب ومنه
قول اصاخة الناشد للمنشد وقد روى ابو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لقطة الحاج قال
ابن وهب يعني لا يتركها حتى يجدها صاحبها قال شيخنا وهذا من خصائص مكة والفرق بينها وبين سائر البقاع
في ذلك ان الناس يفرقون عنها الى الاقطار المختلفة فلا يمكن صاحب الضالة من طلبها والسؤال عنها بخلاف غيرها من
البلدان فصل وفي قوله في الخطبة ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يقتل واما ان ياخذ الدية
فيه دليل على ان الواجب بقتل العمد لا يتعين في القصاص بل هو احد شيئين اما القصاص واما الدية وفي ذلك
ثلاثة اقوال وهي روايات عن الامام احمد انه الواجب اخذ شيئين اما القصاص واما الدية والخيرة في ذلك الى الولي
بين اربعة اشيا العفو مجانا والعفو الى الدية والقصاص ولا خلاف في الخيرة بين هذه الثلاثة والرابع المصالحة
على اكثر من الدية فيه وجهان اشهرهما مذهبا جوازه والثاني ليس له العفو على مال الا الدية او دونها وهذا الراجح
دليلا فان اختار الدية سقط القود ولم يملك طلبه بعد وهذا مذهب الشافعي واحد الروايتين عن مالك والقول

الثانى ان موجبه القود عينا وانه ليس له ان يعفو الى الدية الا برضى الجانى فان عفى الى الدية ولم يرض الجانى فعفوه
بحاله وهذا مذهب مالك فى الرواية الاخرى ولابى حنيفة والقول الثالث ان موجبه القود عينا مع التخيير بينه
وبين الدية وان لم يرض الجانى فاذا عفى عن القصاص الى الدية فرضى الجانى فلا اشكال وان لم يرض فله العود
الى القصاص فان عفى عن القود مطلقا فان قلنا الواجب احد شيئين فله الدية وان قلنا الواجب القصاص
عينا سقط حقه منهما فان قيل فما تقولون فيما لو مات القاتل قيل فى ذلك قولان احدهما تسقط الدية
وهو مذهب ابى حنيفة لان الواجب عندهم القصاص عينا وقد زال محل استيفاءه بفعل الله تعالى فاشبه ما لو مات
العبد الجانى فان ارش الجناية لا ينتقل الى ذمة السيد وهذا بخلاف تلف الرهن وموت الضامن حيث لا يسقط
الحق لثبوته فى ذمة الراهن والمضمون عنه فلم يسقط بتلف الوثيقة وقال الشافعى واحمد تتعين الدية
فى تركته لانه تعذر استيفاء القصاص فرغ عن اسقاط فوجب الدية لئلا يذهب حق الورثة فى الدم والدية مجانا
فان قيل فما تقولون لو اختار القصاص ثم اختار بعده العفو الى الدية هل له ذلك قلنا هذا فيه وجهان
احدهما ان له ذلك لان القصاص اعلى فكان له الانتقال الى الادنى والثانى ليس له ذلك لانه لما اختار القصاص فقد
اسقط الدية باختياره له فليس له ان يعود اليها بعد اسقاطها فان قيل فكيف تجمعون بين هذا الحديث
وبين قوله صلى الله عليه وسلم من قتل عمدا فهو قود قيل لا تعارض بينهما بوجه فان هذا يدل على وجوب القود
بقتل العمد وقوله فهو بخير النظرين يدل على تخييره بعد استيفاء هذا الواجب له وبين اخذ بدله وهو الدية
فاى تعارض وهذا الحديث نظير قوله تعالى كتب عليكم القصاص وهذا لا ينفى تخيير المستحق بين ما كتب له
وبين بدله والله اعلم **فصل** فى قوله فى الخطبة الا الاذخر بعد قول العباس له الا الاذخر يدل على مسئلتين
احدهما ابلحة قطع الاذخر والثانية انه لا يشترط فى الاستثناء ان ينوى مزاولة الكلام او قبل فراغه لان النبى
صلى الله عليه وسلم لو كان ناويا لان يستثنى الاذخر مزاول كلامه او قبل تمامه لم يتوقف استثناءه له على سؤال
العباس له ذلك واعلامه انهم لا بد لهم منه لقينهم وبيوتهم ونظير هذا استثناءه صلى الله عليه وسلم لسهيل
بن بيضا من اسارى بدر بعد ان ذكره بن مسعود الا سهيل بن بيضا فانى سمعته يذكر الاسلام الا سهيل بن بيضا
ومن المعلوم انه لم يكن نوى الاستثناء فى الصورتين مزاول كلامه ونظيره ايضا قول الملك لسليمان لما قال لاطوفن
الليلة على مائة امراة فتلد كل امراة غلاما يقاتل فى سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل فقال النبى صلى الله
عليه وسلم لو قال ان شاء الله لقاتلوا فى سبيل الله اجمعون وفى لفظ لكان دركا لحاجته فاخبر ان هذا الاستثنا
لو وقع منه فى هذا الحال لنفعه ومن يشترط النية يقول لا ينفعه ونظير هذا قوله صلى الله عليه وسلم لاغزون
قريشا والله لاغزون قريشا ثلثا ثم سكت ثم قال ان شاء الله فهذا استثناء بعد سكوت وهو تيظمى انشا

فقال لا ينفلت احد منهم الا فريت عنقه فقال بن مسعود الا

الاستثنا

الاستثنا بعد الفراغ من الكلام والسكوت عليه وقد نص احمد على جوازه وهو الصواب بلا ريب والمصير
الى موجب هذه الاحاديث الصحيحة الصريحة اولى وبالله التوفيق **فصل** وفى القصة ان رجلا من اهل اليمن
يقال له ابو شاه قام فقال اكتبوا لى فقال النبى صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابى شاه يريد خطبته ففيه دليل على كتابة
العلم ونسخ النهى عن كتابة الحديث فان النبى صلى الله عليه وسلم قد كتب عنه شيئا غير القرآن فليصح وهذا
كان فى اول الاسلام خشية ان يختلط الوحى الذى يتلى والوحى الذى لا يتلى ثم اذن فى الكتابة لحديثه وصح عن
عبد الله بن عمرو انه كان يكتب حديثه وكان مما كتب صحيفة تسمى الصادقة هى التى رواها حفيده عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده وهى من اصح الاحاديث وكان بعض ائمة الحديث يجعلها فى درجة ايوب عن نافع عن ابن عمر
والائمة الاربعة وغيرهم احتجوا بها **فصل** وفى القصة ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل البيت وصلى
فيه ولم يدخله حتى محيت الصور عنه ففيه دليل على كراهة الصلوة فى المكان المصور وهذا احق بالكراهة من الصلوة
فى الحمام لان كراهة الصلوة فى الحمام اما لكونه مظنة النجاسة واما لكونه بيت الشيطان وهو الصحيح واما محل
الصور فمظنة الشرك وغالب شرك الامم كان من جهة الصور والقبور **فصل** وفى القصة انه دخل مكة
وعليه عمامة سوداء ففيه دليل على جواز لبس السواد احيانا ومن ثم جعل خلفاء بنى العباس لبس السواد شعارا
لهم ولولاتهم وقضاتهم وخطبائهم والنبى صلى الله عليه وسلم لم يلبسه لباسا راتبا ولا كان شعارا له فى الاعياد
والجمع والمجامع العظام البينة وانما اتفق له لباس العمامة السوداء يوم الفتح دون سائر الصحابة ولم يكن سائر
لباسه السواد يومئذ بل كان لواؤه ابيض **فصل** ومما وقع فى هذه الغزوة اباحة متعة النساء
ثم حرمها قبل خروجه واختلف فى الوقت الذى حرمت فيه المتعة على اربعة اقوال احدها انه يوم خيبر
وهذا قول طائفة من العلماء منهم الشافعى وغيره الثانى انه عام فتح مكة وهذا قول بعض اليمنيين وطائفة والثالث
انه يوم حنين وهذا فى الحقيقة هو القول الثانى لاتصال غزوة حنين بالفتح والرابع انه عام حجة الوداع
وهو وهم من بعض الرواة سافر فيه وهم من فتح مكة الى حجة الوداع كما سافر وهم معوية رضى الله عنه من عمرة الجعرانة
الى حجة الوداع حيث قال قصرت عن النبى صلى الله عليه وسلم بمشقص على المروة فى حجته وقد تقدم فى الحج وسفر
الوهم من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان ومن واقعة الى واقعة كثيرا ما يعرض للحفاظ فمن دونهم والصحيح
ان المتعة انما حرمت عام الفتح لانه قد ثبت فى صحيح مسلم انهم استمتعوا عام الفتح مع النبى صلى الله عليه وسلم
باذنه ولو كان التحريم زمن خيبر للزم النسخ مرتين وهذا لا عهد بمثله فى الشريعة البتة ولا يقع مثله فيها
وايضا فان خيبر لم يكن فيها مسلمات وانما كن يهوديات واباحة نساء اهل الكتاب لم يكن ثبت بعد انما انزل
بعد ذلك فى سورة المائدة بقوله اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم

النبي صلى الله عليه وسلم ان يقدموا على قتله بغير اذنه واستحيا رسول الله صلى الله عليه وسلم من زعمان وساعد القدر السابق
لما يريد الله سبحانه بعبده مما ظهر منه بعد ذلك من الفتوح فبايعه وكان ممن استثنى الله بقوله كيف يهدي الله قوما كفروا
بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله
والملئكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله
غفور رحيم وقول صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنبي ان يكون له خائنة الاعين اي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالف ظاهره
باطنه وسره علانيته واذا انفذ حكم الله وامره لم يؤمر به بل صرح به واعلنه واظهره

فصل في غزوة حنين

وتسمى غزوة اوطاس وهما موضعان بين مكة والطائف سميت الغزوة باسم مكانها وتسمى غزوة هوازن لانهم الذين اتوا
لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق لما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة
جمع مالك بن عوف النضري فاجتمع اليه من هوازن ثقيف كلها واجتمعت اليه مضر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من
بني هلال وهم قليل ولم يشهدها من قيس عيلان الا هؤلاء ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ومن جشم دريد
بن الصمة شيخ كبير ليس فيه الا رأيه ومعرفته بالحرب وكان شجاعا مجربا ومن ثقيف سيدان لهم ومن الاحلاف قارب بن
الاسود ومن بني مالك سبيع بن الحارث واخوه احمر بن الحارث وجماع امر الناس الى مالك بن عوف فلما اجمع السير الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ساق مع الناس نساءهم واموالهم وابناءهم فلما نزلوا باوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم
دريد بن الصمة قال باي واد انتم قالوا باوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل ولا دهس مالي اسمع رغاء
البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير وثغاء الشاء قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس نساءهم واموالهم وابناءهم
قال اين مالك قالوا هذا مالك ودعي له قال يا مالك انك قد اصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كائن لما بعده مرت الايام
مالي اسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء قال سقت مع الناس نساءهم وابناءهم واموالهم قال فلم
قال اردت ان اجعل خلف كل رجل اهله وماله ليقاتل عنهم فقال راعي ضان انت والله وهل يرد المنهزم شيء ان كانت
لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت في اهلك ومالك ثم قال لما فعلت كعب وكلاب قالوا
لم يشهدها احد قال غاب الجد والحد لو كان يوم علاء ورفعة لم يغب عنه كعب وكلاب ولوددت انكم فعلتم ما فعلت
كعب وكلاب فمن شهدها منكم قالوا عمرو بن عامر وعوف بن عامر قال ذانك الجذعان لا ينفعان ولا يضران يا مالك
انك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحور الخيل شيئا ارفعهم الى ممتنع بلادهم وعليا قومك ثم الوا العبا
على متون الخيل فان كانت لك لحق بكر ورائك وان كانت عليك الفاك ذلك وقد احرزت مالك واهلك قال
والله لا افعل انك قد كبرت وكبر عقلك والله لتطيعني يا معشر هوازن او لاقتلن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري
وكره ان يكون لدريد فيها ذكر ورأي قالوا اطعناك فقال دريد هذا يوم لم اشهده ولم يفتني يا ليتني فيها جذع

اخب فيها

اخب فيها واضع اقود وطفاء الزمع كانها شاة صدع ثم قال ملك للناس اذا رايتموهم اكسروا جفون سيوفكم
ثم شدوا شدة رجل واحد ولعبت عيونا مر رجاله فاتوه قد تفرقت اوصالهم قال ويلكم ما شانكم قالوا رايتنا
رجالا بيضا على خيل بلق والله ما تماسكنا ان اصابنا ما ترى فوالله ما رده ذلك عن وجهه ان حضى على ما يريد
فلما سمع بهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم عبد الله بن حدرد الاسلمي فامره ان يدخل في الناس فيقيم فيهم
حتى يعلم علمهم فيأتيه بخبرهم فانطلق بن ابي حدرد فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد جمعوا له من حرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسمع من مالك وامر هوازن ومأهم عليه ثم اقبل حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره الخبر فلما اجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير الى هوازن ذكر له ان عند صفوان بن امية ادراعا
وسلاحا فارسل اليه وهو يومئذ مشرك فقال يا ابا امية اعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا فقال صفوان
اغصبا يا محمد فقال بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها اليك قال ليس بهذا باس فاعطاه مائة درع بما يكفيها
من السلاح فزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله ان يكفيهم حملها ففعل ثم خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم معه الفان من اهل مكة مع عشرة الاف من اصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله لهم مكة وكانوا اثنى
عشر الفا واستعمل عتاب بن اسيد على مكة اميرا ثم مضى يريد لقاء هوازن قال ابن اسحق فحدثني عاصم
بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن ابيه جابر بن عبد الله قال لما استقبلنا واد حنين انحدرنا
في واد من اودية تهامة اجوف حطوط انما ننحدر فيه انحدارا قال وفي عماية الصبح وكان القوم قد سبقونا
الى الوادي فكمنوا لنا في شعابه واحنائه ومضائقه وقد اجمعوا وتهيأوا واعدوا فوالله ما راعنا ونحن منحطون
الا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد ونفر الناس راجعين لا يلوي احد منهم على احد وانحاز رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ثم قال يا ايها الناس هلم الي انا رسول الله انا محمد بن عبد الله وبقي مع رسول
صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين واهل بيته وفيمن ثبت معه من المهاجرين ابو بكر وعمر ومن اهل بيته علي
والعباس وابو سفيان بن الحرث وابنه والفضل بن عباس وربيعة ابن الحارث واسامة بن زيد وايمن بن ام ايمن
قال وقتل يومئذ رجل من هوازن على جمل له احمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل امام هوازن وهوازن
خلفه اذا ادرك طعن برمحه واذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما هو كذلك اذ هوى له علي
بن ابي طالب ورجل من الانصار يريدانه قال فاتى علي من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ووثب
الانصاري على الرجل فضربه ضربة اطن قدمه بنصف ساقه فانجعف عن رحله قال فاختلف الناس فولوا
ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الاساري عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق
ولما انهزم المسلمون ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة اهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم

بما في انفسهم من الظفر فقال ابو سفين بن حرب لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وان الازلام لمعه في كنانته وصرخ
جبلة بن الحينذ قال ابن هشام صوابه كلدة الابطل السحر اليوم فقال له صفوان وهو اخوه لامه وكان بعد مشركا
اسكت فض الله فاك والله لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن وذكر بن سعيد
عن شيبة بن عثمان الحجبي قال لما كان عام الفتح دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قلت اسير مع قريش
الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا ان اصيب من محمد غرة فاثار منه فاكون انا الذي قتلت بثار قريش كلها
واقول لو لم يبق من العرب والعجم احد الا اتبع محمدا ما تبعته ابدا وكنت مرصدا لما خرجت له لا يزداد الامر في نفسي
الا قوة فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بغلته واصلت السيف فدنوت منه اريد
ما اريد ورفعت سيفي حتى كدت اشرعه رفع لي شواظ من نار كالبرق كاد يخمشني فوضعت كفي على بصري
خوفا عليه فالتفت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداني يا شيبة ادن فدنوت فمسح صدري ثم قال اللهم
اعذه من الشيطان قال فوالله لهو كان ساعتئذ احب الي من سمعي وبصري ونفسي واذهب الله ما كان في نفسي
ثم قال ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي الله يعلم اني احب ان افيه بنفسي كل شيء ولو لقيت تلك الساعة
ابي حيا لا وقعت به السيف فجعلت ازمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون فكروا كرة رجل واحد فقربت بغلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوى عليها فخرج في اثرهم حتى تفرقوا في كل وجه ورجع الى معسكره ودخل
خباءه فدخلت عليه ما دخل عليه احد غيري حبا للروية وجهه فقال يا شيبة الله الذي اراد بك خيرا مما اردت
لنفسك ثم حدثني بكل ما اضمرت في نفسي مما لم اكن اذكره لاحد قط قال فقلت اني اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله ثم قلت استغفر لي فقال غفر الله لك قال ابن اسحق وحدثني الزهري عن كثير بن العباس
عن ابيه العباس بن عبد المطلب قال اني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجر بها فكنت
ارأى جيبها شديد الصوت قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين راى من الناس ما راى الى اين ايها الناس
قال فما ارى الناس يلوون على شيء فقال يا عباس اصرخ يا معشر الانصار يا معشر اصحاب السمرة فاجابوا لبيك لبيك
قال فينهب الرجل لينثني بعيره فلا يقدر على ذلك فياخذ درعه فيسدكها في عنقه وياخذ سيفه وترسه فيقتحم
عن بعيره ويخلي سبيله فيؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا اجتمعوا اليه بقدر
مائة رجل استقبلوا الناس فاقتتلوا وكانت الدعوة اول ما كانت بالانصار ثم خلصت اخرا بالخزرج وكانوا اصبرا
عند الحرب فاشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابه فنظر الى مجتلد القوم وهم يجتلدون فقال الآن حمي الوطيس
وزاد غيره انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وفي صحيح مسلم ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات
فرمى بهن في وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد فما هو الا ان راهم فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا

وفي لفظ له انه نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم فقال شاهت الوجوه
فما خلق الله منهم انسانا الا ملاء عينيه ترابا من تلك القبضة فولوا مدبرين وذكر ابن اسحق عن جبير بن مطعم قال لقد
رايت قبل الهزيمة والناس يقتتلون مثل البجاد الاسود اقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فاذا نمل
اسود مبثوث قد ملاء الوادي فلم يكن الا هزيمة القوم فلم اشك انها الملائكة قال ابن اسحق ولما انهزم المشركون
اتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم باوطاس وتوجه بعضهم نخلة وبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم في اثر من توجه قبل اوطاس ابا عامر الاشعري فادرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فرمى بسهم
فقتل واخذ الراية ابو موسى الاشعري وهو بن عمه فقاتل ففتح الله عليه وهزمهم الله وقتل قاتل ابي عامر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لابي عامر واجعله يوم القيمة فوق كثير من خلقك واستغفر لابي موسى ومضى عوف
بن مالك حتى تحصن بحصن ثقيف واسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبي والغنايم فجمع ذلك كله
الى الجعرانة وكان السبي ستة الاف راس والابل اربعة وعشرون الفا والغنم اكثر من اربعين الف شاة واربعة
الاف اوقية فضة فاستاناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة ليلة ثم بدا بالاموال
فقسمها واعطى المؤلفة قلوبهم اول الناس فاعطى ابا سفين بن حرب اربعين اوقية ومائة من الابل فقال
ابني يزيد قال اعطوه اربعين اوقية ومئة من الابل قال ابني معوية قال اعطوه اربعين اوقية ومائة من الابل
واعطى حكيم بن حزام مائة من الابل ثم سأله مائة اخرى فاعطاه واعطى النضر بن الحارث بن كلدة مائة من الابل واعطى
واعطى العلاء بن حارثة الثقفي خمسين وذكر اصحاب المائة واصحاب الخمسين واعطى العباس بن مرداس فقال
في ذلك شعرا فكمل له المئة ثم امر زيد بن ثابت باحضار الغنائم والناس ثم قسمها على الناس وكانت سهامهم
لكل رجل اربعة من الابل واربعين شاة فان كان فارسا اخذ اثنا عشر بعيرا ومائة شاة قال ابن اسحق وحدثني
عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابي سعيد الخدري قال لما اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطى
من تلك العطايا في قريش وفي قبايل العرب لم يك في الانصار منها شيء وجد هذا الحي من الانصار في انفسهم
حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قايلهم لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة
فقال يا رسول الله ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في انفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي اصبت
فقسمت في قومك واعطيت عطايا عظاما في قبايل العرب ولم يكن في هذا الحي من الانصار شيء قال فاين
انت من ذلك يا سعد فقال يا رسول الله ما انا الا من قومي فقال فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة قال
فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اتى سعدا قال قد جمعت لك هذا الحي من
الانصار اتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال يا معشر الانصار بلغني عنكم

وجدة وجدتموها فى انفسكم الم انكم ضلالا فهداكم الله بى وعالة فاغناكم الله بى واعداء فالف الله بين قلوبكم قالوا
الله ورسوله امن وافضل ثم قال الا تجيبونى يا معشر الانصار قالوا بماذا نجيبك لله ورسوله المن والفضل قال اما والله
لو شئتم لقلتم ولصدقتم وصدقتم اتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فاسينا
اوجدتم علي يا معشر الانصار فى انفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم الا ترضون
يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم الى رحالكم فوالذى نفس محمد بيده
لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا وسلك الانصار شعبا
لسلكت شعب الانصار ووادیها الانصار شعار والناس دثار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء
ابناء الانصار قال فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظا ثم
انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا وقدمت الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى اخت رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الرضاعة فقالت يا رسول الله انى اختك قال وما العلامة فى ذلك قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى
وانا متورکتك قال فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه واجلسها عليه وخيرها فقال
ان احببت فعندى محببة مكرمة وان احببت ان امتعك فترجعى الى قومك قالت بل تمتعنى وترديني الى قومي
ففعل فزعم بنو سعد انه اعطاها غلاما يقال له مكحول وجارية فزوجت احدهما من الاخر فلم يزل فيهم
من نسلهم بقية وقال ابو عمر فاسلمت فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة اعبد وجارية ونعما وشاء
وسماها حذافة قال والشيما لقب **فصل** وقدم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اربعة
عشر رجلا واسم زهير بن صرد وفيهم ابو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فسألوه ان يمن عليهم
بالسبي
والاموال فقال ان معي من ترون وان احب الحديث الي اصدقه فابناءكم ونساءكم احب اليكم ام اموالكم قالوا ما كنا
لنعدل بالنساء شيئا وقال اذا صليت الغداة فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المؤمنين
ونستشفع بالمؤمنين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرد علينا سبينا فلما صلى الغداة قاموا فقالوا ذلك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وساسئل لكم الناس فقال المهاجرون
والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الاقرع بن حابس اما انا وبنو تميم فلا وقال عيينة
ابن حصن اما انا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس اما انا وبنو اسليم فلا فقالت بنو اسليم ما كان لنا
فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس بن مرداس وهنتمونى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهؤلاء
القوم قد جاؤا مسلمين وقد كنت استأنيت بسبيهم وقد خيرتهم فلم يعدلوا بابناءهم ونسائهم شيئا فمن كان
عنده منهن شيئا وطابت نفسه بان يرده عليهم بسبيل ذلك ومن احب ان يستمسك بحقه فليرد عليهم والرجل

فريضة ست فرائض من اول ما فيء الله علينا فقال الناس قد طبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا اعرف
من رضي منكم ممن لم يرض فارجعوا حتى يرجع الينا عرفاؤكم امركم فردوا عليهم نساءهم وابناءهم ولم يتخلف
منهم احد غير عيينة بن حصن فانه ابى ان يرد عجوزا صارت فى يديه منهم ثم ردها بعد ذلك وكسى رسول الله
صلى الله عليه وسلم السبي قبطية قبطية **فصل** فى الاشارة الى بعض ما تضمنته هذه الغزوة من المسائل
الفقهية والنكت الحكمية كان الله عز وجل قد وعد رسوله وهو الصادق الوعد انه اذا افتح مكة دخل الناس فى دينه
افواجا ودانت له العرب باسرها فلما تم له الفتح المبين اقتضت حكمته تعالى ان امسك قلوب هوازن ومن تبعها
عن الاسلام وانهم تجمعوا وتأهبوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ليظهر امر الله وتمام اعذاره
لرسوله ونصره لدينه وتكون غنائمهم شكرانا لاهل الفتح وليظهر لله سبحانه رسوله وعباده وفضله لهذه الشوكة
العظيمة التى لم يلق المسلمون مثلها فلم يقاومهم بعد احد من العرب وليغير ذلك من الحكم الباهرة التى تلوح للمتأملين
وتبدو للمتوسمين واقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان اذاق المسلمين اولا مرارة الهزيمة والكثيرة مع كثرة عددهم
وقوة شوكتهم ليطامن على رؤوسا رفعت بالفتح ولم يدخل بلده وحرمه كما دخله رسوله صلى الله عليه وسلم واضعا رأسه
منحنيا على فرسه حتى ان ذقنه تكاد ان يمس سرجه تواضعا لربه واستكانة لعزته ان احل له حرمه وبلده ولم يحل
لاحد قبله ولا لاحد بعده وليبين سبحانه لمن قال لن نغلب اليوم من قلة بان النصر انما هو من عنده وانه من
ينصره فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له غيره والله سبحانه هو الذى تولى نصر رسوله ودينه لا اكثرتكم التى
اعجبتكم فانها لم تغن عنكم شيئا فوليتم مدبرين فلما انكسرت قلوبكم ارسلت اليها خلع الجبر مع بريد النصر
فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وقد اقتضت حكمته ان خلع النصر وجواثره
انما تفيض على اهل الانكسار وتزيدان ممن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين
ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ومنها ان الله سبحانه لما منع
الجيش غنائم مكة فلم يغنموا منها ذهبا ولا فضة ولا امتاعا ولا سبيا ولا ارضا كما روى ابو داود عن وهب بن
منبه قال سألت جابرا هل غنموا يوم الفتح شيئا قال لا وكانوا قد فتحوها بايجاف الخيل والركاب وهم عشرة الاف
وفيهم حاجة الى ما يحتاج اليه الجيش من اسباب القوة فحرك سبحانه قلوب المشركين لغزوهم وقذف فى قلوبهم
اخراج اموالهم ونعمهم وشاءهم وسبيهم معهم نزلا وضيافة وكرامة لجنده وتمم تقديره سبحانه بان اطمعهم
فى الظفر والاخذ لهم مبادي النصر ليقضي الله امرا كان مفعولا فلما انزل الله نصره على رسوله واوليائه وبرز
الغنائم الى اهلها صارت وجرت فيها سهام الله ورسوله قيل لا حاجة لنا فى دمائكم ولا فى نسائكم وذراريكم فاوحى الله
سبحانه فى قلوبهم التوبة والانابة فجاؤا مسلمين فقيل ان من شكر اسلامكم ان نرد عليكم نساءكم وابناءكم وسبيكم

وان يعلم الله فى قلوبكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ومنها ان الله سبحانه افتتح غزو العرب
بغزوة بدر وختم غزوهم بغزوة حنين ولهذا لا يفرق بين هاتين الغزاتين بالذكر فيقال بدر وحنين
وان كان بينهما سبع سنين والملائكة قاتلت بانفسها مع المسلمين فى هاتين الغزاتين والنبى صلى الله عليه وسلم
رمى وجوه المشركين بالحصى فيهما وبهاتين الغزاتين طفئت جمرة العرب لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
فالاولى خوفتهم وكسرت من حدهم والثانية استفرغت قواهم واستنفدت سهامهم واذلت جمعهم حتى لم يجدوا
بدا من الدخول فى دين الله ومنها ان الله سبحانه جبر بها اهل مكة وفرحهم وعزهم وعز فخرهم تمام نعمته عليهم
بما صرف عنهم من شر هوازن وانه لم يكن لهم بهم طاقة وانما نصروا عليهم بالمسلمين ولو افردوا عنهم لاكلم عدوهم
الى غير ذلك من الحكم التى لا يحيط بها الا الله **فصل** ومنها من الفقه ان الامام ينبغى له ان يبعث
العيون ومن يدخل بين عدوه ليأتيه بخبرهم وان الامام اذا سمع بقصد عدوهم له وفى جيشه قوة ومنعة
لا يقعد ينتظرهم بل يسير اليهم كما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوازن حتى لقيهم بحنين ومنها
ان الامام له ان يستعين بسلاح المشركين وعدتهم لقتال عدوهم كما استعار النبى صلى الله عليه وسلم ادراع صفوان
وهو يومئذ مشرك ومنها ان من تمام التوكل استعمال الاسباب التى يسببها الله لمسبباتها قدرا وشرعا
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اكمل الخلق توكلا وانما يلقون عدوهم وهم متحصنون بانواع السلاح
ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة والبيضة على راسه وقد انزل الله عليه والله يعصمك من الناس وكثير ممن
لا تحقيق عنده ولا رسوخ فى العلم يستشكل هذا ويتكايس فى الجواب تارة بان هذا فعله تعليما للامة وتارة
بان هذا كان قبل نزول الاية ووقعت مسئلة فى مصر سال عنها بعض الامراء وقد ذكر له حديث ذكره
ابو القسم بن عساكر فى تاريخه الكبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ان اهدت له اليهودية الشاة
المسمومة لا ياكل طعاما قدم له حتى ياكل منه من قدمه فقالوا وفى هذه اسوة للملوك فى ذلك فقال قايل كيف
يجمع بين هذا وبين قوله والله يعصمك من الناس فاذا كان الله سبحانه قد ضمن له العصمة فهو يعلم انه لا سبيل
لبشر عليه فاجاب بعضهم ان هذا يدل على ضعف الحديث وبعضهم بان هذا كان قبل نزول الاية فلما
نزلت لم يفعل ذلك بعدها ولو تامل هؤلاء ان ضمان الله له العصمة لا ينافيه تعاطيه لاسبابها لا غناهم عن هذا
التكلف فان هذا الضمان له من ربه تعالى لا ينافى احتراسه من الناس ولا ينافيه كما ان اخبار الله سبحانه
له بانه مظهر دينه على الدين كله وبعليه لا ينافى امره بالقتال واعداد العدة والقوة ورباط الخيل والاخذ
بالجد والحذر والاحتراس من عدوه ومحاربته بانواع الحرب والتورية فكان اذا اراد الغزوة ورى بغيرها
وذلك لان هذا اخبار من الله سبحانه عن عاقبة حاله ومآله بما يتعاطاه من الاسباب التى جعلها مقتضية لذلك

مقتضية له وهو صلى الله عليه وسلم اعلم بربه واتبع لامره من ان تعطل الاسباب التى جعلها الله بحكمته موجبة
لما وعده من النصر والظفر واظهار دينه وغلبته لعدوه وهذا كما انه سبحانه ظمن لرسوله حتى يبلغ رسالاته
ويظهر دينه وهو يتعاطى اسباب الحيوة من المأكل والمشرب والملبس والمسكن وهذا موضع يغلط فيه كثير
من الناس حتى الذى ذكر بعضهم الى ترك الدعا وانه لا فائدة فيه زعم ان كان المسئول قد قدر نواله ولا بد
وان كان لم يقدر لم ينله فاى فائدة فى الاستهال بالدعا ثم الجواب فى الجواب بان قال الدعا عباده فيقال
لهذا القائل بقى عليك قسم اخر وهو الحق اذا ان قدر له مطلوبه بسبب ان تعاطاه حصل له المطلوب
وان عطل السبب فاتة المطلوب والدعا من اعظم الاسباب فى حصول المطلوب ومثل هذا القائل الاسفل
من يقول ان كان الله قد قدر لى الشبع فانا اشبع اكلت اولم اكل وان لم يقدر لى الشبع لم اشبع اكلت اولم اكل
فما فائدة الاكل ومثل هذه التمهات الباطلة المنافية لحكمة الله تعالى وشرعه وباس التوفيق **فصل**
ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم شرط لصفوان فى العارية الضمان فقال بل عارية مضمونة فهل هذا
اخبار عن شرعه فى العاريه ووصف لها بوصف شرعة الله فيها وان حكمها الضمان كما يضمن المغصوب
او اخبار عن ضمانها بالادى بعينها ومعناه انى ظامن لك تاديتها وانها لا تذهب بل نردها عليك بعينها
هذا مما اختلف فيه الفقهاء فالشافعى واحمد بالاول وانها مضمونة بالتلف وقال ابو حنيفة ومالك
بالثانى وانها مضمونة بالرد على تفصيل فى مذهب مالك وهو ان العين ان كانت مما لا يغاب عليه كالحيوان
والعقار لم يضمن بالتلف الا ان يظهر كذبه وان كانت مما يغاب عليه كالحلى ونحوه ضمن التلف الا ان
يأتى ببينة تشهد على التالف وسر مذهبه ان العارية امانة غير مضمونة كما قال ابو حنيفة الا انه لا يقبل
قوله فيما يخالف الظاهر فلذلك فرق بينما يغاب عليه وما لا يغاب عليه وما اخذ المسئلان قوله صلى الله
عليه وسلم لصفوان بل عارية مضمونة هل اراد بها مضمونة بالرد او بالتلف اى اظمنها ان تلفت او اضمن
لك ردها وهو يحتمل الامرين وهو فى ضمان الرد اظهر لثلاثة اوجه احدها ان فى اللفظ الاخر
بل عارية مؤداة هذا بين ان قوله مضمونة المراد مضمونة بالادى الثانى انه لم يسئله عن تلفها وانما
سأله هل تاخذها منى اخذ غصب تحول بينى وبينها فقال لا بل اخذها عارية اؤديها اليك ولو
كان سأله عن تلفها وقال اخاف ان تذهب لنا سبب ان يقول انا ظامن لها ان تتلف الثالث انه
انه جعل الضمان صفة لها نفسها ولو كان ضمان تلف لكان الضمان لبدلها ولما وقع الضمان على اداتها
دل على ان ضمان ادا فان قيل وفى القصة ان بعض الدروع ضاع فعرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم
ان يضمنها فقال انا اليوم فى الاسلام ارغب قيل هل عرض عليه امرا واجبا او امرا جايزا مستحبا فالاولى

فعله وهو من مكارم الاخلاق والشيم ومن محاسن الشريعه وقد يرجح الثاني انه عرض عليه الضمان ولو كان الضمان واجبا لم يعرضه عليه بل كان يفي له به ويقول هذا حقك كما لو كان الذاهب بعينه موجودا فانه لم يكن ليعرض عليه رده فتامله **فصل** وفيها جواز عقر فرس العدو وركوبه اذا كان عونا على قتله كما عقر علي بعيرا حامل راية الكفار وليس هذا من تعذيب الحيوان المنهي عنه وفيها عفو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن من هم بقتله ولم يعاجله بل دعاله ومسح صدره حتى عاد كاذ ولي جهيم بنفسه وفيها ما ظهر في هذه الغزوه من معجزات النبوه وايات الرساله من اخباره لشيبه بما اضمر في نفسه ومن بثاته وقد قولي عند الناس وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقد استقبلته كتائب المشركين وفيها ايصال الله سبحانه قبضته التي رمى بها الى عيون اعدائه على البعد منه وتوكلمنا في ذلك حتى ملأت تلك القبضة اعين القوم الى غير ذلك من معجزاته منها كثرة الملائكه للقتال معه حتى راهم العدو وجمعهم ورآهم بعض المسلمين ومنها جواز انتظار الامام ليقسم الغنائم ثم اسلام الكفار ثم اسلام الكفار ودخولهم في الطاعه فيرد عليهم غنائمهم وسبيهم وفي هذا دليل لمن يقول ان الغنيمة انما تملك بالقسمة لا بمجرد الاستيلا عليها اذ لو ملكها المسلمون بمجرد الاستيلا عليها لم يستانن بهم النبي صلى الله عليه وسلم لردها عليهم ولهذا لو مات فر الغانمين احد قبل القسمه واحرز هابدار الاسلام رد نصيبه على نفس الغانمين دون ورثته وهذا مذهب ابي حنيفه ولو مات قبل الاستيلا لم يكن لورثته شيئ ولو مات بعد القسمة فسهمه لورثته **فصل** وهذا العطا الذي اعطا النبي صلى الله عليه وسلم لقريش والمؤلفة قلوبهم هل هو من اصل الغنيمه او من خمس الخمس وهو سهم الذي جعله الله من الخمس وهو غير الصفي وغير ما يصيبه من المغنم لان النبي صلى الله عليه وسلم استاذن الغانمين في تلك العطيه ولو كان العطا من اصل الغنيمه لاستاذنهم لانهم ملكوها بحوزها والاستيلا عليها وليس هذا من اصل الخمس لانه مقسوم على خمسة فهو اذا من خمس الخمس وقد نص الامام احمد على ان النفل يكون من اربعة اخماس الغنيمه وهذا العطا هو من النفل نفل النبي صلى الله عليه وسلم به رؤساء القبايل والعشاير ليتالفهم به وقومهم على الاسلام فهو اولى بالجواز من تنفيل الثلث بعد الخمس والربع بعده لما فيه من تقوية الاسلام وشوكته واهله واستجلاب عدوه اليه وهكذا وقع سواء كما قال بعض هؤلاء الذين نفلهم لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي فما ذاك بعطاء قوى الاسلام واهله واذل الكفر وحزبه واستجلب قلوب رؤس القبايل والعشاير الذين اذا غضبوا غضب لغضبهم اتباعهم واذا رضوا رضي لرضاهم اتباعهم فاذا اسلم هؤلاء لم يتخلف عنهم احد من قومهم فلله ما اعظم موقع هذا العطا وما اجداه وانفعه للاسلام واهله

ومعلوم

ومعلوم ان الانفال لله ورسوله يقسمها رسوله حيث امره لا يتعدى الامر فلو وضع الغنائم باسرها في هؤلاء المصلحة الاسلام العامه لما خرج عن الحكمه والمصلحه والعدل ولما عميت ابصار ذي الخويصره التميمي واضرابه عن هذه المصلحه والحكمه قال له قائلهم اعدل فانك لم تعدل وقال مشبهه انها قسمه ما اريد بها وجه الله ولعمر والله اذا هؤلاء فراجهل الخلق برسوله ومعرفة بربه وطاعته له وتمام عدله واعطاءه لله ومنعه لله سبحانه فلا ان يقسم الغنائم كما يجب وله ان يمنعها الغانمين جمله كما منعهم غنايم مكه وقد اوجفوا عليها بخيلهم وركابهم وله ان يسلط عليها نارا من السماء تاكلها وهو في ذلك اعدل العادلين واحكم الحاكمين وما فعله من ذلك عبثا ولا لقدره سدى بل هو عين المصلحه والحكمه والعدل والرحمه مصدره كما علمه وعزته وحكمته ورحمته ولقد اتم نعمته على قوم ردهم الى منازلهم برسوله يحوزونه الى ديارهم وارضى قدر مما لا يعرف قدر هذه النعم بالشاه والبعير كما يعطى الصغير ما يناسب عقله ومعرفته ويعطى العاقل اللبيب ما يناسبه وهذا فضله وليس هو سبحانه تحت حجر احد من خلقه فيوجبون عليه بعقولهم ويحرمون ورسوله منفذ لامره فان قيل فلو دعت حاجة الامام في وقت من الاوقات الى مثل هذا مع عدوه هل يسوغ له ذلك قيل الامام نايب عن المسلمين يتصرف في مصالحهم وقيام الدين فان تعين ذلك للدفع عن الاسلام والذب عن حوزته واستجلاب رؤس اعداءه اليه ليامن المسلمون شرهم ساغ له ذلك بل تعين عليه وهل يجوز الشريعة غير ذلك فانه وان كان في الحرمان مفسده فالمفسدة المتوقعه من فوات تاليف هذا العدو اعظم ومبنى الشريعه على دفع اعلى المفسدتين باحتمال ادناهما وتحصيل اكمل المصلحتين بتفويت ادناهما بل بنا مصالح الدين والدنيا على هذين الاصلين **فصل** وفيها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من باع عبدا وله مال فماله للبايع الا ان يشترط المبتاع فهذا دليل على جواز بيع الرقيق بالحيوان بعضه ببعض متساويا ومتفاضلا وفي السنن من حديث عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يجهز جيشا فنفدت الابل فامره ان ياخذ على قلاص الصدقه وكان ياخذ البعير بالبعيرين الى ابل الصدقه وفي السنن عن سمره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة ورواه الترمذي من حديث الحسن عن سمره وصححه وفي الترمذي من حديث الحجاج بن ارطاه عن ابي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحيوان بالحيوان اثنان بواحد لا يصلح شيئا ولا باس به يدا بيد وقال الترمذي حديث حسن فاختلف الناس في هذه الاحاديث على اربعة اقوال وهي روايات عن احمد احدها جواز ذلك متفاضلا ومتساويا ونسيئة ويدا بيد وهي مذهب ابي حنيفه والثاني كالشافعي والثالث لا يجوز ذلك نسيئة ولا متفاضلا والثالث يحرم الجمع بين النساء والتفاضل ويجوز البيع مع احدهما وهو مذهب مالك والرابع ان اتحد الجنس حرم التفاضل وحرم النساء وان اختلف الجنس جاز التفاضل والنساء والناس في هذه الاحاديث والتاليف بينها

ثلث مسالك احدها تضعيف حديث الحسن عن سمرة لانه لم يسمع منه سوى حديثين ليس هذا منهما وتضعيف
حديث الحجاج بن ارطاه والمسلك الثانى دعوى النسخ وان لم يتبين المتاخر منهما من المتقدم وكذلك وقع الاختلاف
والمسلك الثالث حملها على احوال مختلفة وهى ان النهي مع بيع الحيوان بالحيوان نسيئة انما كان لانه ذريعة الى
النسيئة فى الربويات فان البايع اذا راى ما فى هذا البيع من الربح لم تقتصر نفسه عليه بل يجره الى بيع الربوي
وكذلك فسد عليهم الذريعة واباحه بيدا بيد ومنع النساء فيه وما حرم الذريعة يباح للمصلحة الراجحة كما اباح من
المزابنة العرايا للمصلحة الراجحة واباح ما تدعو اليه الحاجة منها وكذلك بيع الحيوان بالحيوان نسيئة متفاضلا
فى هذه القصة فى حديث بزعمر وانما وقع فى الجهاد وحاجة المسلمين الى تجهيز الجيش ومعلوم ان مصلحة تجهيزه
ارجح من المفسدة التى فى بيع الحيوان بالحيوان نسيئة والشريعة لا تعطل المصلحة الراجحة لاجل المرجوحة ونظير
هذا جواز لبس الحرير فى الحرب وجواز الخيلاء فيها اذ مصلحة ذلك ارجح من مفسدة لبسه ونظير ذلك لباسه القباء الحرير
الذى اهداه له ملك ايلة ساعة ثم نزعه للمصلحة الراجحة فى تاليفه وكان هذا بعد النهى عن لباس الحرير كما بيناه
مستوفى فى كتاب التخيير بما يحل ويحرم من لباس الحرير وبينا ان هذا كان عام الوفود سنة تسع وان النهى عن لباس
الحرير كان قبل ذلك بدليل انه نهى عمر عن لبس حلة الحرير التى اعطاه اياها فكساها عمر اخاله مشركا بمكة وهذا
كان قبل الفتح ولباسه صلى الله عليه وسلم هدية ملك ايلة كان بعد ذلك ونظير هذا نهيه صلى الله عليه وسلم
عن الصلوة قبل طلوع الشمس وبعد العصر سدا لذريعة التشبه بالكفار واباح ما فيه مصلحة راجحة من قضى
الفوائت وقضى السنن وصلاة الجنازة وتحية المسجد لان مصلحة فعلها ارجح من مفسدة النهي والله اعلم

فصل وفى القصة دليل على ان المتعاقدين اذا جعلا بينهما صلحا غير محدود جاز واتفقا عليه ورضيا به
وقد نص احمد على جوازه فى رواية عنه فى الخيار مدة غير محدودة وانه يكون جائزا حتى يقطعاه وهذا هو
الاصح اذ لا محذور فى ذلك ولا عذر وكل منهما قد دخل على بصيرة ورضى بموجب العقد وكلاهما فى العلم به سواء
فليس لاحدهما مزية فلا يكون الآخر بذلك ظالما **فصل** وفى هذه الغزوة انه صلى الله عليه وسلم
قال من قتل قتيلا له عليه بينة له سلبه وقال فى غزوة اخرى قبلها فاختلف الفقها هل هذا السلب مستحق بالشرع
او بالشرط على قولين وهما روايتان عن احمد احدهما انه له بالشرع شرط الامام او لم يشرط وهو قول الشافعى
والثانى انه لا يستحق الا بشرط الامام وهو قول ابى حنيفة وقال مالك لا يستحق الا بشرط الامام بعد القتال فلو
نص قبله لم يجز قال مالك ولم يبلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا يوم حنين وانه نفل النبى صلى الله
عليه وسلم بعد ان برد القتال وماخذ النزاع ان النبى صلى الله عليه وسلم كان هو الامام والحاكم المعنى وهو الرسول
فقد يقول الحاكم بمنصب الرسالة شرعا فيكون شرعا عاما الى يوم القيمة كقوله من احدث فى امرنا هذا ما ليس

فهو رد وقوله من زرع فى ارض قوم بغير اذنهم فليس له من الزرع شئ وله نفقته والحكم بالشاهد واليمين
وبالشفعة فيما لم يقسم وقد يقوله بمنصب الفتوى كقوله لهند بنت عتبة امراة ابى سفيان وقد شكت شح زوجها
وانه لا يعطيها ما يكفيها خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف فهذه فتيا لا حكم اذ لم يدع بابى سفيان ولم يسأله عن
جواب الدعوى ولا اسألها البينة وقد يقوله بمنصب الامامة فيكون مصلحة للامة فى ذلك الوقت وذلك المكان على
تلك الحال فيلزم من بعده من الائمة مراعاة ذلك على حسب المصلحة التى راعاها النبى صلى الله عليه وسلم زمانا ومكانا
وحالا ومن هنا يختلف الائمة فى كثير من المواضع التى فيها اثر عنه كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه
هل قاله بمنصب الامامة فيكون حكما متعلقا بالائمة او بمنصب الرسالة والنبوة فيكون شرعا عاما وكذلك قوله
من احيى ارضا ميتة فهى له هى شرع عام لكل احد اذن الامام فيه او لم ياذن او هذا راجع الى الائمة فلا يملك بالاحياء الا باذن الامام على قولين فالاول للشافعى واحمد فى ظاهر مذهبهما والثانى لابى حنيفة وفرق مالك
بين الفلوات الواسعة وما لا يتشاح فيه الناس وبين ما يقع فيه التشاح فاعتبر اذن الامام فى الثانى دون الاول

فصل وقوله صلى الله عليه وسلم له عليه بينة دليل على مسئلتين احدهما ان دعوى القاتل انه قتل
هذا الكافر لا تقبل فى استحقاق سلبه وقال الاوزاعى يعطى السلب بدعواه الثانية الاكتفاء فى ثبوت هذه الدعوى
بشاهد واحد من غير يمين لما ثبت فى الصحيحين عن ابى قتادة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام
حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرايت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين فاستدرت اليه حتى
اتيته من ورائه فضربته على حبل عاتقه فاقبل علي فضمنى ضمة وجدت منها ريح الموت ثم ادركه الموت فارسلنى
فلحقت عمر بن الخطاب فقلت ما للناس فقال امر الله ثم ان الناس رجعوا وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال من قتل قتيلا له عليه البينة فله سلبه فقلت فقمت فقلت من يشهد لى ثم جلست ثم قال مثل ذلك فقال
فقمت فقلت من يشهد لى ثم قال ذلك فى الثالثة فقمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا ابا قتادة فقصصت
عليه القصة فقال رجل من القوم صدق يا رسول الله سلب ذلك القتيل عندى فارضه من حقه فقال ابو بكر الصديق
لاها الله اذا لا يعمد الى اسد من اسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صدق فاعطه اياه فاعطانى فبعت الدرع فابتعت به مخرفا فى بنى سلمة لاول مال تاثلته فى الاسلام وفى المسئلة
ثلثة اقوال هذا احدها وهو وجه فى مذهب احمد والثانى لابد من شاهد ويمين كاحدى الروايتين عن احمد
والثالث وهو منصوص الامام احمد انه لابد من شاهدين لانه دعوى قتل فلا تقبل الا بشاهدين وفى القصة
دليل على مسئلة اخرى وهو انه لا يشترط فى الشهادة التلفظ بلفظ اشهد وهذا اصح الروايات عن احمد فى الدليل
وان كان الاشهر عند اصحابه الاشتراط وهو مذهب مالك وشيخنا ولا يعرف عن احد من الصحابة والتابعين اشتراط

لفظ الشهادة وقد قال ابن عباس شهد عندي رجال مرضيون وارضاهم عندي عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن الصلوة بعد العصر وبعد الصبح ومعلوم انهم لم يتلفظوا له بلفظ اشهد انما كان مجرد اخبار وفي حديث
ماعز فلما اشهد على نفسه اربع شهادات رجمه وانما كان منه مجرد اخبار عن نفسه وهو اقرار وكذلك قوله تعالى قل
أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد وقوله قالوا اشهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين وقوله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملئكة يشهدون وكفى بالله شهيدا
وقوله قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وقوله شهد الله انه
لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم قائما بالقسط الى اضعاف ذلك مما ورد في القرآن والسنة من اطلاق الشهادة
على الخبر المجرد من لفظة اشهد وقد تنازع الامام احمد وعلي بن المديني في الشهادة على العشرة بالجنة فقال علي اقول
انهم في الجنة ولا اقول اشهد انهم في الجنة فقال له الامام احمد متى قلت انهم في الجنة فقد شهدت هذا تصريح منه
بانه لا يشترط في الشهادة لفظة اشهد وحديث ابي قتادة ايبن الحج في ذلك فان قيل اخبار من كان عنده السلب انما
كان اقرارا بقوله هو عندي وليس ذلك من الشهادة في شئ قيل يتضمن كلامه شهادة واقرارا فقوله صدق شهادة
بانه قتله وقوله هو عندي اقرار منه بانه عنده والنبي صلى الله عليه وسلم انما قضى بالسلب بعد البينة وكان تصديق
هذا هو البينة **فصل** وقوله لا سلب له دليل على انه لا سلب له كلا غير مخموس وقد صرح بهذا في قوله لسلمة بن الاكوع
لما قتل قتيلا له سلبه اجمع وفي المسئلة ثلثة مذاهب هذا احدها والثاني ان يخمس كالغنيمة وهذا قول الاوزاعي
واهل الشام وهو مذهب ابن عباس لدخوله في آية الغنيمة والثالث ان الامام ان استكثره خمسه وان استقله لم يخمسه
وهو قول اسحق وفعل عمر بن الخطاب فروى سعيد بن منصور في سننه عن ابن سيرين ان البراء بن مالك بارز مرزبان
الزارة بالبحرين فطعنه فذق صلبه واخذ سواريه وسلبه فلما صلى عمر الظهر اتى البراء في رحاوه فقال انا كنا لا نخمس
السلب وان سلب البراء قد بلغ مالا وانا خامسه وكان اول سلب خمس في الاسلام سلب البراء وبلغ ثلثين الفا والاول اصح
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخمس السلب وقال هو له اجمع ومضت على ذلك سنته صلى الله عليه وسلم وسنة الصديق
بعده وما رآى عمر اجتهادا اداه اليه رايه **فصل** والحديث يدل على انه من اصل الغنيمة فان النبي صلى الله عليه وسلم
قضى به للقاتل ولم ينظر في قيمته وقدره واعتبار خروجه من خمس الخمس وقال مالك هو من خمس الخمس ويدل على انه يستحقه
من سهم له وفرسه سهم له فرسيي او امراة او عبد ومشرك وقال الشافعي في احد قوليه لا يستحق السلب الا من يستحق السهم
لان السهم المجمع عليه اذا لم يستحقه العبد والصبي والمراة والمشرك فالسلب اولى والاول اصح للعموم ولانه جار مجرى
قول الامام من فعل كذا وكذا وله كذا ولان على حصن او جاء برأس فله كذا مما فيه تحريض على الجهاد والسهم بالحضور مستحق
وان لم يكن منه فعل والسلب مستحق بالفعل فجرى مجرى الجعالة **فصل** وفيه دلالة على انه مستحق سلب جميع

من قتله وان كثروا وقد ذكر ابو داود ان ابا طلحة قتل يوم حنين عشرين رجلا فاخذ اسلابهم **فصل**

في غزوة الطائف في شوال سنة ثمان قال ابن سعد قالوا ولما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير الى الطائف
بعث الطفيل بن عمرو الى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسي لهدمه وامره ان يستمد قومه ويوافيه بالطائف فخرج
سريعا الى قومه فهدم ذي الكفين وجعل يحشو النار في وجهه ويحرقه ويقول
يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا اقدم منك ميلادكا انى حشوت النار في فؤادكا
واخبر معه من قومه ابعة نفر سراعا فوافوا النبي صلى الله
عليه وسلم في الطائف بعد مقدمه باربع ليال وقدم بديل بابنة ومنجنيق قال ابن سعد ولما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حنين يريد الطائف وقدم خالد بن الوليد على مقدمته وكانت ثقيف قد لزموا حصونهم واد خلوا
فيه ما يصلحهم لسنة فلما انتهزموا من اوطاس دخلوا حصنهم واغلقوه عليهم وتهيأوا للقتال وسار رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى نزل قريبا من حصن الطائف وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا حتى كاد رجال جراد
حتى اصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلا فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع مسجد
الطائف اليوم وكان معه من نسائه ام سلمة وزينب فضرب لهما قبتين وكان يصلي بين القبتين مدة حصار الطائف
فحاصرهم ثمانية عشر يوما وقال ابن اسحق بضعة وعشرين ليلة ونصب عليهم المنجنيق وهو اول منجنيق رمى به في الاسلام
وقال ابن سعد حدثني قبيصة ابو سفيان عن ثور بن زيد عن مكحول ان النبي صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق
على اهل الطائف اربعين يوما وقال ابن اسحق حتى اذا كان يوم التزحيف عند جدار الطائف دخل نفر من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابة ثم دخلوا بها الى جدار الطائف ليحرقوه فارسلت عليهم ثقيف سككا
الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجلا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقطع اعناب ثقيف فوقع الناس فيما يقطعونها قال ابن سعد فسألوه ان يدعها لله وللرحم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انى ادعها لله وللرحم فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما عبد نزل من الحصن وخرج
الينا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر رجلا فيهم ابو بكرة فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع كل رجل
منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على اهل الطائف مشقة ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح الطائف
فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معوية الدئلي فقال ما ترى فقال ثعلب في جحر ان اقمت عليه
اخذته وان تركته لم يضرك فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فاذن بالناس بالرحيل فضج الناس
من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا الطائف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغدوا للقتال فغدوا
فاصاب المسلمين جراحات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قافلون غدا ان شاء الله فسروا بذلك
واذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فلما ارتحلوا واستقلوا قال قولوا آيبون

خرج من المدينة الى مكة فى اواخر شهر رمضان بعد مضى ثمان عشرة ليلة منه والدليل عليه ما رواه احمد فى مسنده ثنا
اسمعيل بن خالد الخذاء عن ابى قلابة عن ابى الاشعث عن شداد بن اوس انه مر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الفتح على
رجل يحتجم بالبقيع لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان فقال افطر الحاجم والمحجوم وهذا اصح من قول من قال انه خرج
لعشر خلون من رمضان وهذا الاسناد على شرط مسلم فقد روى بهذا الاسناد ان الله كتب الاحسان على كل شئ واقام بمكة
تسع عشرة ليلة يقصر الصلوة ثم خرج الى هوازن فقاتلهم وفرغ منهم ثم قصد الطائف وحاصرهم بضعا وعشرين ليلة
فى قول ابن اسحاق او ثمان عشرة ليلة فى قول بضع او اربعين ليلة فى قول مكحول فاذا تاملت ذلك علمت ان بعض مدة
الحصار فى ذى القعدة ولابد ولكن قد يقال لم يبتدى القتال الا فى شوال فلما شرع فيه لم يقطع القتال الشهر الحرام ولكن
من اين لكم انه صلى الله عليه وسلم ابتدا القتال فى شهر حرام وفرق بين الابتدا والاستدامة **فصل** ومنها جواز غزو
الرجل واهله معه فان النبى صلى الله عليه وسلم كان معه فى هذه الغزاة ام سلمة وزينب **فصل** ومنها جواز نصب المنجنيق
على الكفار ورميهم به وان افضى الى قتل من لم يقاتل من النساء والذرية ومنها جواز قطع شجر الكفار اذا كان ذلك يضعفهم
ويغيظهم وهو انكى فيهم ومنها ان العبد اذا ابق من المشركين والحق بالمسلمين صار حرا قال سعيد بن منصور ثنا
يزيد بن هرون عن الحجاج عن مقسم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتق العبيد اذا جاؤا قبل مواليهم
وروى سعيد ايضا قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العبد وسيده قضيتين قضى ان العبد اذا خرج من دار
الحرب قبل سيده انه حر وان خرج سيده بعده لم يرد عليه وقضى ان السيد اذا خرج قبل العبد ثم خرج العبد بعده رده
على سيده وعن الشعبى عن رجل من ثقيف قال سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرد علينا ابا بكرة وكان عبدا لنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر ثقيف فاسلم فابى ان يرده علينا وقال هو طليق الله ثم طليق رسوله فلم
يرده علينا قال ابن المنذر وبهذا قول كل من يحفظ عنه من اهل العلم **فصل** ومنها ان الامام اذا حاصر حصنا
ولم يفتح عليه ورای مصلحة للمسلمين فى الرحيل عنه لم تلزمه مصابرته ومحاصرته وجاز له ترك مصابرته وانما يلزم المصابرة اذا كان
فيها مصلحة راجحة على مفسدتها **فصل** ومنها انه احرم من الجعرانة بعمرة وكان داخلا الى مكة وهذه هى
السنة كمن دخلها من طريق الطائف وما يليه واما ما يفعله كثير ممن لا علم عنده من الخروج من مكة الى الجعرانة ليحرم منها
بعمرة ثم يرجع اليها فهذا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احد من اصحابه البته ولا استحبه احد من اهل العلم وانما
يفعله عوام الناس زعموا انه اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وغلطوا فانه انما احرم منها داخلا مكة لم يخرج منها
الى الجعرانة ليحرم منها فهذا لون وسنة لون وبالله التوفيق **فصل** ومنها استجابة الله لرسوله صلى الله
عليه وسلم دعاءه لثقيف ان يهدیهم وياتى بهم وقد حاربوه وقاتلوه وقتلوا جماعة من اصحابه وقتلوا رسوله الى
الذى ارسله اليهم يدعوهم الى الله ومع هذا كله فدعا لهم ولم يدع عليهم وهذا من كمال رحمته ورافته ونصيحته صلوات الله

وسلامه عليه **فصل** ومنها كمال محبة الصديق له وقصده التقرب اليه والتحبب بكل ما يمكنه ولهذا ناشد
المغيرة ان يبين عمه هو الذى يبشر النبى صلى الله عليه وسلم بقدوم وفد الطائف ليكون هو الذى سره وافرحه بذلك
وهذا يدل على انه يجوز للرجل ان يسال اخاه ان يؤثره بقربة من القرب وانه يجوز للرجل ان يؤثر اخاه وقول
من قال من الفقها لا يجوز الايثار بالقرب لا يصح وقد اثرت عائشة عمر بن الخطاب بدفنه فى بيتها جوار النبى صلى
صلى الله عليه وسلم وسالها عمر ذلك فلم يكره له السؤال ولا لها البذل واذا سال الرجل غيره ان يوثره بقيامه فى الصف
الاول لم يكره السؤال ولا كذلك البذل ونظائره ومن تامل سيرة الصحابة وجدهم غير كارهين لذلك ولا ممتنعين منه
وهل هذا الا كرم وسخا وايثار على النفس بما هو من اعظم محبوباتها وتفريج لاخيه المسلم وتعظيما لقدره واجابته له
الى ما ساله وترغيبا له فى الخير وقد يكون ثواب كل واحد من هذه الخصال راجحا على ثواب ذلك القربة فيكون
المؤثر بها ممن تاخر فبذل قربته واخذ اضعافها وعلى هذا فلا يمتنع ان يوثر صاحب الما بمائه ان يتوضا به
ويتيمم هو اذا كان لابد من تيمم احدهما فاثر اخاه وجاز فضيلة الايثار وفضيلة الطهر بالتراب ولم يمنع من هذا
كتاب ولا سنة ولا مكارم اخلاق وعلى هذا فاذا اشتد العطش بجماعة وعاينوا التلف ومع احدهم ما فاثر به
على نفسه واستسلم للموت كان ذلك جايزا ولم يقل انه قاتل نفسه ولا انه فعل محرما بل هذا غاية الجود والسخا كما قال
تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقد جرى هذا بعينه لرجال من الصحابة فى فتوح الشام وعد
ذلك من مناقبهم وفضائلهم وهل هذا القرب المجمع عليها والمتنازع فيها الى الميت الا الايثار بثوابها وهو الايثار
بالقرب فاى فرق بين ان يوثره بفعلها ليحوز ثوابها وبين ان يعمل ثم يوثره بثوابها وبالله التوفيق **فصل**
ومنها انه لا يجوز ابقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وابطالها يوما واحدا فانها شعائر
الكفر والشرك وهى اعظم المنكرات فلا يجوز الاقرار عليها مع القدرة البته وهذا حكم المشاهد التى بنيت على
القبور التى اتخذت اوثانا وطواغيت تعبد من دون الله والاحجار التى يقصد التعظيم والتبرك والنذر والتقبيل
فلا يجوز ابقاء شئ منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
او اعظم شركا عندها وبها وبالله المستعان ولم يكن احد من ارباب هذه الطواغيت يعتقد فيها انها تخلق وترزق
وتحيى وتميت وانما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله اخوانهم المشركين اليوم عند طواغيتهم فاتبع هؤلاء
سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة واخذ واماخذهم شبرا بشبر وذراعا بذراع وغلب
الشرك على اكثر النفوس لظهور الجهل وخفا العلم فصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة
وتشا فى ذلك الصغير وهرم عليه الكبير وطمست الاعلام واشتدت غربة الاسلام وقل العلما وغلبت السفها وتفاقم
الامر واشتد الباس وظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية

بالحق قائمين ولاهل الشرك والبدع مجاهدين الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين **فصل** ومنها
جواز صرف الامام الاموال التي تصير الى هذه المشاهد والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين فيجوز للامام بل يجب عليه
ان ياخذ اموال هذه الطواغيت التي يساق اليها كلها ويصرفها على الجند والمقاتلة ومصالح المسلمين كما اخذ النبي صلى الله
عليه وسلم اموال اللات واعطاها ابا سفيان يتالفه بها وقضى منها دين عروة والاسود وكذلك يجب عليه ان يهدم
هذه المشاهد التي بنيت على القبور والتي اتخذت اوثانا ولو ان يعطيها المقاتلة او يبيعها ويستعين باثمانها
على مصالح المسلمين وكذلك الحكم في اوقافها فان وقفها والوقف عليها باطل وهو مال ضايع فيصرف في مصالح
المسلمين فان الوقف لا يصح الا في طاعة وقربة لله ورسوله فلا يصح الوقف على مشهد ولا على قبر ويرجع عليه ويعظم
ويزار ويحج اليه ويعبد من دون الله ويتخذ وثنا من دون الله وهذا مما لا يخالف فيه احد من ائمة المسلمين ومن
اتبع سبيلهم **فصل** ومنها ان وادي وج وهو وادي حرم يحرم صيده وقطع شجره وقد اختلف الفقهاء
في ذلك فالجمهور قالوا ليس من البقاع حرم الا مكة والمدينة وابو حنيفة خالفهم في حرم المدينة وقال الشافعي في احد
قوليه وج حرم محرم صيدا وقطع شجره واحتج لهذا القول بحديثين احدهما هو الذي تقدم والثاني حديث
عروة بن الزبير عن ابيه الزبير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صيد وج وعضاهه محمى لله رواه الامام احمد وابو داود
وهذا الحديث يعرف بمحمد بن عبد الله بن ابان عن ابيه عن عروة قال البخاري في تاريخه ولا يتابع عليه قلت
وفي سماع عروة من ابيه نظر وان كان قد رآه والله اعلم **فصل** ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
ودخلت سنة تسع بعث المصدقين ياخذون الصدقات من الاعراب قال ابن سعد ثم بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم المصدقين قالوا لما رأى هلال المحرم سنة تسع بعث المصدقين يصدقون العرب فبعث عيينة بن حصن
الى بني تميم وبعث يزيد بن الحصين الى اسلم وغفار وبعث عباد بن بشر الاشهلي الى سليم ومزينة وبعث رافع بن مكيث
الى جهينة وبعث عمرو بن العاص الى بني فزارة وبعث الضحاك بن سفيان الى بني كلب وبعث بشير بن سفيان الى بني كعب
وبعث ابن اللتبية الازدي الى بني ذبيان وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم المصدقين ان ياخذوا العفو منهم ويتقوا
كرائم اموالهم قلت ولما قدم ابن اللتبية حاسبه وكان في هذا حجة على محاسبة العمال والامناء فان ظهرت خيانتهم
عن اهم وولي امينا قال ابن اسحق وبعث المهاجر بن ابي امية الى صنعاء فخرج عليهم العنسي وهو بها وبعث زياد
بن لبيد الى حضرموت وبعث حاتم بن عدي الى طي وبني اسد وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظله وفرق
صدقات بني سعد على رجلين فبعث الزبرقان بن بدر على ناحيه وقيس بن عاصم على ناحيه وبعث العلاء بن الحضرمي
على البحرين وبعث عليا الى نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم **فصل في السرايا والبعوث**
في سنة تسع ذكر سرية عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم وذلك في المحرم من هذه السنة بعثه صلى الله عليه وسلم
اليهم في سرية ليغزوهم في خمسين فارسا ليس فيهم مهاجر ولا انصاري وكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم في

وقد سرحوا مواشيهم فلما راوا الجمع ولوا فاخذ منهم احدا عشر رجلا واحدى وعشرين امراة وثلثين صبيا
فساقهم الى المدينة فانزلوا في دار رملة بنت الحارث فقدم فيهم عدة من رؤسائهم عطارد بن حاجب والزبرقان
بن بدر وقيس بن عاصم والاقرع بن حابس وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد وعمرو بن الاهتم ورياح بن الحارث فلما
راوا نساءهم وذراريهم يكبون اليهم فجعلوا ينجاؤا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا يا محمد اخرج الينا فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم واقام بلال الصلوة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه ووقف معهم ثم مضى
فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم وخطب فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثابت بن قيس بن شماس فاجابهم وانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون
ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم فوفد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسرى
والسبي فقام الزبرقان شاعر بني تميم فافتخر فقال

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الاحياء كلهم ... عند النهاب وفضل العز يتبع
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا ... من الشواء اذا لم يونسوا القزع
كيما ترى الناس تاتينا سراتهم ... من كل ارض هويا ثم يصطنع
فنخمر الكوم عبطا في اروماتنا ... للنازلين اذا ما انزلوا شبع
فلا ترانا الى حي نفاخرهم ... الا استقادوا واوكاد الراس يقتطع
فمن يفاخرنا في ذاك نعرفه ... فيرجع القوم والاخبار تتبع
انا ابينا ولن ياتي لنا احد ... انا كذلك عند الفخر نرتفع
ان الذوائب من فهر واخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع
تقوى الاله وكل الخير يصطنع ... فقوم اذا حاربوا ضروا عدوهم ... او حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة ... ان الخلائق فاعلم شرها البدع
ان كان في الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لادنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما اوهت اكفهم ... عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ان سابقوا الناس حازوا او نازعوا اهل مجد بالندا منعوا ... او وازنوا اهل مجد بالندا منعوا
لا يطمعون ولا يرديهم طمع ... لا يبخلون على جار بفضلهم ... ولا يستهم من مطمع طبع
اذا نقيسا بحي لم ينذ لهم ... كما يذب الى الوحشية الذرع
اذا الزعانف من اظفارها خشعوا ... لا يفخرون اذا نالوا لواعدهم ... وان اصيبوا فلا خور ولا هلع
كانهم في الوغا والموت مكتئف ... اسد بحلبة في ارساغها فدع
ولا يكن همك الامر الذي منعوا ... فان في حربهم فاترك عداوتهم ... شر ايخاض اليه السم والسلع
اكرم بقوم رسول الله شيعتهم ... اذا تفاوتت الاهواء والشيع
فيما اجب لسان حائك صنع ... فانهم افضل الاحياء كلهم ... ان جد بالناس جد القول او سمع

فلما فرغ حسان بن ثابت قال الاقرع بن حابس ان هذا الرجل لموتى له لخطيبه اخطب من خطيبنا
ولشاعره اشعر من شاعرنا ولاصواتهم اعلا من اصواتنا ثم اسلموا وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسن جوائزهم

فصل قال ابن اسحق فلما قدم وفد بني تميم دخلوا المسجد وناد وا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخرج
الينا يا محمد فاذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم فخرج اليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فائذن
لشاعرنا وخطيبنا قال نعم قد اذنت لخطيبكم فليقم فقام عطارد بن حاجب فقال الحمد لله الذي جعلنا ملوكا الذي
له الفضل علينا والذي وهب لنا اموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا اعز اهل المشرق واكثره عددا واياسره
عدة فمن مثلنا في الناس الست ارؤس الناس واولى فضلهم فمن فاخرنا فليعد مثل ما عددنا ولو شئنا لاكثرنا
ولكن نستحي من الاكثار لما اعطانا اقول هذا الان يا تواما مثل قولنا او امر افضل من امرنا ثم جلس فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس قم فاجبه فقام فقال الحمد لله الذي السموات والارض خلقه
قضى فيهن امره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط الا من فضله ثم كان من فضله ان جعلنا ملوكا واصطفى
من خير خلقه رسولا اكرمه نسبا واصدقه حديثا وافضله حسبا وانزل عليه كتابا وائتمنه على خلقه وكان خيرة الله
من العالمين ثم دعى الناس الى الايمان بالله فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمه اكرم الناس احسابا واحسنهم
وجوها وخير الناس فعلا ثم كان اول الناس اجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنحن انصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله منع ماله ودمه ومن نكث جاهدناه
في الله ابدا وكان قتله علينا يسيرا اقول هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم ثم ذكر
قيام الزبرقان وانشاءه وجواب حسان له بالابيات المتقدمة فلما فرغ حسان من قوله قال الاقرع ان هذا
الرجل لموتى خطيبه اخطب من خطيبنا وشاعره اشعر من شاعرنا واتوا لهم اعلى من اصواتنا فاجازهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاحسن جوائزهم **فصل** ذكر سرية قطبة بن عامر بن حديدة الى خثعم وكانت
في صفر سنة تسع قال ابن سعد قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قطبة في عشرين رجلا الى حي من خثعم
بناحية بقاله وامره ان يشن الغارة فخرجوا على عشرة ابعرة يعتقبونها فاخذوا رجلا فسالوه فاستعجم عليهم
يصيح بالحاضرة ويحذرهم فضربوا عنقه ثم اقاموا حتى نام الحاضر فشنوا عليهم الغارة فاقتتلوا قتالا شديدا
حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعا وقتل قطبة بن عامر من قبل وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة وفي القصة
انه اجتمع القوم وركبوا في آثارهم فارسل الله سبحانه سيلا عظيما حال بينهم وبين المسلمين فساقوا النعم والسبي
وهم ينظرون ولا يستطيعون ان يعبروا اليهم حتى غابوا عنهم **فصل** ذكر سرية الضحاك بن سفيان
الكلابي الى بني كلاب في ربيع الاول سنة تسع قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى بني كلاب وعليهم
الضحاك بن سفيان بن عوف الطائي ومعه الاصيد بن سلمة فلقوهم بالزجّ زجّ لاوة فدعوهم الى الاسلام فابوا

فقاتلوهم

فقاتلوهم فهزموهم فلحق الاصيد اباه سلمة وسلمة على فرس له في غدير الريح فدعا اباه الى الاسلام واعطاه
الامان فسبه وسب دينه فضرب الاصيد عرقوبي فرس ابيه فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز سلمة على الرمح
في الماء ثم استمسك حتى جاوه احدهم فقتله ولم يقتل ابنه **فصل** ذكر سرية علقمة بن مجزز المدلجي
الى الحبشة في شهر ربيع الاخر سنة تسع قالوا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناسا من الحبشة ترايا هم
اهل جيده بعث اليهم علقمة بن مجزز في ثلثمائة فانتهى الى جزيرة في البحر وقد خاض اليهم البحر فضربوا منه فلما
رجع تعجل بعض القوم الى اهليهم فاذن لهم فتعجل عبد الله بن حذافة السهمي فامره على من تعجل وكانت فيه
دعابة فنزلوا في بعض الطريق فاوقدوا نارا يصطلون عليها فقال عزمت عليكم الا اقتحمتم في هذه النار
فقام بعض القوم فتحجزوا حتى ظن انهم واثبون فيها فقال اجلسوا انما كنت اضحك معكم فذكروا ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من امركم بمعصية فلا تطيعوه قلت في الصحيحين عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار وامرهم ان يسمعوا
له ويطيعوا فاغضبوه فقال اجمعوا لي حطبا فجمعوا ثم قال اوقدوا نارا ثم قال الم يامركم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان تسمعوا لي وتطيعوا قالوا بلى قال فادخلوها فنظر بعضهم الى بعض وقالوا انما فررنا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من النار فكانوا كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها ابدا وقال الطاعة في معصية الله انما الطاعة في المعروف فهذا
فيه ان الامر كان من الانصار وان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي امره وان الغضب حمله على ذلك وقد روى
الامام احمد في مسنده عن ابن عباس في قوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم نزلت في عبد الله
بن حذافة بن قيس بن عدي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فاما ان يكون واقعتين واما ان يكون
حديث علي هو المحفوظ والله اعلم **فصل** ذكر سرية علي بن ابي طالب الى صنم طي ليهدمه في هذه
السنة قالوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب في خمسين ومائة رجل من الانصار على خمسين
فرسا ومعه راية سوداء ولواءه ابيض الى الغلس وهو صنم لطي ليهدمه فشنوا الغارة على محلة الى حاتم
مع الفجر فحزموهم وملؤا ايديهم من السبي والنعم والشاء وفي السبي اخت عدي بن حاتم وهرب عدي الى الشام
فوجد في خزانته ثلثة اسياف وثلثة دروع واستعمل على السبي اباقتادة وعلى الماشية والرقيق عبد الله
بن عتيك وقسم الغنائم في الطريق وعزل الصفي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقسم الى حاتم حتى قدم
بهم المدينة قال ابن اسحق قال عدي بن حاتم ما كان رجل من العرب اشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم مني حين سمعت به وكنت امرأ شريفا وكنت نصرانيا وكنت اسير في قومي بالمرباع وكنت في نفسي

مائة تقريبا

على دين وكنت ملكا في قومي فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته فقلت لغلام عربي كان لي وكان
راعيا لابلي لا ابالك اعدد لي من ابلي اجالا ذللا سمانا فاحبسها قريبا مني فاذا سمعت بجيش محمد قد وطي هذه
البلاد فآذني ففعل ثم انه اتاني ذات غداة فقال يا عدي ما كنت صانعا اذا غشيتك خيل محمد فاصنعه
الآن فاني قد رايت رايات فسالت عنها فقالوا هذه بجيوش محمد قال فقلت فقرب لي اجالي فقربها فاحتملت
باهلي وولدي ثم قلت الحق باهل ديني من النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم في الحاضرة فلما قدمت الشام
اقمت بها وتخالفني خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصيب ابنة حاتم وفيمن اصابت فقدم بها على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سبايا طي وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي الى الشام فمر بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله غاب الوافد وانقطع الوالد وانا عجوز كبيرة ما بي من خدمة فمن علي من الله
عليك قال من وافدك قالت عدي بن حاتم قال الفار من الله ورسوله قالت فمن علي قالت فلما رجع ورجل الى جنبه
ترى انه علي قال له سليه الحملان قال فسالته فامر لها به قال لي عدي فاتتني اختي فقالت لقد فعلت فعلة
ما كان ابوك فعلها ائته راغبا او راهبا فقد اتاه فلان فاصاب منه واتاه فلان فاصاب منه قال لي عدي
فاتيته وهو جالس في المسجد فقال لقوم هذا عدي بن حاتم وجئت بغير امان ولا كتاب فلما وقعت بيده
اخذ بيدي وقد كان قبل ذلك قال اني لارجو ان يجعل الله يده في يدي قال فقام لي فلقيته امراة ومعها
صبي فقالا ان لنا اليك حاجة فقام معهما حتى قضى حاجتهما ثم اخذ بيدي حتى اتى داري فالقت له الوليدة
وسادة فجلس عليها وجلست بين يديه فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما يفرك ان يقال لا اله الا الله
فهل تعلم من اله سوى الله قال قلت لا ثم تكلم ساعة ثم قال انما تفر ان يقال الله اكبر وهل تعلم شيئا اكبر من الله
قال قلت لا قال فان اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون قال فقلت اني حنيف مسلم قال فرايت وجهه ينبسط
فرحا ثم قال فامري فانزلت عند رجل من الانصار وجعلت اغشاه اتيه طرفي النهار قال فبينما انا عنده اذ جاء قوم
في ثياب من الصوف من هذه النمار قال فصلى فقام فحث عليهم ثم قال ايها الناس اتقوا من الفضل ولو بصاع ولو
بنصف صاع ولو ببقيضة ولو ببعض بقيضة يقي احدكم وجهه حر جهنم او النار ولو بتمرة ولو بشق تمرة وان
لم يجد فبكلمة طيبة فان احدكم لاقي الله وقايل له الم اجعل لك مالا وولدا فيقول بلى فيقول اين الذي
قدمت لنفسك فينظر قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يجد شيئا يقي به وجهه جهنم لئن يقي احدكم وجهه
النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة فاني لا اخاف عليكم الفاقة فان الله ناصركم ومعطيكم حتى تسير الظعينة
ما بين يثرب والحيرة اكثر ما تخاف على بطيئتها السرق قال فجعلت اقول في نفسي فاين لصوص طي ذكر
قصة كعب بن زهير مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيما بين رجوعه من الطايف وغزوة تبوك قال ابن اسحق
ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطايف كتب بجير بن زهير الى اخيه كعب يخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قتل رجلا ممن كان يهجوه ويوذيه وان بقي من شعراء قريش الزهري وهبيرة بن وهب فدهر بوائي كل وجه
فان كانت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل احدا جاءه تائبا وان انت لم تفعل
فانج الى نجائك وكان كعب قد قال ألا ابلغا عني بجيرا رسالة ٥ فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا ٥
فبين لنا ان كنت لست بفاعل ٥ على اي شيء غير ذلك دلكا ٥ على خلق لم تلف اما ولا اباه ٥
عليه ولا تلفى عليه اخا لكا ٥ فان انت لم تفعل فلست باسف ٥ ولا قائل لما عثرت لعا لكا ٥
سقاك بها المامون كاسا رويّة ٥ فانهلك المامون منها وعلّكا ٥ قال وبعث بها الى بجير فلما اتت بجيرا
كره ان يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده اياها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاك بها المامون صدق والله
لكذوب وانا المامون ولما سمع علي خلق لم تلف اما ولا اباه عليه قال اجل لم يلف عليه اباه ولا امه ثم كتب بجير الى كعب
من مبلغ كعبا فهل لك في التي ٥ تلوم عليها باطلا وهي احزم ٥ الى الله لا العزى والات وحده ٥
فتنجو اذا كان النجاء وتسلم ٥ لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ٥ من النار الا طاهر القلب مسلم ٥
فدين زهير وهو لا شيء دينه ٥ ودين ابي سلمى علي محرم ٥ فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت عليه الارض وشفق
على نفسه واراد ان يعرف حقيقة ما قيل له فلم يجد من شيء بدا قال وقصيدته التي يمدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت
بينه وبينه معرفة من جهينة كما ذكر لي فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اشار له فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقم اليه واستامنه فذكر لي ان قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى جلس اليه فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير
قد جاء ليستامنك تائبا مسلما فهل انت قابل منه ان انا جئتك به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال انا
يا رسول الله كعب بن زهير قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة انه وثب عليه رجل من الانصار فقال
يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه جاء مسلما تائبا
نازعا قال فغضب كعب على هذا الحي من الانصار لما صنع به صاحبهم وذلك انه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين
الا بخير فقال قصيدته اللامية يصف فيها محبوبته وناقته وارجاف الوشاة به فقال

٥ بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ٥ متيم اثرها لم يفد مكبول ٥ وما سعاد غداة البين اذ رحلت
٥ الا اغن غضيض الطرف مكحول ٥ هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ٥ لا تشتكي قصر منها ولا طول ٥
تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت ٥ كانه منهل بالراح معلول ٥ شجت بذي شبم من ماء محنية
صاف بابطح اضحى وهو مشمول ٥ تنفي الرياح القذا عنه وافرطه ٥ من صوب سارية بيض يعالبل ٥

٥ اكرم بها خلة لو انها صدقت ٥ موعودها اولو ان النصح مقبول ٥ لكنها خلة قد سيط من دمها ٥
٥ فجع ووله واخلاف وتنويل ٥ فما تدوم على حال تكون بها ٥ كما تلون فى اثوابها الغول ٥
٥ ولا تمسك بالقول الذى زعمت الا كما يمسك الماء الغرابيل ٥ فلا يغرنك ما منت وما وعدت ٥
٥ ان الامانى والاحلام تضليل ٥ كانت مواعيد عرقوب لها مثل ٥ وما مواعيدها الا اباطيل ٥
٥ ارجوا وآمل ان تدنو مودتها ٥ وما اخال لدينا منك تنويل ٥ امست سعاد بارض لا يبلغها ٥
٥ الا العتاق النجيبات المراسيل ٥ ولن يبلغها الا عذافرة ٥ فيها على الاين ارقال وتبغيل ٥
٥ من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت ٥ عرضتها طامس الاعلام مجهول ٥ ترمى الغيوب بعيني مفرد لهق ٥
٥ اذا توقدت الحزان والميل ٥ ضخم مقلدها فعم مقيدها ٥ فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل ٥
٥ غلباء وجناء علكوم مذكرة ٥ فى خدها سعة قدامها ميل ٥ وجلدها من اطوم ليس يؤيسه ٥
٥ طلح بضاحية العينين مهزول ٥ حرف ابوها اخوها من مهجنة ٥ وعمها خالها قوداء شمليل ٥
٥ يمشى القراد عليها ثم يزلقه ٥ منها لبان واقراب زهالیل ٥ عيرانة قذفت بالنحض عن عرض ٥
٥ مرفقها من بنات الزور مفتول ٥ كان مافات عينيها ومذبحها ٥ من خطمها ومن اللحيين برطيل ٥
٥ تمر مثل عسيب النخل ذاخصل ٥ فى غارز لم تخونه الاحاليل ٥ قنواء فى حرتيها للبصير بها ٥
٥ عتق مبين وفى الخدين تسهيل ٥ تخدى على يسرات وهى لاحقة ٥ ذوابل وقعهن الارض تحليل ٥
٥ سمر العجايات يترك الحصى زيما ٥ لم يقهن رؤس الاكم تنعيل ٥ كان اوب ذراعيها اذا عرقت ٥
٥ وقد تلفع بالقور العساقيل ٥ يوما تظل به الحرباء مصطخدا ٥ كان ضاحيه بالشمس مملول ٥
٥ وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ٥ ورق الجنادب يركضن الحصى قيل ٥ شد النهار ذراعا عيطل نصف ٥
٥ قامت تجاوبها نكد مثاكيل ٥ نواحة رخوة الضبعين ليس لها ٥ لما نعى بكرها الناعون معقول ٥
٥ تفرى اللبان بكفيها ومدرعها ٥ مشقق عن تراقيها رعابيل ٥ تسعى الوشاة جنابيها وقولهم ٥
٥ انك يابن ابى سلمى لمقتول ٥ وقال كل خليل كنت آمله ٥ لا الهينك انى عنك مشغول ٥
٥ فقلت خلوا سبيلى لا ابا لكم ٥ فكل ما قدر الرحمن مفعول ٥ كل ابن انثى وان طالت سلامته ٥
٥ يوما على آلة الحدباء محمول ٥ انبئت ان رسول الله اوعدنى ٥ والعفو عند رسول الله مامول ٥
٥ مهلا هداك الذى اعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل ٥ لا تاخذنى باقوال الوشاة ولم ٥
٥ اذنب ولو كثرت فى الاقاويل ٥ لقد اقوم مقاما لو يقوم به ٥ ارى واسمع ما لو يسمع الفيل ٥
٥ لظل يرعد الا ان يكون له ٥ من الرسول باذن الله تنويل ٥ حتى وضعت يمينى لا انازعه ٥

وروى عبل وهما بمعنى واحد

٥ فى كفت ذى نقمات قوله القيل ٥ لذاك اهيب عندى اذ اكلمه ٥ وقيل انك منسوب ومسئول ٥
٥ من خادر من ليوث الاسد مسكنه ٥ من بطن عثر غيل دونه غيل ٥ يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما ٥
٥ لحم من القوم معفور خرادله ٥ اذا يسورهم قرنا لا يحل له ٥ ان يترك القرن الا وهو مفلول ٥
٥ منه تظل سباع الجو ضامرة ٥ ولا تمشى بوادیه الاراجیل ٥ ولا يزال بوادیه اخو ثقة ٥
٥ مضرج البز والدرسان ماكول ٥ ان الرسول لسيف يستضاء به ٥ مهند من سيوف الله مسلول ٥
٥ فى فتية من قريش قال قائلهم ٥ ببطن مكة لما اسلموا زولوا ٥ زالوا فما زال انكاس ولا كشف ٥
٥ عند اللقاء ولا ميل معازيل ٥ شم العرانين ابطال لبوسهم ٥ من نسج داود فى الهيجا سرابيل ٥
٥ بيض سوابغ قد شكت لها حلق ٥ كانها حلق القفعاء مجدول ٥ لا يفرحون اذا نالت رماحهم ٥
٥ قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا ٥ يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ٥ ضرب اذا عرد السود التنابيل ٥

٥٥ لا يقع الطعن الا فى نحورهم ٥٥ وما لهم عن حياض الموت تهليل ٥٥

قال ابن اسحق وقال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب اذا عرد السود التنابيل وانما عنى بعنز الانصار لما كان صاحبها صنع به وخص المهاجرين بمدحته غضب عليه الانصار فقال بعد ان اسلم يمدح الانصار

٥ من سره كرم الحيوة فلا يزل ٥ فى مقنب من صالح الانصار ٥ ورثوا المكارم كابرا عن كابر ٥
٥ ان الخيار هم بنوا الاخيار ٥ الباذلين نفوسهم لنبيهم ٥ يوم الهياج وفتنة الاحياد ٥
٥ والذائدين الباس عن اديانهم ٥ بالمشرفى وبالقنا الخطار ٥ والبائعين نفوسهم لنبيهم ٥
٥ للموت يوم تعانق وكراد ٥ يتطهرون يرونه نسكا لهم ٥ بدماء من علقوا من الكفار ٥
٥ واذا حللت ليمنعوك اليهم ٥ اصبحت عند معاقل الاعفاد ٥ قوم اذا خوت النجوم فانهم ٥
٥ للطالبين النازلين مقاره ٥

قال وكعب بن زهير من فحول الشعراء هو وابوه وابنه وابن ابنه والعوام بن عقبة ومما يحسن لكعب قوله ٥ لو كنت اعجب من شئ لاعجبنى ٥ سعى الفتى وهو مخبوء له القدر ٥
٥ يسعى الفتى لامور ليس يدركها ٥ فالنفس واحدة والهم منتشر ٥ والمرء ما عاش ممدود له امل ٥
٥ لا تنتهى العين حتى ينتهى الاثر ٥ ويحسن له ايضا قوله فى النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال
٥ تخدى به الناقة الادماء معتجرا ٥ بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم ٥ فى عصابة او اثناء بردته ٥
٥ ما يعلم الله من فرد ومن كرم ٥

فصل فى غزوة تبوك

وكانت فى شهر رجب الفرد سنة تسع قال ابن اسحق وكانت فى زمن عسرة من الناس وجدب من البلاد حين طابت الثمار فالناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون شخوصهم على تلك الحال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ما يخرج فى غزوة الا كنى عنها

تضمينه قول الشاعر

ودوى بغيرها الا ماكان من غزوة تبوك لبعد الشقة وشدة الزمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
وهو في جهازه للجد بن قيس احد بني سلمة يا جد هل لك العام في جلاد بني الاصفر فقال يا رسول الله اوتاذن لي
ولا تفتني فوالله لقد علم قومي ما من رجل باشد عجبا بالنساء مني واني اخشى ان رايت نساء بني الاصفر ان
لا اصبر فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فقيد نزلت ومنهم من يقول ائذن لي ولا
تفتني الا في الفتنة سقطوا فقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر فانزل الله فيهم وقالوا
لا تنفروا في الحر الاية ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جد في سفره وامر الناس بالجهاد وحض اهل الغنا
على النفقة والحملان في سبيل الله فحمل رجال من اهل الغنا واحتسبوا وانفق عثمان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق
احد مثلها قلت كانت ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها وعدتها والف دينار عينا وذكر بن سعد قال له
قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وان هرقل قد رد في اصحابه
لسنة واجلب معه لخم وجذام وعاملة وغسان وقدموا مقدماتهم الى البلقا وجاء البكاؤن وهم يستحملون
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا
ما ينفقون وهم سالم بن عمير وعلبة بن زيد وابو ليلى المازني وعمرو بن غمة وسلمة بن صخر والعرباض بن
سارية في بعض الروايات وعبد الله بن مغفل ومعقل بن يسار وبعضهم يقول البكاؤن بنو مقرن السبعة
وهم من مزينة وبن اسحاق يعرفهم وهم عمرو بن الحمام بن الجموح وارسل ابو موسى اصحابه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحملهم فوافاه غضبان فقال والله لا احملكم ولا عندي ما احملكم عليه ثم اتاه ابل فارسل اليهم ثم
قال ما انا حملتكم ولكن الله حملكم واني والله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني
واتيت الذي هو خير **فصل** وقام علبة بن زيد يصلي من الليل ويبكي وقال اللهم انك قد امرت بالجهاد
ورغبت فيه ولم تجعل عندي ما اتقوى به مع رسولك ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه واني اتصدق على
كل مسلم بكل مظلمة اصابني فيها مال او جهد او عرض ثم اصبح مع الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم اين المتصدق
هذه الليلة فلم يقم احد ثم قال اين المتصدق فليقم احد فقام اليه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابشروا والذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة للمتقبلة وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم فلم
يعذهم قال ابن سعد وهم اثنان وثمانون رجلا وكان عبد الله بن ابي بن سلول قد عسكر على ثنية الوداع
في حلفاء من اليهود والمنافقين وكان يقال ليس عسكره باقل العسكرين واستخلف رسول الله صلى الله عليه
وسلم على المدينة محمد بن مسلمة الانصاري وقال بن هشام سباع بن عرفطة والاول اثبت فلما سار رسول الله
صلى الله عليه وسلم تخلف عبد الله بن ابي ومن كان معه وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب منهم

كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وابو خيثمة وابو ذر وشهدها رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ثلثين الفا من الناس والخيل عشرة الاف فرس واقام بها عشرين ليلة تقصر الصلوة وهرقل يومئذ
بحمص فقال بن اسحق ولما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج خلف علي بن ابي طالب على اهله فارجف
المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا وتخففا منه فاخذ علي سلاحه ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا نبي الله زعم المنافقون انك انما خلفتني لانك استثقلتني و
تخففت مني فقال كذبوا ولكن خلفتك ورائي فارجع فاخلفني في اهلي واهلك اما ترضى ان تكون مني
بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي فرجع علي الى المدينة ثم ان ابا خيثمة رجع بعد ان سار النبي
صلى الله عليه وسلم اياما الى اهله في يوم حار فوجد امراتين في عريشين لهما في حائط قد رشت كل واحدة
منهما عريشها وبردت لها ماء وهيات له طعاما فلما دخل قام على باب العريش فنظر الى فراشه وما
صنعتا فقال له ابو خيثمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح والحر وابو خيثمة في ظل بارد وطعام
مهيا وامراة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا ادخل عريش واحدة منكما حتى الحق برسول الله
صلى الله عليه وسلم فهيا زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى ادركه حين نزل تبوك وكان ابو خيثمة ادرك عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتواقفا حتى اذا دنيا من تبوك قال ابو خيثمة لعمير بن وهب ان لي ذنبا فلا عليك ان تتخلف
عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل حتى اذا دنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
نازل بتبوك قال الناس هذا راكب على الطريق مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة
فقالوا يا رسول الله هو والله ابو خيثمة فلما اناخ واقبل وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى لك يا ابا خيثمة فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر مر ديار ثمود
قال لا تشربوا من مائها شيئا ولا تتوضئوا منه للصلوة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الابل
ولا تاكلوا منه شيئا ولا يخرجن احد منكم الا ومعه صاحب له ففعل الناس الا رجلين من بني ساعدة خرج
احدهما لحاجته وخرج الاخر في طلب بعيره فاما الذي خرج في حاجته فانه خنق على مذهبه واما الذي
خرج في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلي طي فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الم انهكم ان لا يخرج احد منكم الا ومعه صاحبه ثم دعى للذي خنق على مذهبه فشفي واما الاخر فاهدته
طي لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة قلت والذي في صحيح مسلم من حديث ابي حميد انطلقنا

حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم احد منكم
فمن كان له بعير فليشد عقاله فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى القته بجبلي طي فاهدى
ابن هشام بلغني عن الزهري انه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجى ثوبه على وجهه واستحث
راحلته ثم قال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا انفسهم الا وانتم باكون حذرا ان يصيبكم ما اصابهم قلت
في الصحيحين من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين
الا ان تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا لا يصيبكم ما اصابهم وفي صحيح البخاري انه امرهم
بالقاء العجين وطرحه وفي صحيح مسلم انه امرهم ان يعلفوا العجين الابل وان لا يصبروا الماء وان يستقوا
من البير التي كانت ترد الناقة ورواه البخاري ايضا وقد حفظ رواية من لم يحفظه من روى الطرح
وذكر البيهقي انه نادى فيهم الصلوة جامعة فلما اجتمعوا قال علام تدخلون على قوم عذبهم الله
عليهم فناداه رجل فقال نخبرهم يا رسول الله قال الا انبئكم بما هو اعجب من ذلك رجل من انفسكم ينبئكم
ما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم استقيموا وسددوا فان الله لا يعبأ بعذابكم شيئا وسيأتي الله
بقوم لا يدعون عن انفسهم شيئا **فصل** قال ابن اسحق واصبح الناس ولا ماء معهم فشكوا
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الله سبحانه سحابة فامطرت
حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى اذا كان
ببعض الطريق ضلت ناقته فقال زيد ابن اللصيت وكان منافقا اليس يزعم محمد انه نبي ويخبركم عن خبر
السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول وذكر مقالته وانى
والله لا اعلم الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها وهي في الوادي في شعب كذا وكذا وقد حبستها شجرة
بزمامها فانطلقوا الى الوادي حتى تاتوني بها فذهبوا حتى جاؤا بها وفي طريقه تلك حزحوا حديقة
المراة بعشرة اوسق ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون تخلف
فلان فيقول دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد اراحكم الله منه وتلوم
على اخي ذي بعيره فلما ابطا عليه اخذ متاعه على ظهره ثم خرج يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماشيا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض منازله فنظر ناظر من المسلمين فقال يا رسول الله
ان هذا الرجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن اباذر فلما تامله القوم
قالوا يا رسول الله هو والله ابوذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اباذر يمشي وحده
ويموت وحده ويبعث وحده قال ابن اسحق فحدثني بريدة بن سفيان الاسلمي عن محمد بن كعب القرظي

عن عبد الله بن مسعود

عن عبد الله بن مسعود قال لما نفى عثمان اباذر الى الربذة واصابه بها قدره لم يكن معه احد الا امراته وغلامه
فاوصاهما ان غسلاني وكفناني ثم ضماني الى قارعة الطريق فاول ركب يمر بكم فقولوا هذا ابوذر صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فلما مات فعلا ذلك به واقبل عبد الله بن مسعود في رهط
من اهل العراق حجاجا فلم ير عهم الا بالجنازة على ظهر الطريق قد كادت الابل تطؤها فقام اليهم الغلام
فقال هذا اباذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فاستهل عبد الله يبكي ويقول
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو واصحابه
فواروه ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره الى تبوك
قلت في هذه القصة نظر فقد ذكر ابو حاتم بن حبان في صحيحه وغيره في قصة وفاته عن مجاهد عن
ابرهيم بن الاشتر عن ابيه عن ام ذر قالت لما حضرت اباذر الوفاة بكيت فقال ما يبكيك فقلت ومالي
لا ابكي وانت تموت بفلاة من الارض وليس عندي ثوب يسعك كفنا ولا يدان لي في تغييبك فقال
ابشري ولا تبكي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر انا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة
من الارض يشهده عصابة من المسلمين وليس من اولئك النفر احد الا وقد مات في قرية وجماعة فانا ذلك الرجل
والله ما كذبت ولا كذبت فابصري الطريق فقلت انى وقد ذهب الحاج وتقطعت الطرق فقال اذهبي
وتبصري قالت فكنت اشتد الى الكثيب للنظر ثم ارجع فامرضه فبينا انا وهو كذلك اذا انا برجال على
رواحلهم كانهم الرخم تخب بهم رواحلهم قالت فاشرت اليهم فاسرعوا الي حتى وقفوا علي فقالوا يا امة الله
ما لك قلت امرأ من المسلمين يموت تكفنونه قالوا ومن هو قلت ابوذر قالوا صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قلت نعم ففدوه بابائهم وامهاتهم واسرعوا الي حتى دخلوا عليه فقال ابشروا فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لنفر انا منهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس
من اولئك النفر رجل الا وقد هلك في جماعة والله ما كذبت ولا كذبت وان لو كان عندي ثوب يسعني
كفنا او امراتي لم اكفن الا في ثوب هو لي او لها فانى انشدكم الله ان لا يكفنني رجل منكم كان اميرا او
عريفا او بريدا او نقيبا وليس من اولئك النفر احد الا وقد قارف بعض ما قال الا فتى من الانصار قال
انا اكفنك يا عم ردائي هذا وثوبي من عيبتي من غزل امي قال انت تكفنني فكفنه الانصاري وقاموا
عليه فدفنوه في قفر كلهم يمان رجعنا الى قصة تبوك وقد كان هبط من المنافقين منهم ودیعة
بن ثابت اخو بني عمرو بن عوف ومنهم رجل من اشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشن بن حمير قال بعضهم
لبعض ايحسبون جلاد بني الاصفر كقتال العرب بعضهم لبعض والله لكانا بكم غدا مقرنين في الحبال

ارجافا وترهيبا للمؤمنين فقال له مخرز بن حمير والله لوددت اني اقاضى على ان يضرب كل مائة جلدة
وانا منقلب ان ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر ادرك
القوم فانهم قد احترقوا فسألهم عما قالوا فان انكروا فقل بل فعلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال
لهم ذلك فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه فقال وديعة بن ثابت كنا نخوض ونلعب
فانزل الله سبحانه فيهم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وقال مخرز بن حمير يا رسول الله
فعدلت اسمي واسم ابي في مكاني الذي عفى عنه في هذه الآية ونسمى عبد الرحمن وسأل الله ان يقتل شهيدا
لا يعلم اين مكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له اثر وذكر بن عائذ في مغازيه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نزل بتوك في زمان قل ماؤها فيه ثم بصق فيها فعادت عينا حتى امتلأت فهي كذلك حتى الآن
قلت في صحيح مسلم انه قال قبل وصوله اليها انكم ستأتون غدا ان شاء الله عين بتوك وانكم لم تأتوها
حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي قال فجئناها وقد سبق اليها رجلان والعين
مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسيتما من مائها شيئا قالا
نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله ان يقولا ثم غرفوا من العين قليلا حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ثم قال رسول الله

فصل

صلى الله عليه وسلم يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما ها هنا قد ملئ جنانا وامر حربا
ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك اتاه صاحب ايلة فصالحه واعطاه الجزية واتاه اهل
اذرح فاعطوه الجزية وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فهو عندهم وكتب لصاحب ايلة
بسم الله الرحمن الرحيم هذه امنة من الله ومن محمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة واهل ايلة سفنهم و
سياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر
فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه لمن اخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا
ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر او بحر

فصل

في بعث خالد بن الوليد الى اكيدر دومة

قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى اكيدر دومة وهو اكيدر بن عبد الملك
رجل من كنده كان نصرانيا وكان ملكا عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد انك ستجده يصيد
البقر فخرج خالد حتى اذا كان بحصنه بمنظر العين في ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته
فقامت البقر تحك بقرونها باب القصر فقالت امرأته هل رأيت مثل هذا قط قال لا والله قالت
من يترك هذه قال لا احد فنزل فامر بفرسه فاسرج له فركب نفر من اهل بيته فيهم اخ له يقال له حسان

فركب

فركب وخرجوا معه بمطاردهم فلما خرجوا لقيتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذته وقتلت اخاه
وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد فبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل قدومه عليه ثم ان خالدا قدم باكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقن له دمه وصالحه على الجزية
ثم خلى سبيله فرجع الى قريته وقال بن سعد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في اربعمائة
وعشرين فارسا فذكر نحو ما تقدم قال واجار خالد اكيدر من القتل حتى اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ان يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه على الفي بعير وثمانمائة رأس واربعمائة درع واربعمائة رمح فغزا
النبي صلى الله عليه وسلم صفية خالصة ثم قسم الغنيمة فاخرج الخمس فكان للنبي صلى الله عليه وسلم ثم قسم ما بقي
في اصحابه فصار لكل واحد منهم خمس فرائض وذكر بن عائذ في هذا الخبر ان اكيدر قال عن البقر والله ما رأيت
قط جاءتنا الا المباركة ولقد كنت اضمرها اليومين والثلاثة ولكن قدر الله قال موسى بن عقبة واجتمع
اكيدر ويحنة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وذعاهما الى الاسلام فابيا واقرا بالجزية فقاضاهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قصة دومة وعلى تبوك وعلى ايلة وهي تيما وكتب لهما كتابا رجعنا الى قصة تبوك قال
ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة لا يجاوزها ثم انصرف الى المدينة وكان
بالطريق ماء وشل فلا يروي الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له المشقق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سبقنا الى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه قال فسبقه اليه نفر من المنافقين فاستقوا فلم يرو فيه شيئا
فقال من سبقنا الى هذا الماء فقيل له يا رسول الله فلان وفلان فقال اولم ننههم ان يستقوا منه شيئا حتى آتيه
ثم لعنهم ودعا عليهم ثم نزل فوضع يده في الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله ان يصب ثم نضحه به ومسحه
بيده ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله ان يدعو به فاخرق من الماء كما يقول من سمعه ان له حسا
كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيتم او بقي منكم
لتسمعن بهذا الوادي وهو اخصب ما بين يديه وما خلفه قلت ثبت في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله
قال لهم انكم ستأتون غدا ان شاء الله عين بتوك وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمسن من
مائها شيئا الحديث وقد تقدم وان كانت القصة واحدة فالمحفوظ حديث مسلم وان كانت قصتين فهو
ممكن قال وحدثني محمد بن ابرهيم بن الحارث التيمي ان عبد الله بن مسعود كان يحدث قال قمت من
الليل وانا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر فابتعتها
انظر اليها فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر واذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات واذا هم
قد حفروا له ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته وابو بكر وعمر يدليانه اليه وهو يقول ادليا الي اخاكما

فاد لياه اليه فلما هياءه لشقه قال اللهم انى قد امسيت راضيا عنه فارض عنه قال يقول عبد الله بن مسعود
يا ليتنى كنت صاحب الحفرة وقال صلى الله عليه وسلم فى مرجعه من غزوة تبوك ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم
واديا الا كانوا معكم قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة حبسهم العذر قال نعم **فصل** وقال فى خطبته صلى الله عليه وسلم
بتبوك وصلوته ذكر البيهقى فى الدلائل والحاكم من حديث عقبة بن عامر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى غزوة تبوك فاسترقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان منها على الليلة فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قد رمح
قال الم اقل لك يا بلال اكلاء لنا الفجر فقال يا رسول الله ذهب بى النوم الذى ذهب بك فانتقل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذلك المنزل غير بعيد ثم صلى ثم ذهب بقية يومه وليلته فاصبح بتبوك فحمد الله واثنى عليه ثم
هو اهله ثم قال اما بعد فان اصدق الحديث كتاب الله واوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة ابرهيم
وخير السنن سنة محمد واشرف الحديث ذكر الله واحسن القصص هذا القرآن وخير الامور عوازمها
وشر الامور محدثاتها واحسن الهدى هدى الانبيا واشرف الموت قتل الشهداء واعمى العمى الضلالة بعد
الهدى وخير الاعمال ما نفع وخير الهدى ما اتبع وشر العمى عمى القلب واليد العليا خير من اليد السفلى وما قل وكفى
خير مما كثر والهى وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة يوم القيمة ومن الناس من لا يأتى الجمعة الا دبرا ومنهم
من لا يذكر الله الا هجرا ومن اعظم الخطايا اللسان الكذاب وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس
الحكم مخافة الله عز وجل وخير ما وقر فى القلوب اليقين والارتياب من الكفر والنياحة من عمل الجاهلية
والغلول من جمر جهنم والشكوى من الناو والشعر من ابليس والخمر جماع الاثم وشر المآكل مال اليتيم والسعيد
من وعظ بغيره والشقى من شقى فى بطن امه وانما يصير احدكم الى موضع اربعة اذرع والامر الى الآخر ولا
العمل خواتمه وشر الرؤيا رؤيا الكذب وكل ما هو آت قريب وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر واكل لحمه
من معصية الله وحرمة ماله كحرمة دمه ومن تألى على الله يكذبه ومن يغفر يغفر له ومن يعف يعف الله عنه
ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ومن يبتع السمعة يسمع الله به ومن يصبر يضره الله
ومن يعص الله يعذبه ثم استغفر ثلثا وذكر ابو داود فى سننه من حديث يزيد بن وهب اخبرنى معاوية بن سعيد
بن غزوان عن ابيه انه نزل بتبوك وهو حاج فاذا رجل يقعد فسالته عن امره فقال ساحدثك حدثنا
قلا تحدثت انى سمعت اخى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بتبوك الى نخلة فقال لهذه قبلتنا ثم صلى الى
قال فاقبلت وانا غلام اسعى ثم مررت بينه وبينها فقال قطع صلاتنا قطع الله اثره قال فما قمت عليها
الى يومى هذا ثم ساقه ابو داود من طريق وكيع عن سعيد بن عبد العزيز عن مولى يزيد بن نمران عن يزيد
بن نمران قال رايت بتبوك رجلا متعمدا فقال مررت بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم على حمار وهو يصلى

فقال

فقال اللهم اقطع اثره ما شيت عليه بعد وفى هذا الاسناد والذى قبله ضعف **فصل فى جمعه**
بين الصلوتين فى غزوة تبوك قال ابو داود س قتيبة بن سعيد س الليث عن يزيد بن ابى حبيب عن ابى الطفيل
عامر بن واثلة عن معاذ بن جبل ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى غزوة تبوك اذا ارتحل قبل ان تزيغ الشمس
اخر الظهر حتى يجمعها الى العصر فيصليهما جميعا واذا ارتحل قبل المغرب اخر المغرب حتى يصليها مع العشا
واذا ارتحل بعد المغرب عجل العشا فصلاها مع المغرب وقال الترمذى واذا ارتحل بعد زيغ الشمس
عجل وصلى الظهر والعصر جميعا وقال حديث حسن غريب فقال ابو داود وهذا حديث منكر وليس فى
تقديم الوقت حديث قايم وقال ابو محمد بن حزم لا يعلم احد من اصحاب الحديث ليزيد بن ابى حبيب سماعا
من ابى الطفيل وقال الحاكم فى حديث ابى الطفيل هذا هو حديث رواته ائمة ثقات وهو شاذ
الاسناد والمتن لا نعرف علة نعلله بها فنظرنا فاذا الحديث موضوع وذكر عن البخارى قلت لقتيبة
بن سعيد مع من كتبت عن الليث حديث يزيد بن ابى حبيب عن ابى الطفيل قال كتبته مع خالد المدائنى
وكان خالد المدائنى يدخل الحديث على الشيوخ ورواه ابو داود ايضا س يزيد خالد بن عبد الله
بن موهب الرملى س المفضل بن فضالة عن الليث عن هشام بن سعد عن ابى الزبير عن ابى الطفيل
عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى غزوة تبوك اذا زاغت الشمس قبل ان يرتحل
جمع بين الظهر والعصر وفى المغرب مثل ذلك وان غابت الشمس قبل ان يرتحل جمع بين المغرب والعشا
وان ارتحل قبل ان تغيب الشمس اخر المغرب حتى ينزل للعشا فيجمع بينهما وهشام بن سعد ضعيف
عندهم ضعفه الامام احمد وابن معين وابو حاتم وابو زرعه ويحيى بن سعيد وكان لا يحدث عنه و ضعفه
النسائى ايضا وقال ابو بكر البزار لم ار احدا توقف عن حديث هشام بن سعد ولا اعتل عليه بعلة توجب
التوقف عنه وقال ابو داود وحديث المفضل بن فضالة عن الليث حديث منكر **فصل فى**
رجوع النبى صلى الله عليه وسلم من تبوك وما هم المنافقون من الكيد به وعصمة الله اياه ذكر ابو الاسود
فى مغازيه عن عروة وقال ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا من تبوك الى المدينة حتى اذا كان
ببعض الطريق مكر برسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من المنافقين وائتمروا ان يطرحوه من عقبة
فى الطريق فلما بلغوا العقبة اراد وان يسلكوها معه فلما غشيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبر خبرهم فقال من شاء منكم ان ياخذ بطن الوادى فانه اوسع لكم واخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم العقبة واخذ الناس بطن الوادى الا النفر الذين هموا بالمكر برسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعوا
بذلك استعدوا وتلثموا وقد هموا بامر عظيم وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان وعمارا

تعلة بسبب

بن ياسر فشيا معه وامر عمارا ان ياخذ بزمام الناقة وامر حذيفة يسوقها فبينما هم يسيرون اذ سمعوا وكزة القوم
من وراء ظهورهم وغشوه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر حذيفة ان يردهم وابصر حذيفة غضب رسول الله
فرجع ومعه مجحن فاستقبل وجوه رواحلهم فضربها ضربا بالمجحن وابصر القوم وهم ملثمون ولم يشعر الا ان
ذلك فعل المسافر فاذعرهم الله سبحانه حين ابصر واحذيفة وظنوا ان مكرهم قد ظهر عليه فاسرعوا حتى خالطوا
الناس واقبل حذيفة حتى ادرك رسول الله صلى الله عليه فلما ادركه قال اضرب الراحلة ياحذيفة وامش انت يا عمار
فاسرعوا حتى استوى باعلاها فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحذيفة هل عرفت
من هؤلاء الرهط او الركب احدا قال عرفت راحلة فلان وفلان وقال كانت ظلمة الليل وغيشهم وهم
ملثمون فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل علمتم ما شأن الركب وما اراد وا قالوا لا والله يا رسول الله قال فانهم
مكروا ليسيروا معي حتى اذا ظلمت في العقبة طرحوني منها قالوا افلا نامر بهم يا رسول الله اذا فضربت اعناقهم
قال اكره ان يتحدث الناس ويقولون ان محمدا قد وضع يده في اصحابه فسماهم لهما وقال اكتماهم وقال
ابن اسحق في هذه القصة ان الله قد اخبرني باسمائهم واسماء ابائهم وساخبرك بهم ان شاء الله تعالى عند وجه
الصبح فانطلق فاذا اصبحت فاجمعهم فلما اصبح قال ادع عبد الله بن ابي وسعد بن ابي سرح وابا حاضر
الاعرابي وعامرا وابا عامر والجلاس بن سويد بن الصامت وهو الذي قال لا ننتهي حتى نرى محمدا في العقبة
الليلة وان كان محمد واصحابه خيرا منا انا اذا الغنم وهو الراعي واعقل لنا وهو العاقل وامره ان يدعوا
مجمع بن حارثة وملیح التيمي وهو الذي سرق طيب الكعبة وارتد عن الاسلام فانطلق هاربا في الارض فلا
يدري اين ذهب وامره ان يدعو احصن بن قهير الذي اغار على عمر الصدقة فسرقه قال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويحك ما حملك على ذلك قال حملني عليه اني طمعت ان الله لم يطلعك عليه فاما اذ اطلعك الله عليه
وعلمته فاني اشهد اليوم انك رسول الله واني لم اومن بك قط قبل الساعة فاقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم
عثرته وعفى عنه وامره ان يدعو اطعمة بن ابيرق وعبد الله بن عيينة وهو الذي قال لاصحابه اسهروا هذه
الليلة تسلموا الدهر كله فوالله ما لكم امر دون ان تقتلوا هذا الرجل قد عاه فقال له ويحك ما كان ينفعك
ان قتلتني لو اني قتلت فقال عبد الله يا نبي الله والله لا تزال بخير ما اعطاك الله النصر على عدوك واغا نحن بالله
وبك فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ادع مرة بن الربيع وهو الذي قال نقتل الواحد الفرد فيكون
الناس عامة يقتلونه مطمئنين فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك ما حملك على ان تقول الذي
قلت فقال يا رسول الله ان كنت قلت شيئا من ذلك انك لعالم به وما قلت شيئا من ذلك فجمعهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم اثنا عشر رجلا الذين حاربوا الله ورسوله واراد وا قتله فاخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقولهم

بقولهم ومنطقهم وسرهم وعلانيتهم واطلع الله سبحانه نبيه على ذلك بعلمه ومات الاثنى عشر منافقين
محاربين لله ورسوله وذلك قوله عز وجل وهموا بما لم ينالوا وكان ابو عامر راسهم ولم ينبو مسجد الضرار وهو
الذي كان يقال له الراهب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة فارسلوا
عليه فقدم عليهم فلما قدم عليهم اخزاه الله واياهم فانهارت تلك البقعة في نار جهنم **فصل** قلت
وفي سياق ما ذكره ابن اسحق وهم في وجوه احدها ان النبي صلى الله عليه وسلم اسر الى حذيفة اسماء اولئك المنافقين
ولم يطلع عليهم احدا غيره وبذلك كان يقال لحذيفة انه صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ولم يكن عمر ولا
غيره يعلم اسماءهم وكان اذا مات الرجل وشكوا فيه يقول عمر انظروا فان صلى عليه حذيفة والا فهو منهم
منهم الثاني ما ذكرناه من قوله فيهم عبد لسبزابي وهو وهم ظاهر وقد ذكر ابن اسحق نفسه ان عبد الله
ابن ابي تخلف في غزوة تبوك الثالث ان قوله ارتد سعد بن ابي سرح وهم ايضا وخطأ ظاهر فان سعد
ابن ابي سرح لم يعرف له اسلام البتة وانما ابنه عبد الله كان اسلم وهاجر ثم ارتد ولحق بمكة حتى استامن له
عثمان النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح فامنه فاسلم وحسن اسلامه ولم يظهر منه بعد ذلك شيء ينكر
عليه ولم يكن مع هؤلاء الاثنا عشر البتة فما ادري ما هذا الخطأ الفاحش الرابع قوله وكان ابو
عامر راسهم وهذا وهم ظاهر لا يخفى على مزدون بن اسحق بل هو نفسه قد ذكر قصة ابي عامر هذا
في قصة الهجرة عن عاصم بن عمر بن قتادة ان ابا عامر لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
خرج ببضعة عشر رجلا فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج الى الطائف فلما اسلم اهل
الطايف خرج الى الشام فمات بها طريدا غريبا وحيدا فاين كان الفاسق وغزوة تبوك ذهابا
وايابا **فصل** في امر مسجد الضرار الذي نهى الله رسوله ان يقوم فيه فحدثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم واقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حتى نزل بذي اوان وبينها وبين
المدينة ساعة وكان اصحاب مسجد الضرار اتوه وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا ابنينا
مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة الشاتية وانا نحب ان تاتينا فتصلي لنا فيه فقال
اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا اتيناكم فصلينا لكم فيه فلما نزل بذي اوان جاءه خبر المسجد
من السماء فدعا مالك بن الدخشم اخا بني سلمة بن عوف ومعن بن عدي العجلاني فقال انطلقا الى
هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه واحرقاه فخرجا مسرعين حتى اتيا بني سالم بن عوف وهم
رهط مالك بن الدخشم فقال مالك لمعن انظرني حتى اخرج اليك بنار فاهلي فدخل الى اهله فاخذ
سعفا من النخل فاشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه اهله فحدماه واحرقاه فتفرقوا

عنه وانزل الله سبحانه فيه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين الى آخر القصة
وذكر ابن اسحق الذين بنوه وهم اثنا عشر رجلا منهم ثعلبة بن حاطب وذكر عثمان بن سعيد الدارمي نا عبد
بن صالح حدثني معوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا
وكفرا هم ناس من الانصار ابنوا مسجدا وقالوا لهم ابو عامر ابنوا مسجدكم واستعدوا ما استطعتم من
قوة ومن رباط فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فلما فرغوا
من مسجدهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد فرغنا من بنيا مسجدا فنحب ان تصلي فيه وتدعوا
بالبركة فانزل الله عز وجل لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق يعني مسجد قبا
احق ان تقوم فيه الى قوله فانهار به في نار جهنم يعني قواعده لا تزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم
يعني شكا الا ان تقطع قلوبهم يعني بالموت **فصل** فلما دنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن ٥ طلع البدر علينا ٥ من ثنيات
الوداع ٥ وجب الشكر علينا ٥ ما دعى لله داع ٥ وبعض الرواة يهم في هذا ويقول انما ذلك كان عند
مقدمه المدينة من مكة وهو وهم ظاهر لان ثنيات الوداع انما هي من ناحية الشام لمن يراها القادم من مكة
الى المدينة ولا يمر بها الا اذا توجه الى الشام فلما اشرف على المدينة قال هذه طابة وهذا احد
جبل يحبنا ونحبه ولما دخل قال العباس يا رسول الله ايذن لي امتدحك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فقال ٥ من قبلها طبت في الظلال وفي ٥ مستودع حيث
يخصف الورق ٥ ثم هبطت البلاد لا بشر ٥ انت ولا مضغة ولا علق ٥ بل نطفة تركب
السفين وقد ٥ الجم نسرا واهله الغرق ٥ تنقل من صلب الى رحم ٥ اذا مضى عالم
بدا طبق ٥ حتى احتوى بيتك المهيمن من ٥ خندف عليا تحتها النطق ٥ وانت لما ولدت
اشرقت الارض ٥ وضاءت بنورك الافق ٥ فنحن في ذلك الضياء وفي ٥ النور وسبل
الرشاد نخترق **فصل** ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بدأ بالمسجد فصلى
فيه ركعتين ثم جلس للناس فجاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة
وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم
الى الله وجاءه كعب بن مالك فلم يسلم عليه وتبسم تبسم المغضب ثم قال له تعال فجئت امشي
حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك الم تكن ابتعت ظهرك فقلت والله لو جلست عند غيرك
من اهل الدنيا لرأيت ان ساخرج من سخطه بعذر ولقد اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت ان حدثتك

اليوم حديث كذب ترضى به علي ليوشكن الله ان يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي
فيه اني لارجو عفو الله لا والله ما كان لي من عذر والله ما كنت اقوى ولا اشسط ولا ايسر مني حين تخلفت
عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك وثار رجال من
بني سلمة فاتبعوني يؤنبوني فقالوا والله ما علمناك كنت اذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت ان لا تكون
اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار
رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى اردت ان ارجع فاكذب نفسي ثم قلت
لهم هل لقي هذا معي احد قالوا نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما قالوا
مرارة بن الربيع العامري وهلال بن امية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدرا فيهما اسوة
فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه واسلم المسلمين عن كلامنا ايها الثلثة من بين
من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي الارض فما هي بالذي اعرف فلبثنا على ذلك
خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم
فكنت اخرج اشهد الصلوة مع المسلمين واطوف في الاسواق ولا يكلمني احد واتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم واسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلوة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي ام لا ثم اصلي
قريبا منه فاسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي اقبل الي فاذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي
ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه
فوالله ما رد علي السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمني احب الله ورسوله فسكت فعدت له
فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار
فبينا انا امشي بسوق المدينة واذا نبطي من انباط اهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول
من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى اذا جاءني دفع الي كتابا من ملك غسان فاذا فيه
اما بعد فانه بلغني ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك
فقلت لما قرأتها وهذا ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها حتى مضت اربعون ليلة من الخمسين اذا
رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تعتزل امرأتك
فقلت اطلقها ام ماذا قال لا ولكن تعتزلها ولا تقربها وارسل الى صاحبي مثل ذلك فقلت لامرأتي
الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر فجاءت امرأة هلال بن امية فقالت يا رسول
ان هلال بن امية شيخ ضايع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت والله ما به حركة

الى شئ والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا قال لكعب فما الى بعض اهلي لو استاذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك كما اذن لامرأة هلال بن امية ان تخدمه فقلت والله لا استاذنت لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل
شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا الخمسون الليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا
فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال الذي ذكر الله تعالى قد ضاقت
علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على سلع جبل يا على صوته يا كعب بن مالك
ابشر فخررت ساجدا وعرفت ان قد جاء فرج واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين
صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض لي رجل على فرس وسعى ساع من
اسلم فاوفى على ذروة الجبل وكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له
ثوبي فكسوته اياهما ببشراه والله ما املك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت الى رسول الله
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة ويقولون لينهنك توبة الله
عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام الي طلحة
بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام الي رجل من المهاجرين غيره ولا انساها لطلحة فلما
سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ
ولدتك امك قال قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله قال بل من عند الله وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كانه قطعة قمر وكان يعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه
قلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله قال امسك عليك بعض مالك
فهو خير لك قلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر فقلت يا رسول الله انما نجاني الله بالصدق وان من
توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت فوالله ما اعلم احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث منذ
ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا ما ابلاني الله والله ما تعمدت بعد ذلك الى يومي
هذا كذبا واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقيت وانزل الله على رسوله لقد تاب الله على النبي و
المهاجرين والانصار الى قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فوالله ما انعم الله
علي نعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا فان الله قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شرا
قال فقال سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب

وكان تخلفنا

وكان تخلفنا ايها الثلثة عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا قبلنا
واستغفر لهم وارجا امرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله وعلى الثلثة الذين خلفوا وليس الذي
ذكر الله مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه
وقال عثمان بن سعيد الدارمي ثنا عبد الله بن صالح حدثني معوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن
ابن عباس في قوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا قال كانوا عشرة
رهط تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوثق سبعة منهم انفسهم بسواري المسجد وكان ممن لم ينبي صلى الله عليه وسلم اذا رجع عليهم فلما رآهم
قال من هؤلاء الموثقون انفسهم بالسواري قالوا ابو لبابة واصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله
حتى يطلقهم النبي صلى الله عليه وسلم ويعذرهم قال وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى يكون الله
هو الذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فلما بلغهم ذلك قالوا ونحن لا نطلق
انفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا فانزل الله عز وجل واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا
عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم وعسى من الله واجب ان الله غفور رحيم فلما نزلت
ارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاطلقهم وعذرهم وجاؤا باموالهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا
فتصدق بها عنا واستغفر لنا فقال ما امرت ان اخذ اموالكم فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم فاخذ منهم الصدقة واستغفر لهم وكان تلثة
نفر لم يوثقوا انفسهم بالسواري فارجيئوا لامر الله فاما يعذبهم وان يتوب عليهم فانزل الله عز وجل لقد
تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الى قوله ان الله هو التواب الرحيم تاب بعد عطية بن سعيد

فصل في الاشارة

الى بعض ما تضمنته هذه الغزوة من الفقه والفوايد فمنها جواز
القتال في الشهر الحرام ان كان خروجه في رجب محفوظا على ما قاله ابن اسحق ولكن ههنا امر آخر وهو ان اهل الكتاب
لم يكونوا يحرمون الشهر الحرام بخلاف العرب فانها كانت تحرمه وقد تقدم في نسخ تحريم القتال ففيه قولان وذكرنا
حجج الفريقين ومنها تصريح الامام للرعية واعلامهم بالامر الذي يقصد بهم ستره واخفاؤه ليتاهبوا له
وبعد والده وجواز ستر غيره عنهم والكناية عند المصلحة ومنها ان الامام اذا استنفر الجيش لزمهم النفير
ولم يجز لاحد التخلف الا باذنه ولا يشترط في وجوب النفير نفير كل واحد منهم بعينه بل متى استنفر الجيش لزم
كل واحد منهم الخروج معه وهذا احد المواضع الثلثة التي يصير فيها الجهاد فرض عين والثاني اذا حضر العدو
البلد والثالث اذا حضر بين الصفين ومنها وجوب الجهاد بالمال كما يجب بالنفس وهذا احد الروايتين

عن احمد وهو الصواب الذى لاشك فيه فان الامر بالجهاد بالمال شقيق الامر بالجهاد بالنفس فى القران وقرينه
بل جاء مقدما على الجهاد بالنفس فى كل موضع الا موضعا واحدا وهذا يدل على ان الجهاد بهما هو اكد من الجهاد
بالنفس والاربع انه اجود كما قال النبى صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا فقد غزا فيجب على القادر عليه ما يجب
على القادر بالبدن ولا يتم الجهاد بالبدن الا ببذله ولا ينتصر الا بالعدد والعدد فان لم يقدر ان يكثر العدد
وجب عليه ان يعد بالمال والعده واذا وجب الحج بالمال على العاجز بالبدن فوجوب الجهاد بالمال اولى واحرى
ومنها ما برز به عثمان بن عفان من النفقة العظيمة فى هذه الغزوة وسبق به الناس وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما اخفيت وما ابديت ثم قال ما ضر عثمان ما فعل بعد
اليوم وكان قد انفق الف دينار وثلثمائة بعير بعدتها واحلاسها واقتالها ومنها ان العاجز عما له
لا يعذر حتى يبذل جهده ويتحقق عجزه فان الله سبحانه انما نفى الحرج عن هؤلاء العاجزين بعد ان اتوا رسوله
ليحملهم فقال لا اجد ما احملكم عليه فرجعوا ليكون لما فاتهم من الجهاد فهذا العاجز الذى لا حرج عليه
ومنها استخلاف الامام اذا سافر رجلا من الرعية على الضعفا والمعذورين والنسا والذرية ويكون نائبه
من المجاهدين لانه من اكبر العون لهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف ابن ام مكتوم فاستخلفه بضعة عشر
مرة واما فى غزوة تبوك فالمعروف عند اهل الاثر انه استخلف عليا بن ابو طالب كما فى الصحيحين عن سعد بن ابى
وقاص قال خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فى غزوة تبوك فقال يا رسول الله تخلفنى مع النسا والصبيان
فقال اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هرون من موسى غير انه لا نبى بعدى ولكن هذه كانت خالفة خاصة على
اهله صلى الله عليه وسلم واما الاستخلاف العام فكان لمحمد بن مسلمة الانصارى ويدل على هذا ان المنافقين
لما ارجفوا به وقالوا اخلفه استثقالا اخذ سلاحه ثم لحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال كذبوا ولكن
خلفتك لما تركت ورائى فارجع فاخلفنى فى اهلى واهلك ومنها جواز الخرص للرطب على رؤس النخل وانه
من الشرع والعمل بقول الخارص وقد تقدم فى غزوة خيبر وان الامام يجوز ان يخرص بنفسه كما خرص رسول الله
صلى الله عليه وسلم حديقة المراة ومنها ان الماء الذى بابار ثمود لا يجوز شربه ولا الطبخ به والعجين به ولا
الطهارة به ويجوز ان يسقى البهايم الا ما كان من بير الناقة وكانت معلومة باقية الى عهد النبى صلى الله عليه وسلم
ثم استتر علم الناس بها قرنا بعد قرن الى وقتنا هذا فلا يرد الركبان بير اغيرها وهى مطوية محكمة البنا واسعة
الارجا اثار العتق عليها بادية لا تشتبه بغيرها ومنها ان من مر بديار المغضوب عليهم والمعذبين
لم ينبغ ان يدخل عليهم الا باكيا معتبرا ومن هذا اسراع النبى صلى الله عليه وسلم السير فى وادى محسر بين منى وعرفه
فانه المكان الذى اهلك الله فيه الفيل واصحابه ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الصلوتين

فى السفر وقد جاء جمع التقديم فى هذه القصة فى حديث معاذ كما تقدم وذكرنا علة الحديث وفى انكاره ولم يجى
جمع التقديم عنه الا فى سفره هذا وصح عنه جمع التقديم بعرفه قبل دخوله الى عرفه فانه جمع بين الظهر والعصر
فى وقت الظهر فقيل ذلك لاجل النسك كما قاله ابو حنيفه وقيل لاجل السفر الطويل كما قاله الشافعى واحمد وقيل
لاجل الشغل وهو اشتغاله بالوقوف واتصاله الى غروب الشمس قال احمد يجمع للشغل وهو قول جماعة
من السلف والخلف وقد تقدم ومنها جواز التيمم بالرمل فان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه قطعوا الرمال
التى بين المدينة وتبوك ولم يحملوا معهم ترابا ولا ماء وتلك مفاوز معطشة شكوا فيها العطش الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقطعا كانوا يتيممون بالارض التى هم نازلون فيها هذا كله مما لا شك فيه مع قوله صلى الله
عليه وسلم فحيث ما ادركت رجلا من امتى الصلوة فعنده مسجده وطهوره ومنها انه صلى الله عليه وسلم اقام
بتبوك عشرين يوما يقصر الصلوة ولم يقل للامه لا يقصر رجل الصلوة اذا اقام اكثر من ذلك ولكن اتفق اقامته هذه
المده وهذه الاقامه فى حال السفر لا يخرج عن حكم السفر سواء طالت او قصرت اذا كان غير مستوطن
ولا عازم على الاقامه بذلك الموضع وقد اختلف السلف والخلف فى ذلك اختلافا كثيرا ففى صحيح البخارى عن
ابن عباس قال اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره تسع عشرة يصلى ركعتين فنحن اذا اقمنا تسع عشرة
نصلى ركعتين واذا زدنا على ذلك اتممنا وظاهر كلام احمد ان ابن عباس اراد مدة مقامه بمكه زمن الفتح فانه قال
اقام النبى صلى الله عليه وسلم بمكه ثمان عشرة زمن الفتح لانه اراد حنينا ولم يكن ثم اجماع على المقام وهذه اقامته
التى رواها ابن عباس وقال غيره بل اراد ابن عباس مقامه بتبوك كما قال جابر بن عبد الله اقام النبى صلى الله عليه وسلم
بتبوك عشرين يوما يقصر الصلوة رواه الامام احمد فى مسنده وقال المسور بن مخرمه اقمنا مع سعد ببعض
قرى الشام اربعين ليلة يقصرها سعد ويتمها وقال نافع اقام ابن عمر باذربيجان ستة اشهر يصلى ركعتين
وقد حال الثلج بينه وبين الدخول وقال حفص بن عبد الله اقام انس بن مالك بالشام سنتين يصلى صلاة
المسافر وقال انس اقام اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم برامهرمز سبعة اشهر يقصرون الصلوة وقال
الحسن اقمت مع عبد الرحمن بن سمرة بكابل سنتين نقصر الصلوة ولا نجمع وقال ابراهيم كانوا يقيمون بالري
السنة والكثر من ذلك وبسجستان السنتين فهذا هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كما ترى وهو
الصواب واما مذاهب الناس فقال الامام احمد اذا نوى اقامة اربعة ايام اتم وان نوى دونها قصر وحمل
هذه الاثار على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجمعوا الاقامة البته بل كانوا يقولون اليوم نخرج غدا نخرج
وفى هذا نظر لا يخفى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكه وهى دار اهله واقام فيها يؤسس الاسلام ويهدم
قواعد الشرك ويعمد ما حولها من العرب ومعلوم قطعا ان هذا يحتاج الى اقامة ايام لا يتاتى فى يوم واحد ولا

يومين وكذلك اقامته بتبوك فانه اقام ينتظر العدو وقد المعلوم قطعا انه كان بينه وبينهم عدة مراحل
تحتاج الى ايام وهو يعلم انهم لا يوفون في اربعة ايام وكذلك اقامة زيد بن عمر باذربيجان ستة اشهر يقصر الصلوة مع اجل
الثلج وقد المعلوم ان مثل هذا الثلج لا يحتمل ويذوب في اربعة ايام بحيث تنفتح الطرق وكذلك اقام اتسر بالشام
سنتين يقصر واقامة اصحابه برامهرمز سبعة اشهر يقصرون وقد المعلوم ان مثل هذا الحصار والجهاد يعلم
انه لا ينقضي في اربعة ايام فقد قال اصحاب احمد انه لو اقام لجهاد عدو او حبس سلطان او مرض قصر سواء
غلب على ظنه انقضاء الحاجة في مدة يسيرة او طويلة وهذا هو الصواب لكن شرطوا فيه شرطا لا دليل عليه من
كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا عمل الصحابة قالوا شرط ذلك احتمال انقضاء حاجته في المدة التي لا تقطع حكم
السفر وهي ما دون الاربعة ايام فيقال من اين لكم هذا الشرط والنبي صلى الله عليه وسلم لما اقام زيادة
على اربعة يقصر بمكة وبتبوك ولم يقل لهم شيئا ولم يبين لهم انه لم يعزم على اقامة اربعة ايام وهو يعلم انهم
يقتدون به في صلوته ويتأسون به في قصرها في مدة اقامته ولم يقل لهم حرف واحد لا تقصروا فوق اقامة
اربع ليال وبيان هذا من المهمات وكذلك اقتدى الصحابة به بعده ولم يقولوا لمن صلى معهم شيئا من ذلك
وقال مالك والشافعي اذا نوى اقامة اربعة ايام اتم وان نوى دونها قصر وقال ابو حنيفة ان نوى اقامة
خمسة عشر يوما اتم وان نوى دونها قصر وهو مذهب الليث بن سعد ورواه عن ثلثة من الصحابة عمر وابنه وابن عباس
وقال سعيد بن المسيب اذا اقمت اربعا قصل اربعا وعنه كقول ابي حنيفة وقال علي بن ابي طالب ان اقام عشرا
اتم وهو رواية عن ابن عباس وقال الحسن يقصر ما لم يقدم مصرا وقالت عائشة يقصر ما لم يضع الرداء
والزاد والائمة الاربعة متفقون على انه اذا اقام لحاجة ينتظر قضاءها يقول اليوم اخرج غدا اخرج
فانه يقصر ابدا الا الشافعي في احد قوليه فانه يقصر عنده الى سبعة عشرة او ثمانية عشر ثم لا يقصر بعدها
وقد قال ابن المنذر في اشرافه اجمع اهل العلم ان للمسافر ان يقصر ما لم يجمع اقامة وان اتى عليه سنون

فصل ومنها جواز بل استحباب حنث الحالف في يمينه اذا رأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه
وليفعل الذي هو خير وان شاء قدم الكفارة على الحنث وان شاء اخرها وقد روي من حديث ابي موسى هذا الا
ان الذي هو خير وتحللتها وفي لفظ الا كفرت عن يميني وكل هذه الالفاظ في الصحيحين وهي تقتضي
عدم الترتيب وفي السنن من حديث عبد الرحمن بن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حلفت على يمين فرأيت
غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك ثم ائت الذي هو خير واهله في الصحيحين فذهب احمد ومالك والشافعي
الى جواز تقديم الكفارة على الحنث واستثنى الشافعي التكفير بالصوم فقال لا يجوز تقديمه ومنع ابو حنيفة
تقديم الكفارة مطلقا **فصل** ومنها انعقاد اليمين في حال الغضب اذا لم يخرج بصاحبه الى حد

لا يعلم

لا يعلم معه ما يقول وكذلك يتفق حكم وتصح عقوده فلو بلغ به الغضب الى حد الاغلاق لم ينعقد يمينه ولا طلاقه
قال احمد في رواية حنبل في حديث عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا طلاق ولا اعتاق
في اغلاق يريد الغضب **فصل** ومنها قوله ما انا حملتكم ولكن الله حملكم فتعلق به الخبري ولا
متعلق له به وانما هذا مثل قوله والله لا اعطي احدا شيئا ولا امنع وانما انا قاسم اضع حيث امرت فانه عبد الله ورسوله
فانما يتصرف بالامر فاذا امره ربه بشيء انفذه فالله هو المعطي والمانع والحامل والرسول منفذ لما امر به واما قوله
تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فالمراد به القبضة من الحصباء التي رمى بها وجوه المشركين فوصلت
الى عيون جميعهم فاثبت سبحانه له الرمي باعتبار النبذ والالقاء به فانه فعله ونفاه عنه باعتبار الايصال
الى جميع المشركين وهذا فعل الرب تعالى لا تصل اليه قدرة العبد والرمي يطلق على الحذف وهو مبتداه والايصال
وهو نهايته **فصل** ومنها تركه قتل المنافقين وقد بلغه عنهم الكفر الصريح فاحتج به من قال
لا تقتل الزنديق اذا اظهر التوبة لانهم حلفوا للرسول الله صلى الله عليه وسلم انهم ما قالوا وهذا ان لم يكن انكارا
فهو توبة واقلاع فقد قال اصحابنا وغيرهم ومن شهد عليه بالردة فشهدان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
لم يكشف عن شيء وقال بعض الفقهاء اذا جحد الردة كفاه جحدها ومن لم يقل بتوبة الزنديق قال هؤلاء لم
تقم عليهم بينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحكم عليهم بعلمه والذي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم قولهم
لم يبلغ اياه نصاب البينة بل شهد به عليهم واحد فقط كما شهد زيد بن ارقم وحده على عبد الله بن ابي فكذلك
غيره وايضا انما شهد عليه واحد وفي هذا الجواب نظر فان نفاق عبد الله بن ابي واقواله في النفاق كانت
كثيرة جدا كالمتواتر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وبعضهم اقر بلسانه وقال انما كنا نخوض ونلعب
وقد واجهه بعض الخوارج في وجهه يقول انك لم تعدل والنبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له الم تقتلهم لم يقل ما قامت
عليهم بينة بل قال لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فالجواب الصحيح اذا انه كان في ترك قتلهم في زمن
حياة النبي صلى الله عليه وسلم مصلحة تتضمن تاليف القلوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمع كلمة الناس عليه
وكان في قتلهم تنفير والاسلام بعد في غربة ورسول الله صلى الله عليه وسلم احرص على تاليف الناس واترك شيء
لما ينفرهم من الدخول في طاعته وهذا امر كان يختص بحال حياته صلى الله عليه وسلم وكذلك ترك قتل من طعن
عليه في حكمه بقوله ان كان ابن عمتك وفي قسمته بقوله ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقوله الاخر انك لم تعدل
فان هذا محض حقه له ان يستوفيه وله ان يتركه وليس للامة بعده ترك استيفاء حقه بل يتعين عليهم استيفاؤه
ولا بد ولتقرير هذه المسائل مواضع اخر والغرض التنبيه والاشارة **فصل** ومنها ان اهل العهد والذمة
اذا احدث احد منهم حدثا فيه ضرر على المسلمين انتقض عهده في ماله ونفسه وانه اذا لم يقدر عليه الامام

ماله ودمه هدر وهو لمن اخذه كما قال في صلح اهل ايلة فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وهو لمن اخذه من الناس وهذا لانه بالاحداث صار محاربا جاحدا حكم اهل الحرب **فصل** ومنها جواز الدفن بالليل كما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا البجادين ليلا وقد سئل احمد عنه فقال وما باس بذلك وقال ابو بكر دفن ليلا وعلي دفن فاطمة ليلا وقالت عائشة سمعنا صوت المساحي من آخر الليل في دفن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ودفن عثمان وعائشة وابن مسعود ليلا وفي الترمذي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل قبرا ليلا فاسرج له سراج فاخذ من قبل القبلة فقال رحمك الله ان كنت لاواها تلاء للقران قال الترمذي حديث حسن وفي البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم سال عن رجل فقالوا فلان دفن البارحة فصلى عليه فان قيل فما تصنعون بما رواه مسلم في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوما فذكر رجلا من اصحابه قبض فكفن في كفن غير طايل ودفن ليلا فزجر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقبر الرجل بالليل الا ان يضطر انسان الى ذلك قال الامام احمد اليه اذهب قيل نقول بالحديثين بحمد الله ولا نرد احدهما بالاخر فيكره الدفن بالليل بل يزجر عنه الا لضرورة او مصلحة راجحة كميت مات مع المسافرين بالليل ويتضررون بالاقامة به الى النهار وكما اذا خيف على الميت الانفجار ونحو ذلك من الاسباب المرجحة للدفن ليلا وبالله التوفيق **فصل** ومنها ان الامام اذا بعث سرية فغنمت غنيمة او اسرت اسيرا او فتحت حصنا كان ما حصل من ذلك لها بعد تخميسه فان النبي صلى الله عليه وسلم قسم ما صالح عليه اكيدر دومة الجندل على السرية الذين بعثهم مع خالد بن الوليد وكانوا اربعمائة وعشرين فارسا وكانت غنائمهم الفي بعير وثمانمائة رأس فاصاب كل رجل منهم خمس فرائض وهذا بخلاف ما اذا خرجت السرية من الجيش في حال الغزو فاصابوا ذلك بقوة الجيش فانما اصابوا ليكون غنيمة بعد الخمس والنفل وهذا كان هدية صلى الله عليه وسلم **فصل** ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم فهذه المعية هي بقلوبهم وهممهم لا كما يظنه طائفة من الجهال انهم معهم بابدانهم فهذا محال لانهم قالوا له وهم بالمدينة وحبسهم العذر وكانوا معه بارواحهم وبدار الهجرة باشباحهم وهذا من الجهاد بالقلب وهو احد مراتبه الاربع وهي القلب واللسان والمال والبدن وفي الحديث جاهدوا المشركين بالسنتكم وقلوبكم واموالكم **فصل** ومنها تحريق امكنة المعصية التي يعصى الله ورسوله فيها وهدمها كما حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد الضرار وامر بهدمه وهو مسجد يصلى فيه ويذكر الله فيه لما كان بناؤه ضرارا وتفريقا بين المؤمنين ومأوى المنافقين وكل مكان هذا شانه فواجب على الامام تعطيله اما بهدم او تحريق واما بتغيير صورته واخراجه عما وضع له واذا كان هذا شان مساجد الضرار فمشاهد

الشرك

الشرك التي تدعو اسدنتها الى اتخاذ ما فيها اندادا من دون الله احق بالهدم واوجب وكذلك محال المعاصي والفسوق كالحانات وبيوت الخمارين وارباب المنكرات وقد حرق عمر بن الخطاب قرية بكمالها فيها بياع الخمر وحرق حانوت رويشد الثقفي وسماه فويسقا وحرق قصر سعد عليه لما احتجب فيه عن الرعية وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحريق بيوت تاركي الجمعة والجماعة وانما منعه من فيها من النساء والذرية الذين لا تجب عليهم كما اخبر هو عن ذلك ومنها ان الوقف لا يصح على غير بر ولا قربة كما لم يصح وقف هذا المسجد وعلى هذا فهدم المسجد اذا بني على قبر كما ينبش الميت اذا كان في المسجد ونص على ذلك احمد وغيره فلا يجتمع في دين الاسلام مسجد وقبر بل ايهما طرا على الاخر منع منه وكان الحكم للسابق فلو وضعا معا لم يجز ولم يصح هذا الوقف ولا تجوز الصلوة في هذا المسجد لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولعنة من اتخذ القبر مسجدا واوقد عليه سراجا فهذا دين الاسلام الذي بعث الله به رسوله وغربة بين الناس كما ترى **فصل** ومنها جواز انشاد الشعر المقارن فرحا وسرورا به ما لم يكن معه محرم من لهو كمزمار وشبابة وعود ولم يكن غناء يتضمن رقية الفواحش وما حرم الله فهذا لا يحرمه احد ولا يعلق عليه ارباب السماع الفاسق به كتعلق من يستحل شرب الخمر المسكر قياسا على اكل العنب وشرب العصير الذي لا يسكر وهذا من القياسات التي تشبه قياس الذين قالوا انما البيع مثل الربوا ومنها استماع النبي صلى الله عليه وسلم مدح المادحين والمدحين من الفرق وقد قال صلى الله عليه وسلم احثوا في وجوه المداحين التراب ومنها ما اشتملت عليه قصة الثلثة الذين خلفوا من الحكم والفوائد الجمة فنشير الى بعضها فمنها جواز اخبار الرجل عن تفريط وتقصيره في طاعة الله ورسوله وعن سبب ذلك وما آل اليه امره في ذلك من التحذير والنصيحة وبيان طرق الخير والشر وما يترتب عليها ما هو من اهم الامور ومنها جواز مدح الانسان نفسه بما فيه من الخير اذا لم يكن على سبيل الفخر والترفع ومنها تسلية الانسان نفسه عما لم يقدر له من الخير بما قدر له من نظيره او خير منه ومنها ان بيعة العقبة كانت من افضل مشاهد الصحابة حتى ان كعبا كان لا يراها دون مشهد بدر ومنها ان الامام اذا راى المصلحة في ان يستر عن رعيته بعض ما يهم به ويقصده من العدو ويوري عند استحباب ذلك او تعين بحسب المصلحة ومنها ان الستر والكتمان اذا تضمن مفسدة لم يجز ومنها ان الجيش في جيوش النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لهم ديوان واول من دون الديوان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهذا من سنته التي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباعها وظهرت مصلحتها وحاجة المسلمين اليها ومنها ان الرجل اذا حضرت له فرصة القربة والطاعة فالحزم كل الحزم في انتهازها والمبادرة اليها وترك التخير في تاخيرها

والتسويف بها ولاسيما اذا لم يثق بقدرته وعلمه من اسباب تحصيلها فان العزائم والهمم سريعة الانتقاض قلما ثبتت
والله سبحانه يعاقب من فتح له بابا من الخير فلم ينتهز به بان يحول بين قلبه وارادته فلا يمكنه بعد من ارادته عقوبة له
فمن لم يستجب لله ورسوله اذا دعاه حال بينه وبين قلبه فلا تمكنه الاستجابة بعد ذلك قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقد صرح سبحانه بهذا في قوله
ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة وقال تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقال وما كان الله
ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون وهو كثير في القرآن ومنها انه لم يكن يتخلف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا احد رجال ثلثة اما مغموص عليه في النفاق او رجل من اهل الاعذار ومن خلفه رسول الله صلى الله
عليه وسلم واستعمله على المدينة او من خلفه لمصلحة ومنها ان الامام للمطاع لا ينبغي ان يهمل من تخلف عنه في
بعض الامور بل يذكره ليراجع الطاعة ويتوب فان النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل كعب بن مالك
ولم يذكر سواه من المتخلفين استصلاحا له ومراعاة واهمالا للقوم المنافقين ومنها جواز الطعن في الرجل
بما يغلب على اجتهاد الطاعن حمية او ذبا عن الله ورسوله ومن هذا طعن اهل الحديث فيمن طعنوا فيه من الرواة
ومن هذا طعن ورثة الانبيا واهل السنة في اهل الاهوا والبدع لا لحظوظهم واغراضهم ومنها جواز
الرد على هذا الطاعن اذا غلب على ظن الراد انه وهم وغلط كما قال معاذ للذي طعن في كعب بئس ما قلت والله
يا رسول الله ما علمت عليه الا خيرا ولم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على واحد منهما ومنها ان السنة للقادم
من السفر ان يدخل البلد على وضوء وان يبدا ببيت الله قبل بيته فيصلي فيه ركعتين ثم يجلس للمسلمين للسلام
عليه ثم ينصرف الى اهله ومنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل علانية من اظهر الاسلام من المنافقين
ويكل سريرته الى الله ويجري عليه حكم الظاهر والايعاقبه بما يعلم من سره ومنها ترك الامام او الحاكم رد السلام
على من احدث حدثا وديباله وزجر الغير به فانه صلى الله عليه وسلم لم يقبل اندر على كعب بل قابل سلامه بتبسم المغضب
ومنها ان التبسم قد يكون عن الغضب كما يكون عن العجب والسرور فان كلا منهما يوجب انبساط دم القلب
وثورانه ولهذا تظهر حمرة الوجه لسرعة فور ان الدم فيه فينشا عن ذلك السرور والغضب تعجب يتبعه ضحك
وتبسم فلا يغتر المغتر بضحك القادر عليه في وجهه ولاسيما عند المعتبة كما قيل ٥ اذا رايت نيوب الليث بارزة ٥
٥ فلا تظن بان الليث مبتسم ٥ ومنها معاتبة الامام والمطاع اصحابه ومن يعز عليه ويكرم عليه فانه عاتب
الثلثة دون سائر من تخلف عنه وقد اكثر الناس في ملح عتاب الاخ لاخيه واستلذاذه والسرور به فكيف بعتاب
احب الخلق على الاطلاق الى المعتوب عليه والله ما كان احلى ذلك العتب وما اعظم ثمرته واجل فائدته ولله در
الثلثة من انواع المسرات وحلاوة الرضى وخلع القبول ومنها توفيق الله لكعب وصاحبيه فيما جاؤا به

من الصدق

من الصدق ولم يخدعهم حتى كذبوا واعتذروا بغير الحق فصلحت عاجلتهم وفسدت عاقبتهم كل الفساد
والصادقون تعبوا في العاجلة بعض التعب فاعقبتهم صلاح العاقبة والفلاح كل الفلاح وعلى هذا قامت
الدنيا والاخرة فمرارة المبادي حلاوة العواقب وحلاوة المبادي مرارة في العواقب وقول النبي صلى الله
عليه وسلم لكعب اما هذا فقد صدق دليل ظاهر في التمثيل بمفهوم القلب عند قيام قرينة تقتضي
تخصيص المذكور بالحكم كقوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا
لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا و
قوله في هذا الحديث اما هذا فقد صدق وهذا مما لا يشك السامع ان المتكلم قصد تخصيصه بالحكم
وقول كعب هل لقي معي هذا احد فقالوا مرارة بن الربيع وهلال بن اميه فيه ان الرجل ينبغي له ان
يتاسى بمن لقي مثل ما لقي وقد ارشد سبحانه عباده الى ذلك بقوله ولا تهنوا
في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وهذا هو الروح
الذي منعه الله سبحانه اهل النار فيها بقوله ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون وقوله
فذكروا الى رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما اسوة هذا الموضع مما عد مزاوهام الزهري فانه لا
يحفظ عن احد من اهل المغازي والسير البتة ذكر هذين الرجلين في اهل بدر لا ابن اسحق ولا موسى بن عقبة
ولا الاموي ولا الواقدي ولا احد ممن عدا اهل بدر وكذلك ينبغي ان لا يكون من اهل بدر فان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يهجر حاطبا ولا اعاقبه وقد حبس عليه وقال لعمر لما هم بقتله وما يدريك ان الله اطلع على
اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وان ذنب التخلف من ذنب الحبس قال ابو الفرج الجوزي
ولم ازل حريصا على كشف ذلك وتحقيقه حتى رايت ابا بكر الاشرم قد ذكر الزهري وذكر حفظه وذكر انه
لا يكاد يحفظ عليه غلط الا في هذا الموضع فانه قال ان مرارة بن الربيع وهلال بن امية شهدا بدرا
وهذا لم يقله احد غيره والغلط لا يعصم منه انسان فصل في نهي النبي صلى الله عليه وسلم
عن كلام هؤلاء الثلثة من بين سائر من تخلف عنه دليل على صدقهم وكذب الباقين فاراد هجر الصادقين
وتاديبهم على هذا الذنب واما المنافقون فجرمهم اعظم من ان يقابل بالهجر وهذا هو المرض لا يعمل في
مرض النفاق ولا فائدة فيه وهكذا يفعل الرب سبحانه بعباده في عقوبات جرائمهم فيؤدب عبده
المؤمن الذي يحبه وهو كريم عنده بادنى هفوة وزلة فلا يزال مستيقظا حذرا واما من سقط من عينه
وهان عليه فانه يخلي بينه وبين معاصيه وكلما احدث ذنبا احدث له نعمة والمغرور يظن ان ذلك من كرامته
عليه ولا يعلم ان ذلك عين الاهانة وانه يريد به العذاب الشديد والعقوبة التي لا عافية معها كما في الحديث

المشهور اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبته في الدنيا واذا اراد الله بعبد شرا امسك عنه عقوبته في الدنيا
فيرد القيمة بذنوبه وفيه دليل ايضا على هجران الامام والعالم المطاع لمن فعل ما يستوجب العتب ويكون
هجرانه دواء له بحيث لا يضعف عن حصول الشفاعة ولا يزيد في الكيفية والكمية عليه فيهلك اذا المراد تاديبه
لا اتلافه وقوله حتى تنكرت لي الارض فما هي بالتي اعرف هذا التنكير يجده الخايف والحزين والمهموم في الارض
وسل الشجر والنبات حتى يجده فيمن لا يعلم حاله من الناس ويجده ايضا المذنب العاصي بحسب جرمه حتى في
خلق زوجته وولده وخادمه ودابته ويجده ايضا في نفسه فتنكر له نفسه حتى ما كانه هو ولا كان اهله واصحابه
ومن يشفق عليه بالذنب يعرفهم وهذا سر من الله لا يخفى الا على من هو ميت القلب وعلى حسب حياة القلوب
يكون ادراك هذا التنكير والوحشة وما الحرج بميت ايلام ومن المعلوم ان هذا التنكر والوحشة كانا لاهل
النفاق اعظم ولكن لموت قلوبهم لم يكونوا يشعرون به وهكذا القلب اذا استحكم مرضه واشتد المه وعظمت
الذنوب والاجرام لم يجد هذه الوحشة والتنكر ولم يحس بها وهذا علامة الشقاوة انه قد ايس من زعافية هذا
المرض واعيا الاطباء شفاؤه والخوف والهم مع الريبة والامن والسرور ورفع البراءة من الذنب كقول القايل
فما في الارض اشجع من بريء ولا في الارض اخوف من مريب وهذا القدر قد ينتفع به المؤمن البصير
اذا ابتلي به ثم راجع نفسه عظيما من وجوه عديدة تفوت الحصر ولم يكن منها الا استشعار من ذلك اعلام
البنوة وذوقة نفس ما اخبر به الرسول فيصير تصديقه ضروريا عنده ويصير ما نالة من الشر بمعاصيه ومن
الخير بطاعته مرادا له تصديقا لبنوة الذوقية التي لا تتطرق اليها الاحتمالات وهذا كمن اخبرك ان في هذا
الطريق من المعاطب والمخاوف كيت وكيت على التفصيل فخالفته وسلكتها فرايت فيها عين ما اخبرك به فانك
تشهد صدقه في نفس خلافك له واذا سلكت طريق الامن وجدها ولم يجد من تلك المخاوف شيئا فانه وان شهد
صدق المخبر بما قاله من الخير والظفر مفصلا فان علمه بتلك يكون مجملا فصل ومنها ان هلال
ابن اميه ومرارة ابن الربيع قعدا في بيوتهما لا يحضران الجماعة وهذا يدل على ان هجران المسلمين للرجل
عذر يبيح له التخلف عن الجماعة او يقال من تمام هجرانه ان لا يحضر جماعة المسلمين لكن يقال فكعب كان
يحضر الجماعة ولم يمنعه النبي صلى الله عليه وسلم ولا عتب عليهما في التخلف وعلى هذا فيقال لما امر
المسلمون بهجرهم تركوا لم يؤمروا ولم ينهوا ولم يكلموا فكان من حضر منهم الجماعة لم يمنع ومن تركها لم يكلم
او يقال لهما ضعفا وعجزا عن الخروج ولهذا قال لكعب وكنت انا اجلد القوم واشبهم فكنت اخرج
فاحضر الصلوة مع المسلمين وقوله واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد
الصلوة فاقول هل حرك شفتيه برد السلام علي ام لا فيه دليل على ان الرد على من يستحق الهجر غير واجب

اذ لو وجب الرد لم يكن بد من استماعه وقوله حتى اذا طال ذلك علي تسورت جدار حايط ابي قتادة
وفيه دليل على جواز دخول الانسان دار صاحبه وجاره اذا علم رضاه بذلك وان لم يستاذنه وفي قول
ابي قتادة الله ورسوله اعلم دليل على ان هذا ليس بخطاب ولا كلام فلو حلف لا يكلمه فقال مثل هذا
الكلام جوابا له لم يحنث ولا سيما اذا لم ينو به مكالمته وهو الظاهر من حال ابي قتادة وفي اشارة الناس
الى النبطي الذي كان يقول من يدل على كعب بن مالك دون نطقهم له تحقيق لمقصوده الهجر والا فلو
قالوا له صريحا اذاك كعب بن مالك لم يكن ذلك كلاما له ولا يكونون به مخالفين للنهي ولكن لفرط
تحريجهم وتمسكهم بالامر لم يذكروا له تصريحا اسمه وقد يقال ان في الحديث عنه بحضرته وهو سميع
نوع مكالمة له ولا سيما اذا جعل ذلك ذريعة الى المقصود بكلامه وهو ذريعة قريبة فالمنع من ذلك
من باب منع الحيل وسد الذرايع وهذا افقه واحسن وفي مكاتبة ملك غسان له بالمصير اليه ابتلاء
من الله تعالى وامتحان لايمانه ومحبته لله ورسوله واظهار للصحابة انه ليس ممن ضعف ايمانه بهجر
النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين له ولا هو ممن يحمله الرغبة في الجاه والمال والملك مع هجران الرسول
والمومنين له على مفارقة دينه وهذا فيه من تبرية الله له من النفاق واظهار قوة ايمانه وصدقه لرسوله
وللمسلمين ما هو من تمام نعمة الله عليه ولطفه به وجبره لكسره وهذا دليل يطهر لب الرجل وسره وما
ينطوي عليه فهو كالكير الذي يخرج الخبث من الطيب وقوله فتيممت بالصحيفة التنور فيه من المبادرة
الى الاتلاف ما يخشى فيه الفساد والمضرة في الدين وان الحازم لا ينتظر به ولا يؤخره وهذا كالعصير
اذا تخمر وكالكتاب الذي يخشى منه الضرر والشر فالحزم المبادرة الى اتلافه واعدامه وكانت غسان
اذ ذاك وهم ملوك عرب الشام حرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يغلون خيلهم لمحاربته وكان
هذا مما بعث شجاع بن وهب الاسدي الى ملكهم الحارث بن ابي شمر الغساني يدعوه الى الاسلام وكتب بعثه اليه
قال شجاع فانتهيت اليه وهو بغوطة دمشق وهو مشغول بتهيئة الانزال والالطاف لقيصر وهو جاء
من حمص الى ايليا فاقمت على بابه يومين او ثلثة فقلت لحاجبه اني رسول رسول الله اليه فقال لا تصل اليه حتى
تخرج يوم كذا وكذا وجعل حاجبه وكان روميا اسمه مري يسالني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت
احدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ادعوا اليه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول اني قرات الانجيل
فاجد فيه صفة هذا النبي بعينه فانا اومن به واصدقه فاخاف من الحارث ان يقتلني وكان يكرمني
ويحسن ضيافتي وخرج الحارث يوما فجلس ووضع التاج على راسه فاذن لي عليه فدفعت اليه
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراءه ثم رمى به وقال من ينتزع مني ملكي وقال انا سائر اليه ولو كان

باليمن جئته علي بالناس فلم يزل يعترض حتى قام وامر بالخيول تنعل ثم اخبر صاحبك بما ترى وكتب الى
قيصر يخبره خبره وما عزم عليه فكتب اليه قيصر ان لا تغير ولا تشد عليه والزعنه وأتني بايليا فلما جا
جواب كتابه دعاني فقال متى تريدان تخرج الى صاحبك فقلت غدا فامر لي بمائة مثقال ذهبا ووصلني
حاجبه بنفقة وكسوة وقال اقرء رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام فقدمت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبرته فقال باد ملكه واقرأته من جاجبه السلام واخبرته بما قال فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم صدق ومات الحرث بن ابي شمر عام الفتح ففي هذه المدة ارسل ملك غسان يدعوا كعبا الى
اللحاق به فابت له سابقة الحسنى ان يرغب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه **فصل**
وفي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الثلثة ان يعتزلوا نساءهم لما مضى لهم اربعون ليلة
كالاشارة لمقدمات الفرج والفتح من وجهين احدهما كلامه لهم واسالهم اليه بعد ان كان لا يكلمهم
بنفسه ولا برسوله الثاني من خصوصية امرهم باعتزال النساء وفيه تنبيه وارشاد لهم الى الجد والاجتهاد
في العبادة وشد الميزر واعتزال محل اللهو واللذة والتفرغ عند بالاقبال الى العبادة وفي هذا ايذان
بقرب الفرج وانه قد بقي من العتب امر يسير وفقه هذه القصة ان زمن العبادات ينبغي فيه
تجنب النساء كزمن الاحرام وزمن الاعتكاف وزمن الصيام فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون
اخر هذه المدة في حق هؤلاء بمنزلة ايام الاحرام والصيام في تفرغها على العبادة ولم يامرهم بذلك من
اول المدة رحمة بهم وشفقة عليهم اذ لعلهم يضعف صبرهم عن نسائهم في جميعها وكان من اللطف
بهم والرحمة ان امر وابذلك في اخر المدة كما يؤمر بالحاج من حين يحرم الا من حين يعزم على الحج وقول
كعب لامراته الحقي باهلك دليل على انه لا يقع بهذه وامثالها طلاق ما لم ينو والصحيح ان لفظ الطلاق
والعتاق والحرية كذلك اذا اراد به غير تبيينة الزوجة واخراج الرقيق عن ملكه لا يقع به طلاق ولا عتق
هذا هو الصواب الذي ندين الله به ولا يرتاب فيه البتة فاذا قيل لك ان غلامك فاجر او
جاريتك تزني فقال ليس كذلك بل هو غلام عفيف حر وجارية عفيفة حرة ولم يرد بذلك حرية العتق
وانما اراد حرية العفة فان جاريته وعبده لا يعتقان بهذا ابدا وكذلك اذا قيل له كم لغلامك
عندك سنة فقال هو عتيق عندي واراد قدم ملكه له لم يعتق بذلك وكذلك اذا ضرب امراته الطلق
فسئل عنها فقال هي طالق ولم يخطر بقلبه ايقاع الطلاق وانما اراد انها في طلق الولادة لم تطلق بهذا
وليست هذه الالفاظ مع هذه القرائن صريحة الا فيما اريد بها ودل السياق عليها فدعوا انها صريحة
في الطلاق والعتاق مع هذه القرائن مكابرة ودعوا باطلة قطعا **فصل** وفي سجود كعب

حين سمع

حين سمع صوت المبشر دليل ظاهر ان تلك كانت عادة الصحابة وهي سجود الشكر عند النعم المتجددة والنقم
المندفعة وقد سجد ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما جاءه قتل مسيلمة الكذاب وسجد علي بن ابي طالب حين وجد ذا الثدية
مقتولا في الخوارج وسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بشره جبريل ان من صلى عليه مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا
وسجد حين شفع لامته فشفعه الله فيهم ثلث مرات واتاه بشير فبشره بظفر جنده على عدوهم وراسه في حجر عائشة
فقام فخر ساجدا وقال ابو بكر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه امر يسر خر لله ساجدا وهي اثار صحاح لا مطعن
فيها وفي استباق صاحب القرس والراقي على سلع ليبشر كعبا دليل على حرص القوم على الخير واستباقهم اليه ومنافستهم
في سرعة بعضهم بعضا وفي نزع كعب ثوبيه واعطائهما البشير دليل على ان اعطاء المبشرين من مكارم الاخلاق والشيم
وعادة الاشراف وقد اعتق العباس غلاما لما بشره ان عند الحجاج بن علاط من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يسره وفيه دليل على اعطاء البشير جميع ثيابه وفيه دليل على استحباب تهنئة من تجدد له نعمة دينية والقيام
اليه اذا اقبل ومصافحته فهذا سنة مستحبة وهو جائز لمن تجددت له نعمة دنيوية وان الاولى ان يقال له بنعم
ما اعطاك الله وما من الله به عليك ونحو هذا الكلام فان فيه تولية النعمة ربها والدعا لمن نالها بالتهنئة بها
وفيه دليل على ان خير ايام العبد على الاطلاق وافضلها يوم توبته الى الله وقبول الله توبته لقوله صلى الله عليه وسلم
ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك فان قيل فكيف يكون هذا اليوم خير من يوم اسلامه
قيل هو مكمل ليوم اسلامه ومتمم له ويوم اسلامه بداية سعادته ويوم توبته كمالها وتمامها والله
المستعان وفي سرور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرحه واستبشاره وتهجمه دليل على ما جعل الله
فيه من كمال الشفقة على الامة والرحمة لهم والرافة حتى لعل فرحه كان اعظم من فرح كعب وصاحبيه
وقول كعب يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي دليل على استحباب الصدقة عند التوبة بما قدر
عليه من المال وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك فهو خير لك دليل على ان
من نذر الصدقة بكل ماله لم يلزمه اخراج جميعه بل يجوز له ان يبقي منه بقية وقد اختلف الرواية في ذلك
ففي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امسك عليك بعض مالك ولم يعين له قدرا بل اطلق البعض
وكله الى اجتهاده في قدر الكفاية وهذا هو الصحيح فان ما نقص من كفايته وكفاية اهله لا يجوز
التصدق به فنذره لا يكون طاعة فلا يجب الوفاء به وما زاد على قدر كفايته وحاجته فاخراجه
والصدقة به افضل فيجب اخراجه اذا نذره فهذا قياس المذهب ومقتضى قواعد الشريعة
ولهذا تقدم كفاية الرجل وكفاية اهله على اداء الواجبات المالية سواء كان حقا لله كالكفارات والحج
او حقا للآدميين كالديون فانها تترك للمفلس ما لا بد منه من مسكن وخادم وكسوة والحرفة

وما يتجر به لمؤنته ان فقدت الحرفة ويكون سهم الغرماء فيما بقي وقد نص الامام احمد على ان من نذر الصدقة
بماله كله اجزاه الثلث واحتج له اصحابه بما روي في قصة كعب هذا انه قال يا رسول الله ان من توبتي الى الله و
رسوله ان اخرج من مالي كله الى الله ورسوله صدقة قال لا قلت فنصفه قال لا قلت فثلثه قال نعم قلت
فاني امسك سهمي من خيبر رواه ابو داود وفي ثبوت هذا ما فيه فان الصحيح في قصة كعب هذه ما رواه
اصحاب الصحيح من حديث الزهري عن ولد كعب بن مالك عنه انه قال امسك عليك بعض مالك من غير
تعيين لقدره وهم اعلم بالقصة من غيرهم فالظاهر نقلوها عن والده فان قيل فما تقولون فيما رواه
الامام احمد في مسنده ان ابا لبابة بن المنذر لما تاب الله عليه قال يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر دار
قومي واسا كنك وان انخلع من مالي صدقة لله عز وجل ولرسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجزي عنك الثلث قيل هذا هو الذي احتج به احمد لا بحديث كعب فانه قال في رواية ابنه عبد الله
اذا نذر ان يتصدق بماله كله او ببعضه وعليه دين كثير اكثر مما يملك فالذي اذهب اليه انه يجزيه من
ذلك الثلث لان النبي صلى الله عليه وسلم امر ابا لبابة بالثلث واحمد اعلم بالحديث ان يحتج بحديث كعب
هذا الذي فيه ذكر الثلث اذ المحفوظ في هذا الحديث امسك عليك بعض مالك وكان احمد راى
تقييد اطلاق حديث كعب هذا بحديث ابي لبابة وقوله فمن نذر ان يتصدق بماله كله او ببعضه وعليه
دين يستغرقه فانه يجزيه من ذلك الثلث دليل على انعقاد نذره وعليه دين يستغرق بعض ماله
ثم اذا قضى الدين اخرج مقدار ثلث ماله يوم النذر وهكذا قال في رواية ابنه عبد الله اذا ذهب ماله
وقضى دينه واستفاد غيره فانما يجب عليه اخراج ثلث ماله يوم حنثه يريد يوم حنثه نذره
فينظر قدر الثلث ذلك اليوم فيخرجه بعد ما قضى دينه وقوله او ببعضه يريد به اذا نذر الصدقة
بمعين او بمقدر كالف ونحوها فيجزيه ثلثه كنذر الصدقة بجميع ماله والصحيح من مذهبه لزوم الصدقة
بجميع المعين وفيه رواية اخرى ان المعين اذا كان ثلث ماله فما دون لزمه الصدقة بجميعه وان زاد
على الثلث لزمه بقدر الثلث وهي اصح عند ابي البركات وبعد فان الحديث ليس فيه دليل على انه جعل
ابا لبابة نذر نذرا منجزا وانما قال ان من توبتي ان انخلع من اموالنا وهذا ليس بصريح في النذر
وانما فيه العزم على الصدقة باموالهما شكرا لله على قبول توبتهما فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان بعض
المال يجزي من ذلك ولا يحتاج ان الى اخراجه كله وهذا كما قال لسعد وقد استاذنه ان يوصي بماله
كله فاذن له في قدر الثلث فان قيل هذا يدفعه امران احدهما قوله يجزيك فالاجزاء انما
استعمل في الواجب والثاني ان منعه من الصدقة بما زاد على الثلث دليل على انه ليس بقربة

اذا الشارع

اذا الشارع لا يمنع من القرب ونذر ما ليس بقربة لا يلزم الوفاء به فان قيل اما قوله يجزيك فهو بمعنى
يكفيك فهو من الرباعي وليس من خ ا ع عند اذا قضى عنه يقال اجزاني اذا كفاني وجزاء بمعنى وهذا هو الذي
يستعمل في الواجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لابي بردة في الاضحية تجزي ولن تجزي عن احد بعدك
والكفاية تستعمل في الواجب والمستحب واما منعه من الصدقة بما زاد على الثلث فهو اشارة منه عليه
بالارفق به وما يحصل له به منفعة دينه ودنياه فانه لو كلف من اخراج ماله كله لم يصبر على الفقر و
العدم كما فعل بالذي جاءه بالصرة ليتصدق بها فضرب بها ولم يقبلها منه خوفا عليه من الفقر وعدم
الصبر وقد يقال وهو ارجح ان شاء الله ان النبي صلى الله عليه وسلم عامل كل واحد ممن اراد الصدقة
بماله بما يعلم من حاله فمكن ابا بكر الصديق من اخراج ماله كله وقال ما ابقيت لاهلك فقال ابقيت
لهم الله ورسوله فلم ينكر عليه واقر عمر على الصدقة بشطر ماله ومنع صاحب الصرة من التصدق بها
وقال لكعب امسك عليك بعض مالك وهذا ليس فيه تعيين المخرج بانه الثلث ويبعد جدا
بان يكون الممسك ضعفي المخرج في هذا اللفظ وقال لابي لبابة يجزيك الثلث فلا تناقض بين
هذه الاخبار وعلى هذا فمن نذر الصدقة بماله كله امسك عنه ما يحتاج اليه هو واهله ولا يحتاجون
معه الى سؤال الناس مدة حياتهم من راس مال او عقار او ارض تقوم غلتها بكفايتهم ويتصدق
بالباقي والله اعلم وقال ربيعة بن عبد الرحمن يتصدق منه بقدر الزكاة ويمسك الباقي وقال
جابر بن زيد ان كان الفين فاكثر اخرج عشره وان كان الفا فما دون اخرج سبعه وان كان
خمسمائة فما دون فخمسه وقال ابو حنيفه يتصدق بكل ماله الذي يجب فيه الزكاة وما لا تجب
فيه الزكاة ففيه روايتان احدهما تجزيه والثانية لا يلزمه منه شيء وقال الشافعي يلزمه
الصدقة بماله كله وقال مالك والزهري واحمد يتصدق بثلثه وقالت طائفة يلزمه كفارة
يمين فقط

فصل

ومنها عظم مقدار الصدق وتعليق سعادة الدنيا والاخرة
والنجاة من شرهما به فما نجا الا من انجاه الا بالصدق ولا اهلك من اهلك الا بالكذب وقد امر الله
عباده المؤمنين ان يكونوا مع الصادقين فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
وقد قسم سبحانه الخلق الى قسمين سعدا واشقيا فجعل السعداء اهل الصدق والتصديق
والاشقياء اهل الكذب والتكذيب وهو تقسيم حاصر مطرد منعكس فالسعادة دائرة
مع الصدق والتصديق والشقاوة دائرة مع الكذب والتكذيب واخبر سبحانه وتعالى انه لا
ينفع العباد يوم القيمة الا صدقهم وجعل علم المنافقين الذي يميزهم وابرهو الكذب في اقوالهم

وافعالهم فجميع ما نفاه اصله الكذب في القول والفعل فالصدق بريد الايمان ودليله ومركبه
وسايقه وقائده وحليته ولباسه بل هو لبه وروحه والكذب بريد الكفر والنفاق ودليل ذلك
ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه ولبه فمضادة الكذب للايمان كمضادة الشرك للتوحيد
فلا يجتمع الكذب والايمان الا ويطرد احدهما صاحبه ويستقر موضعه والله سبحانه نجى الثلثة بصدقهم
واهلك غيرهم من المتخلفين بكذبهم فما انعم الله على عبد بعد الاسلام بنعمة افضل من الصدق الذى
هو عذ الاسلام وحيوته ولا ابتلاه ببلية اعظم من الكذب الذى هو قرض الاسلام وفساده
والله المستعان وقوله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة
العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم هذا من اعظم
ما يعرف العبد قدر التوبة وفضلها عند الله وانها غاية كمال المؤمن فان سبحانه اعطاهم هذا الكمال
بعد اخذ العدة والعتاد بعد ان قضوا نحبهم وبذلوا انفسهم واموالهم وديارهم لله وكان غاية امرهم
ان تاب الله عليهم ولهذا جعل النبى صلى الله عليه وسلم يوم توبة كعب خير يوم مر عليه منذ ولدته
امه الى ذلك اليوم ولا يعرف هذا حق معرفته الا من عرف الله وعرف حقوقه عليه وعرف ما ينبغى
لرمن عبوديته وعرف نفسه وصفاتها وافعالها وان الذى قام به من العبودية بالنسبة الى حق
ربه عليه كقطرة فى بحر هذا اذا سلم من الآفات الظاهرة والباطنة فسبحان من لا يسع عباده
غير عفوه ومغفرته وتعمده لهم برحمته وليس الا ذلك او الهلاك فان وضع عليهم عدله تعذب
اهل سمواته وارضه عذابهم وهو غير ظالم لهم وان رحمهم فرحمته خير لهم من اعمالهم ولا ينجى
احدا عمله منهم **فصل** وتامل تكريره سبحانه توبته عليهم مرتين فى اول الآية واخرها
فانه تاب عليهم اولا بتوفيقهم للتوبة فلما تابوا تاب عليهم ثانيا بقبولها منهم وهو الذى وفقهم
لفعلها وتفضل عليهم بقبولها فالخير كله منه وبه وله وفى يده يعطيه من يشاء تفضلا واحسانا
ويحرمه من يشاء حكمة وعدلا **فصل** وفى قوله تعالى وعلى الثلثة الذين خلفوا قد فسر
كعب بالصواب وهو انهم خلفوا من بين من حلف لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه من المخلفين
وخلف هؤلاء الثلثة عنهم وارجئ امرهم دونهم وليس ذلك تخليفهم عن الغزو لانه لو اراد ذلك
لقال تخلفوا كما قال تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه بخلاف تخليفهم عن امر المخلفين سواهم فان الله سبحانه هو الذى
خلفهم عنهم ولم يتخلفوا فيه بانفسهم والله اعلم **فصل** فى حجة ابى بكر الصديق رضى الله عنه

سنة تسع

سنة تسع بعد مقدمه من تبوك قال ابن اسحاق ثم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منصرفه
من تبوك بقية رمضان وشوال وذا القعدة ثم بعث ابا بكر اميرا على الحج سنة تسع ليقيم للمؤمنين
حجهم والناس من اهل الشرك على منازلهم من حجهم فخرج ابو بكر والمؤمنون قال ابن سعد فخرج
فى ثلثمائة رجل من المدينة وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرين بدنة قلدها واشعرها
بيده عليها ناجية بن جندب الاسلمى وساق ابو بكر خمس بدنات قال ابن اسحق فنزلت براءة
فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه فخرج على
بن ابى طالب رضى الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء قال ابن سعد فلما كان بالعرج
وبن عايذ يقول بضجنان لقيه على بن ابى طالب على العضباء فلما رآه ابو بكر قال له اميرا او مامورا قال لا
بل مامور ثم مضيا وقال ابن سعد فقال له ابو بكر استعملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج قال لا
ولكن بعثنى اقرا براءة على الناس وانبذ الى كل ذى عهد عهده فاقام ابو بكر للناس حجهم حتى اذا
كان يوم النحر قام على بن ابى طالب فاذن فى الناس عند الجمرة بالذى امره رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبنبذ الى كل ذى عهد عهده وقال ايها الناس لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الى مدته وقال الحميدى ثنا
سفيان قال حدثنى ابو اسحق الهمدانى عن زيد بن يثيع قال سئلنا عليا باى شئ بعثت فى الحجة
قال بعثت باربع لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع كافر ومؤمن فى
المسجد بعد عامه هذا ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته
ومن لم يكن له عهد فاجله الى اربعة اشهر وفى الصحيحين عن ابى هريرة قال بعثنى ابو بكر فى
تلك الحجة فى مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى ان لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان ثم اردف النبى صلى الله عليه وسلم بعلى بن ابى طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال
فاذن معنا علي فى اهل منى يوم النحر ببراءة وان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
وفى هذه القصة دليل على ان يوم الحج الاكبر يوم النحر وقد اختلف فى حجة الصديق هذه هل
هى التى اسقطت الفرض او المسقطة هى حجة الوداع مع النبى صلى الله عليه وسلم على قولين اصحهما
الثانى والقولان مبنيان على اصلين احدهما هل كان الحج فرض قبل عام حجة الوداع ام لا والثانى
هل كانت حجة الصديق فى ذى الحجة ام وقعت فى ذى القعدة فى اجل النسيء الذى كان الجاهلية

يؤخرون له الاشهر ويقدمونها على قولين والثاني قول مجاهد وغيره وعلى هذا فلم يؤخر النبي
صلى الله عليه وسلم الحج بعد فرضه عاما واحدا بل بادر الى الامتثال في العام الذي فرض فيه وهذا
هو الصحيح الاليق بهديه وحاله صلى الله عليه وسلم وليس بيد مدعا تقدم فرض الحج سنة ست
او سبع او ثمان او تسع دليل واحد وغاية ما احتج به من قال فرض سنة ست قوله تعالى
واتموا الحج والعمرة لله وهي نزلت بالحديبية سنة ست وهذا ليس فيه ابتدا فرض الحج وانما فيه
الامر باتمامه اذا شرع فيه فاين هذا من وجوب ابتدائه واية فرض الحج هي قوله تعالى ولله على
الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وهي نزلت عام الوفود اواخر سنة تسع من الهجرة

مكتبة الشيخ عبد القادر
www.alabdulgader.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في قدوم وفود العرب

وغيرهم على النبي صلى الله عليه وسلم فمقدم عليه وفد ثقيف وقد تقدم مع سياق غزوة الطايف قال موسى بن عقبة واقام ابوبكر للناس محجهم وقدم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرجع الى قومه فذكر نحو ما تقدم وقال فقدم وفدهم وفيهم كنانة بن عبد ياليل وهو راسهم يومئذ وفيهم عثمان بن ابي العاص وهو اصغر الوفد فقال المغيرة بن شعبه يارسول الله ان لي قومي علي اكرمهم فاني حديث الحج فيهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا امنعك ان تكرم قومك ولكن تنزلهم حيث يستمعون القرآن وكان من حرج المغيرة في قومه انه كان اجير الثقيف وانهم اقبلوا من مضر حتى اذا كانوا ببعض الطريق عدا عليهم وهم نيام فقتلهم ثم اقبل باموالهم حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فقد قبلنا واما المال فلا نقربه وليس من مروءة الاسلام في شيء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ثقف في المسجد وبنى لهم حياما لكي يستمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب لا ينكر نفسه فلما اسمعه وفد ثقيف قالوا يا مرنا ان نشهد انه رسول الله ولا يشهد به في خطبته فلما بلغه قولهم قال نعم اول من شهد اني رسول الله وكانوا يغدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم و يخلفون عثمان بن ابي العاص على رحالهم لانه كان اصغرهم فكان عثمان كلما رجع الوفد اليه وقالوا له ما جوة عمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الدين واستقراه القرآن فاختلف اليه عثمان مرارا حتى فقه في الدين وعلم وكان اذا وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما عمد الى ابي بكر وكان يكتم ذلك من اصحابه فاعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واحبه فلما كان الوفد يختلفون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم الى الاسلام فاسلموا فقال كنانة بن عبد ياليل هل انت مقاتلي حتى نرجع الى قومنا فقال نعم ان انتم اقررتم بالاسلام قاضيكم والا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم قالوا افرأيت الزنا فانا قوم نغترب فلا بد لنا منه قال هو عليكم حرام ان الله عز وجل يقول ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا قالوا افرأيت الربا فانا قوم نغترب نبيع اموالنا كلها فما لكم رؤس اموالكم ان الله يقول يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين قالوا افرأيت الخمر فانها عصير اهلنا ولا بد لنا منها قال ان الله قد حرمها وقال يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فارتفع القوم فجعلا بعضهم ببعض فقالوا ويحكم انا نخاف ان خالفناه يوما كيوم مكة انطلقوا فكابته على ما سالنا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نعم لك ما سالت ارايت الربة ما ذا نصنع فيها قال اهدموها قالوا هيهات لو تعلم الربة انك تريد هدمها قتلت اهلها فقال عمر بن الخطاب ويحك يا ابن عبد ياليل ما اجهلك

انما الربة حجر فقال انا لم نأتك يا ابن الخطاب فقالوا يا رسول الله تولى انت هدمها فانا لا نهدمها قال فسابعث اليكم من يكفيكم هدمها فكانبوه فقال كنانة بن عبد ياليل ائذن لنا قبل رسلك ثم ابعث في اثارنا فانا العلم بقومنا فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكرموهم وجباهم وقالوا يا رسول الله امر علينا رجلا يؤمنا فامر عليهم عثمان بن ابي العاص لما رأى من حرصه على الاسلام وكان قد تعلم سور من القرآن قبل ان يخرج فقال كنانة بن عبد ياليل انا اعلم الناس بثقيف فاكتموهم القضية وخوفوهم بالحرب والقتال واخبروهم ان محمدا سالنا امورا ابيناها عليه سالنا ان نهدم اللات والعزى وان نحرم الخمر والزنا وان نبطل اموالنا في الربا فخرجت ثقيف حتى دنى منهم الوفد يتلقونهم فلما راوهم قد سارعوا العنق وقطروا الابل وتقشوا ثيابهم كهيئة القوم الذين قد حزنوا وكربوا ولم يرجعوا بخير فقال بعضهم لبعض ما جاء وفدكم بخير ولا رجعوا ورجل الوفد فقصدوا اللات وترك واعندها واللات وثن بين ظهري الطائف ينسبون له كما يهدى لبيت الله الحرام فقال ناس من ثقيف حين نظر الوفد اليها انهم لا عهد لهم بروية بها ثم رحل كل واحد منهم الى اهله وجاء كلامنهم خاصته من ثقيف فسالوهم ما ذا جيئتم به وما رجعتم به قالوا اتينا رجلا فظا غليظا يأخذ من امرهم ما يشاء قد ظهر بالسيف وداخ له العرب ودان له الناس فعرض علينا امورا شدادا هدم اللات والعزى وترك الاموال في الربا الا رؤس اموالكم وحرم الخمر والزنا فقالت ثقيف والله لا نقبل هذا ابدا فقال الوفد اصلحوا السلاح وتهيؤا للقتال وتقبوا الرماح وصاحصكم فلكت ثقيف بذلك يومين او ثلاثة يريدون زعموا القتال ثم القى الله عز وجل في قلوبهم الرعب وقالوا والله ما لنا طاقة به وقد داخت له العرب كلها فارجعوا اليه فاعطوه ما سال وصالحوه عليه فلما سار الوفد انهم قد نزعوا واختاروا الامان على الخوف قال الوفد انا قد قاضيناه واعطيناه ما احببنا وشرطنا ما اردنا ووجدناه اتقى الناس واوفاهم وارحمهم واصدقهم وقد بعث لنا واليكم في مسيرنا اليه وفيما قاضيناه عليه فاقبلوا عافية الله فقالت ثقيف فلم تكتموا هذا الحديث وتمتنوا اشد الغم فقالوا لا نريد ان ينزع الله من قلوبكم بخوة الشيطان فاسلموا مكانهم ومكثوا اياما ثم قدم عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عليهم خالد بن الوليد وفيهم المغيرة بن شعبه فلما قدموا عمدوا الى اللات ليهدموها وتالبت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من الخدار لا ترى عامة ثقيف انه يهدمها ويظنون انها ممتنعة فقام المغيرة بن شعبة فاخذ الكوز بن وقال لاصحابه والله لاضحكنكم من ثقيف وضرب بالكوز بن ثم سقط يركض فارتج اهل الطائف بصيحة واحدة وقالوا بعد الله المغيرة قتلته الربة وفرحوا حين راوه ساقطا وقالوا لئن شاء منكم فليقرب وليجتهد على هدمها فوالله لا يستطاع فوثب المغيرة بن شعبة فقال قبحكم الله يا معشر ثقيف انما هي لكاع حجرة وحمر فاقبلوا عافية الله واعبدوه ثم ضرب الباب فكسره ثم علا سورها وعلى الرجال معه فاز الوا يهدمونها حجرا حجرا حتى سووها ارضا وجعل صاحب المفتاح يقول لا يغضبن الاساس فليخفرنهم

فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد عني اصغر اساسها فحفر واحتى اخرج جواتن لها وانتزعها عليها وثيابها
فبعثت ثقيف فقالت عجوز منهم اسلمها الرضاع وتركوا المصاع واقبل الوفد حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحليها وكسوتها فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه وحمد الله على نصرة نبيه واعز دينه وقد
تقدم انه اعطى ابا سفيان بن حرب لفقاء موسى بن عقبة وزعم بن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم قدم
من تبوك في رمضان وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف وروينا في سنن ابي داود عن جابر قال
اشترطت ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم ان لا صدقة عليها ولا جهاد فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك سيصدقون ويجاهدون اذا اسلموا وروينا في مسند ابي داود الطيالسي عن عثمان بن ابي
العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يجعل مسجد الطائف حيث كانت طاغيتهم وفي مغازي المعتمر بن سليمان
قال سمعت عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي يحدث عن عمه عمرو بن اوس عن عثمان بن ابي العاص قال
استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اصغر السنة الذين وفدوا من ثقيف وذلك اني كنت قرأت
سورة البقرة فقلت يا رسول الله ان القرآن يتفلت مني فوضع يده على صدري وقال يا شيطان اخرج من
صدر عثمان فما شيت شيئا بعده ان يحفظه وفي صحيح مسلم عن عثمان بن ابي العاص قلت يا رسول الله
ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا
احسسته فتعوذ بالله منه وانفث عن يسارك ثلاثا قال ففعلت فاذهبه الله عني **فصل**
وفي قصة هذا الوفد من الفقه ان الرجل من اهل الحرب اذا غدر بقومه واخذ اموالهم ثم قدم مسلما لم
يتعرض له الامام ولا ما اخذه من المال ولا يضمن ما اتلف قبل مجيئه من نفس ولا مال كما لم يتعرض النبي صلى الله
عليه وسلم لما اخذه المغيرة من اموال الثقفيين ولا ضمن ما اتلفه عليهم وقال اما الاسلام فاقبل واما
المال فليست منه في شيء ومنها جواز انزال المشركين في المسجد ولا سيما اذا كان يرجى اسلامهم و
تمكينهم من سماع القرآن ومشاهدة اهل الاسلام وعبادتهم ومنها حسن سياسة الوفد وتلطفهم
حتى تمكنوا من تبليغ ثقيف ما قصدوا به فتصوروا لهم بصورة المنكر لما يكرهونه للموافقة لهم فيما يهوونه
حتى ركنوا اليه واطمأنوا فلما علموا انهم ليس لهم بد من الدخول في دعوة الاسلام اذعنوا فاعلمهم الوفد
انهم بذلك قد جاءوهم ولو فاجؤوهم به من اول وهلة لما اقروا به ولا اذعنوا وهذا من حسن
الدعة وتمام التبليغ ولا يتأتى الا مع اكياس الناس وعقلائهم ومنها ان المستحق لامرة القوم و
امامتهم افضلهم واعلمهم بكتاب الله وافقههم في دينه ومنها هدم مواضع الشرك التي تتخذ بيوتا
للطواغيت وهدمها احب الى الله ورسوله وانفع للاسلام والمسلمين من هدم الحانات والمواخير
وهذا حال المشاهد المبنية على القبور التي تعبد من دون الله ويشرك عبادها بها مع انه لا يحل
ابقاؤها في الاسلام ويجب هدمها ولا يصح وقفها ولا الوقف عليها وللامام ان يقطعها او وقافها

لمجد الاسلام

لمجد الاسلام ويستعين به على مصالح المسلمين وكذلك ما فيها من الامات والمتاع والنذور التي تساق
اليها ايضا هي بها الهدايا التي تساق الى البيت الحرام للامام ان يأخذها كلها ويصرفها في مصالح المسلمين
كما اخذ النبي صلى الله عليه وسلم اموال بيوت هذه الطواغيت وصرفها في مصالح الاسلام وكان يفعل عندها
ما يفعل عند هذه المشاهد سواء من النذور لها والتبرك بها والتمسح بها وتقبيلها واستلامها هذا
كان شرك القوم بها ولم يكونوا يعتقدون انها خلقت السموات والارض بل كان شركهم بها شرك اهل
الشرك من ارباب المشاهد بعينه ومنها استحباب اتخاذ المساجد مكان بيوت الطواغيت فيعبد الله
وحده لا يشرك به شيء في الامكنة التي كان يشرك به فيها وهكذا الواجب ومثل هذه المشاهد تهدم وتجعل
مساجد لمن احتاج اليها المسلمون والاقطعها الامام هي واوقافها للمقاتلة وغيرهم ومنها ان العبد اذا
تعوذ بالله من الشيطان وتفل عن يساره لم يضره ذلك ولا يقطع صلاته بل هذه من تمامها وكمالها
والله اعلم **فصل** قال ابن اسحق ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
وفرغ من تبوك واسلمت ثقيف وبايعت هزبت اليه وفود العرب من كل وجه يبايعون في دين الله افواجا
يضربون اليه من كل وجه **فصل** وقد تقدم ذكر وفد بني تميم ووفد طي وقد مر ذكر
وفد بني عامر ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على عامر بن الطفيل وكفاية الله له شره وشر اربد بن قيس بعد
ان عصم منهما نبيه صلى الله عليه وسلم وروينا في كتاب الدلائل للبيهقي عن يزيد بن عبد الله بن العلا
قال وفد بني في وفد بني عامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انت سيدنا وذو الطول علينا فقال
سودوا غيري قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان السيد الله وروينا عن ابن اسحق لما قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر عامر بن الطفيل واربد بن قيس وخالد بن جعفر وحسان بن سالم
بن مالك وكان هذا النفر رءساء القوم وشياطينهم فقدم عدو الله عامر بن الطفيل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يريد ان يغدر به فقال له قومه يا عامر ان الناس قد اسلموا فقال والله لكنت اليت
ان لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي فانا اتبع عقب هذا الحي من قريش ثم قال لاربد اذا قدمنا على الرجل
فاني سأشغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه و
قال عامر يا محمد خالني قال لا حتى تؤمن بالله وحده فقال يا محمد خالني فقال لا حتى تؤمن بالله وحده لا
شريك له فلما ابى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما والله لاملئنها عليك خيلا ورجالا فلما
ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني عامر بن الطفيل فلما خرجوا من عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال عامر لاربد ويحك يا اربد اين ما كنت امرتك به والله ما كان على وجه الارض رجل
اخوف عندي على نفسي منك وايم الله لا اخافك بعد اليوم ابدا فقال لا بالك لا تعجل علي فوالله ما هممت با
لذي امرتني به الا دخلت انت بيني وبين الرجل افاضربك بالسيف ثم خرجوا راجعين الى بلادهم

حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عز وجل على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله
في بيت امرأة من بني سلول ثم خرج اصحابه حتى وردوا ارض بني عامر فاتاهم قومهم فقالوا
ما ورائك يا اربد قال لقد دعاني الى عبادة شيء لو دنت انه عندي فارميه بنبلي هذه حتى اقتله فخرج بعد مقامه
ثلثة ايام او يومين بعد جمل يبعره فارسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فاحرقتهما وكان اربد اخا لبيد بن ربيعة
لامه فبكاه ورثاه وفي صحيح البخاري ان عامر اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اختر لك بين ثلاث خصال
يكون لك اهل الوبر ولي اهل المدر او اكون خليفة من بعدك او اغزوك بغطفان بالف اشقر والف
شقراء فطعن في بيت امرأة فقال اغدة كغدة البكر في بيت امرأة من بني فلان ائتوني بفرسي فركب فمات
على ظهر فرسه

فصل في قدوم وفد عبد القيس

في الصحيحين من حديث ابن عباس ان وفد عبد القيس قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من القوم
او من الوفد قالوا ربيعة قال مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا يا رسول الله انا بيننا وبينك هذا
الحي من مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام فمرنا بامر فصل نأخذ به ونأمر به من وراءنا وندخل به الجنة
فقال امركم باربع وانهاكم عن اربع امركم بالايمان بالله وحده اتدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا
اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس
وانهاكم عن اربع عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت فاحفظوهن وادعوا الذين وراءكم ان آمنوا بهن قالوا
يا رسول الله ما علمك بالنقير قال بلى جذع تنقرونه ثم تلقون فيه من التمر ثم تصبون عليه الماء حتى يغلي فاذا
غلى شربتموه فعسى احدكم ان يضرب ابن عمه بالسيف وفي القوم رجل به هذه قال وكنت احنأ وعاء لها حياء
من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فيم نشرب يا رسول الله قال اشربوا في اسقية الادم التي تلاث
على افواهها قالوا يا رسول الله ان ارضنا كثيرة الجرذان لا تبقى فيها اسقية الادم قال وان اكلها الجرذان مرتين
او ثلاثا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس ان فيك خصلتان
يحبهما الله الحلم والاناة قال يا رسول الله اتخلقت بهما او جبلني الله عليهما
قال بل جبلك الله عليهما قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله
وكان نصرانيا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد عبد القيس فقال يا رسول الله اني على دين واني
تارك ديني لدينك فتضمن لي ما فيه قال انا ضامن بذلك الذي تدعو اليه خير من الذي كنت عليه
فاسلم واسلم اصحابه ثم قال يا رسول الله احملنا قال والله ما عندي
ما احملكم عليه فقال يا رسول الله انا بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس فتبلغ
عليها قال لا تلك حرق النار

فصل

في هذه القصة ان الايمان بالله هو مجموع
هذه الخصال من القول والعمل كما على ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون و
تابعوهم كذلك كلهم ذكره الشافعي في البسيط وعلى ذلك ما يقارب مائة دليل من الكتاب والسنة

وفيها

وفيها انه لم يعد الحج من هذه الخصال وكان قدومهم في سنة تسع وهذا احد ما يحتج به على ان
الحج لم يكن فرض بعد وانما فرض في العاشرة ولو كان فرض لعد من الايمان كما عد الصوم والصلوة
والزكوة ومنها انه لا يكره ان يقال رمضان للشهر خلافا لمن كره ذلك وقال لا يقال الا شهر رمضان
ومنها وجوب اداء الخمس من الغنيمة وانه من الايمان ومنها الانتباذ في هذه الاوعية وهل تحريمه
باق او منسوخ على قولين وهما روايتان عن احمد والاكثرون على نسخه بحديث بريدة الذي رواه مسلم
وقال فيه كنت نهيتكم عن الاوعية فانتبذوا فيها ولا تشربوا مسكرا ومن قال باحكام الاحاديث
النهي وانها غير منسوخة قال هي احاديث تكاد تبلغ التواتر في تعددها وكثرة طرقها وحديث
الاباحة فرد لا يبلغ مقاومتها وسر المسألة ان النهي عن الاوعية المذكورة من باب سد الذرائع اذ
الشراب يسرع اليه الاسكار فيها وقيل بل النهي عنها لصلابتها واذا الشراب يسكر فيها ولا يعلم
به لخلاف الظروف غير المزفتة فان الشراب متى غلا فيها واسكر انشقت فيعلم انه مسكر فعلى هذه العلة
يكون الانتباذ في الجرة والصفر والخشب المجرب وعلى الاول لا يحرم اذ لا يسرع الاسكار اليه فيها كاسراعه
في الاربعة المذكورة وعلى كلا العلتين فهي من باب سد الذريعة كالنهي ولا عن زيارة القبور سد الذريعة
الشرك فلما استقر التوحيد في نفوسهم وقوي عندهم اذن لهم في زيارتها غير ان لا يقولوا هجرا
وهكذا فنبقى في الانتباذ في هذه الاوعية انه فطمهم عن الاوعية المسكرة واوعيته وسد الذريعة
اليه اذا كانوا حديثي عهد بشربه فلما استقر تحريمه عندهم واطمأنت اليه نفوسهم اباح لهم الا
وعية كلها غير ان لا يشربوا مسكرا فهذا فقه المسألة وفيها مدح صفتي الحلم والاناءة وان الله
يحبهما وضدهما الطيش والعجلة وهما خلقتان مذمومتان يفسدان الاخلاق والاعمال وفيه دليل
على ان الله يحب من عبده ما جبله عليه من خصال الخير كالذكاء والشجاعة والحلم وفيه دليل على
ان الخلق قد يحصل بالتخلق والتكلف لقوله في هذا الحديث اخلقين تخلقت بهما او جبلني الله عليهما
فقال بل جبلت عليهما وفيه دليل على انه سبحانه خالق افعال العباد واخلاقهم كما هو خالق ذواتهم
وصفاتهم والعبد كله مخلوق ذاته وصفاته وافعاله ومن احرج افعاله عن خلق الله فقد جعل فيه خا
لق مع الله ولهذا اشبه السلف القدرية النفاة بالمجوس فقالوا هم مجوس هذه الامة صح ذلك
عن ابن عباس وفيه اثبات الجبل على الخير لله تعالى وانه يجبل عبده عليه على ما يريد كما جبل الا
شج على الحلم والاناءة وهما فعلان نشيا عن خلقين في النفس فهو سبحانه هو الذي جبل العبد على اخلاقه
وافعاله ولهذا قال الاوزاعي وغيره من ائمة السلف نقول ان الله جبل العباد على اعمالهم ولا
نقول جبرهم عليها وهذا من كمال علم الائمة ودقيق نظرهم فان الجبل اجبران يجبل العبد على اخلا
ق مراده كجبل البنو الصغيرة على الرضاع وجبل الحاكم من عليه الحق على اداءه والله سبحانه اقدر من ان يجبر عبده

ولكن يجيء على ان يفعل ما يشاء الرب بارادة عبده واختياره ومشيئته فهذا لون والجبر لون وفيها
ان الرجل لا يجوز له ان يلتقط بالضالة التي لا يجوز التقاطها كالابل فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يجوز
للجار ودر كوب الابل الضالة وقال ضالة المسلم حرق احمد النار وذلك لانه انما امر بتركها واذا لا يلتقطها
حفظا على ربها حتى يجدها اذا طلبها فلو جوز له ركوبها والانتفاع بها الا فض الحال لا يقدر عليها ربها وايضا
تطمح فيها النفوس وتملكها فيمنع الشارع من ذلك **فصل في قدوم وفد بني**
حنيفة قال ابن اسحق قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة الكذاب
وكان منزلهم في دار امراة من الانصار من بني النجار فاتوا بمسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستترا بالثياب ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه في يده عسيب من سعف النخل فلما انتهى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو مستتر بالثياب كلمه وسأله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو سالتني هذا العسيب الذي في يدي ما اعطيتكه قال ابن اسحق فقال لي شيخ من اهل اليمامة من بني
حنيفة ان حديثه كان على غير هذا زعم ان وفد بني حنيفة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا
مسيلمة في رحالهم فلما اسلموا ذكروه لمكانه فقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبا لنا في رحالنا
وركابنا يحفظها لنا فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما امر للقوم وقال اما انه ليس بشركم مكانا يعني
بحفظه حيفة اصحابه وذلك الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا وجاءوه
بالذي اعطاه فلما قدموا اليمامة ارتد عدو الله وتنبا وقال لقد شركت في الامر معه الم يقل لكم حين
ذكر عتوه فيه اما انه ليس بشركم مكانا وما ذاك الا لما كان يعلم انني قد اشركت معه في الامر ثم
جعل يسجع السجعات ويقول لهم فيما يقول له مضاهيا للقرآن لقد انعم الله على الحبلى اخرج منها نسمة تسعى
من بين صفاق وحشوة ومنع منهم الصلوة واحل لهم الخمر والربا وهو مع ذلك يشهد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انه نبي فاطبقت معه بنو حنيفة على ذلك قال ابن اسحاق وقد كان كتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فاني قد اشركت في الامر معك وان لنا
نصف الامر ولقريش نصف الامر وليس قريش قوما يعدلون فقدم اليه رسوله بهذا الكتاب فكتب اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وكان في آخر سنة عشر قال ابن اسحاق فحدثني سعد بن
طارق عن سلمة بن نعيم بن مسعود عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه رسولا مسيلمة الكذاب اتشهدان
بقولهما وانتما تقولان مثل ما يقولا قالا نعم فقال والله لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما وروى
في مسند ابي داود الطيالسي عن ابي داود عن ابي عبد الله قال جاء ابن النواحة وابن اثال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهدان اني رسول الله قالا نشهد ان مسيلمة رسول الله فقال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم امنت بالله ورسوله ولو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما قال ابو عبد الله فمضت السنة
بان الرسل لا تقتل وفي صحيح البخاري عن ابي وجاء العطاردي قال لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم فسمعنا به بمكة
بمسيلمة الكذاب فالحقنا بالنار وكنا نقبل الحجر في الجاهلية فاذا وجدنا حجرا احسن منه القينا ذلك فاخذناه
فاذا لم نجد حجرا جمعنا جثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا بها وكنا اذا دخل رجب قلنا جاء منصل الاسنة
فلا ندع حديدة في سهم ولا حديدة في رمح الا نزعناها والقيناها قلت وفي الصحيحين من حديث
نافع بن جبير عن ابن عباس قال قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول ان
جعل لي محمد الامر من بعده اتبعته وقدم في بشر كثير من قومه فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس
بن شماس وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في اصحابه فقال له ان سالتني
هذه القطعة ما اعطيتكها ولن تعدو امر الله فيك ولئن ادبرت ليعقرنك الله وان اراك الذي رايت
فيك ما رايت وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني ثم انصرف قال ابن عباس فسالت عن قول
النبي صلى الله عليه وسلم انك الذي رايت فيك ما رايت فاخبرني ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال بينا انا نائم رايت في يدي سوارين من ذهب فاهمني شانهما فاوحي الي في المنام ان انفخهما
فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان من بعدي فكان احدهما العنسي صاحب صنعاء والآخر
مسيلمة صاحب اليمامة وهذا اصح من حديث بن اسحق المتقدم وفي الصحيحين من حديث
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم اذ اتيت بخزائن الارض فوضع في يدي
سواران من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحي الي ان انفخهما فنفختهما فذهبا فاولتهما الكذابين الذين
انا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة **فصل في فقه هذه القصة**
وفيها جواز مكاتبة الامام لاهل الردة اذا كان لهم شوكة ويكتب لهم ولا خوانهم من الكفار
سلام على من اتبع الهدى ومنها ان للامام ان ياتي بنفسه الى من قدم يريد لقاءه من الكفار ومنها
ان الامام ينبغي له ان يستعين برجل من اهل العلم يجيب عنه اهل الاعتراض والعناد ومنها
توكيل العالم لبعض اصحابه ان يتكلم عنه ويجيب عنه ومنها ومنها ان هذا الحديث من اكبر فضائل
ابي بكر الصديق فان النبي صلى الله عليه وسلم نفخ السوارين بروحه فطارا وكان الصديق هو ذلك الرجل
الذي نفخ مسيلمة فاطاره قال الشاعر وقلت له انفخهما بروحك البيت **فصل**
ومن هيصنا ادلباس الحلي للرجل على ما قد يلحقه وهم ينالونه وانبا ابو العباس احمد بن عبد الرحيم
بن عبد المنعم بن نعمة بن سرور المقدسي المعروف بالشهاب العابر قال قال لي رجل رايت في رجلي
خلخالا فقلت له تخلخل رجلك بالم فكان ذلك وقال لي اخر رايت كانه في اتقي حلقة من ذهب
وفي اصبعي خاتم عقيق احمر فقلت له يقع بك رعاف شديد فجرى ذلك وقال اخر رايت كانا معلقا

في شفتي فقلت لا يقع بك لم تحتاج الى الفصد في شفتك فجزى ذلك وقال آخر رايت في يدي سوار ا
والناس ينظرونه فقلت لرسوء بيصره الناس بيدك فعن قليل طلع في يده طلوع ورأى ذلك الناس وقال
آخر رايت في يدي سوار لا يبصره الناس فقلت لم تزوج امراة حسنة وتكون رقيقة قلت عبر له السوار بالمراة
لما اخفاه وستره عن الناس ووصفها بالحسن لحسن منظر الذهب وبالرقة لشكل السوار والحلية للرجل
تتصرف على وجوه فيما دلت على تزوج العزاب لكونها نادرة الا من التزويج وربما دلت على الاماء والسراري وعلى
الغنا وعلى الثبات وعلى الحزم وعلى الجهاد وذلك بحسب حال الرائي وما يليق به قال ابو العباس الغبار
وقال رجل رايت كان في يدي سوار منفوخا لا يراه الناس فقلت لرجل عندك امراة بها مرض الاستسقا وقال
كيف عبر له السوار بالمراة ثم حكم عليها بالمرض لصفرة السوار وانه مرض الاستسقا الذي ينتفخ معه البطن وقال
لي آخر رايت في يدي خلخالا وقد امسكه آخر وانه ممسك له واصيح عليه واقول اترك خلخالي فتركه فقلت له
فكان الخلخال في يدك املس فقال بل كان خشنا ما لمست منه مرة بعد مرة وفيه شراريف فقلت له امكر وخالك
شريفان وانت لست بشريف واسمك عبد القاهر وخالك لسانه لسان فحش ردي يتكلم في عرضك ويأخذ
ما في يدك قال نعم قلت ثم انه يقع في يد ظالم متعد ويحتمي بك فتشتد منه وتقول خل خالي فجزى ذلك عن
قليل قلت تامل اخذه الخال من لفظ الخلخال ثم اغار على اللفظ يتمامه حتى اخذ منه خل خالي واخذ
شراقة من شراريف الخلخال ودال على شرف امه اذ هي شقيقة خاله وحكم عليه بانه ليس بشريف اذ
شراقة الخال الدالة على الشرف اشتقاقا هي في امر خارج عن ذاته واستدل على لسان خاله بانه لسان ردي
يتكلم في عرضه بالام الذي حصل له بخشونة الخلخال مرة بعد مرة فهو خشونة لسان خاله في حقه واستدل
على اخذ خاله ما في يده سادية به ويأخذ من يده في النوم بخشونة واستدل بامساك الاجنبي الخلخال
ومجاذبته الراي عليه وعلى وقوع الخال في يد ظالم متعد بطلب ما ليس له واستدل على صاحبه على المجاذبة له
وقوله خل خالي على انه يعين خاله على ظالمه ويشد عنه واستدل على قهره لذلك المجاذب له وانه القاهر
يده عليه على ان اسمه عبد القاهر وهذه كانت حال شيخنا هذا ورسوخه في علم التعبير وسمعت له
عدة اجزاء ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه لصغر السن واختزام المنية له رحمه الله

فصل

في قدوم وفد طي على رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** ابن اسحاق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفد طي وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم فلما انتهوا اليه كلمهم وعرض عليهم الاسلام فاسلموا وحسن اسلامهم
وقال صلى الله عليه وسلم ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رايته دون ما يقال فيه الا الرجل
من زيد الخيل فانه لم يبلغ كل ما فيه ثم سماه زيد الخير وقطع له فيد وأرضين معه وكتب له بذلك
فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى قومه فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنج زيد
من حمى المدينة فانه لما انتهى الى ماء من مياه نجد يقال له فرده اصابته الحمى فمات فلما احس بالموت

انشد

وفي نسخة زياده
وليت اللوا في عدنى لبعيدنى
وليت اللوا في عدنى لبعيدنى

وذكر الكلاعي في الاكتفا ان لبن بيانا يقال له عروه
وقدم على عمر المدينة في امداد العرب وبعثه الى فارس
وحضر ابو موسى مع المثنى بهارتير وابلى يومئذ بلاء
حسنا وكان قبل هذه الوقعة حضر وقعة الجسر
مع ابي عبيد وسليط ابن قيس ولما انهزم
المسلمون بعد قتل ابي عبيد كان عروة هذا او المثنى
وفوارس من فوارس المسلمين عمر المسلمين عند العبور
ورد أعنهم العجم وقال المثنى يا عروه لو كان معي
حامية فارس مثلك ما باليت ان اقدم على بلاد كسرى
فوا رمحكة انتهى ملخصا

انشد امر تحل فومي الشارق عذوة ٥ واترك في بيت بفردة ثاويا ٥ يبكي الارب يوم لو مرضت لعادني
عواد من لهم بين مهنى يحمده ٥ قال ابن عبد البر وقيل بل مات في اخر خلافة عمر ولد ابنان مكتف
وحريث اسلما وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدا قتال اهل الردة مع خالد **فصل**
في قدوم وفد كندة على رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** ابن اسحاق حدثني الزهري قال قدم الاشعث
ابن قيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمانين راكبا او ستين من كندة فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه
مسجده وقد رجلوا جمامهم وتسلحوا ولبسوا اجياب الحبرات مكففة بالحرير فلما دخلوا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اولم تسلموا قالوا بلى قال فما هذا الحرير في اكتافكم فشقوه ونزعوه ثم القوه ثم قال
الاشعث يا رسول الله نحن بنو اكل المرار فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ناسب
هذا النسب ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب قال الزهري وبنو اسحق كانا تاجرين وكانا
اذا سارا في بلاد العرب فسئلا من انتما قالا نحن بنو اكل المرار يتعززون بذلك في العرب ويدفعون
عن انفسهم لان بني اكل المرار من كندة كانوا ملوكا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن بنو
النضر بن كنانة لا نقفو امنا ولا ننتفي من ابينا وفي المسند من حديث حماد بن سلمة عن عقيل بن
طلحة عن مسلم بن مسلم عن الاشعث بن قيس قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد كندة
ولا يروه الا الى افضلهم فقلت يا رسول الله الست منا قال لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو امنا
ولا ننتفي من ابينا فكان الاشعث يقول ايما رجل ينفي رجلا من قريش من النضر بن كنانة الاجلدته الحد و
في هذا من الفقه ان كان من ولد النضر بن كنانة فهو من قريش وفيه جواز انتماء المحروم استعمالا
كشباب الحرير على الرجال وانه ذلك ليس بامانة مال والمرار هو شجر من شجر البوادي واكل المرار
هو الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معوية من كندة وللنبي صلى الله عليه وسلم جدة من كندة مذكورة
وعم ام كلاب بن مرة وايا ها اراد الاشعث وفيه رد من انتسب الى غير ابيه فقد انتفى من ابيه وقفى
امه اي رماها بالفجور ومنها ان كندة ليسوا من ولد النضر بن كنانة وفيه رد من خرج رجلا عن
نسبه المعروف جلد حد القذف **فصل في قدوم الاشعريين واهل اليمن**
روى زبيد بن هارون عن حميد عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال **يقدم** قوم هم ارق
منكم قلوبا فقدم الاشعريون فجعلوا يرتجزون **يقول** غدا نلقى الاحبه **يقول** محمدا وحزبه **وفي** صحيح
مسلم عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جاء اهل اليمن هم ارق افئدة
وانعف قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية والسكينة في اهل الغنم **والفخر** والخيلاء في الفدادين
اهل الوبر قبل مطلع الشمس **وروينا** عن زبيد بن هارون انا ابن ابي ذئب عن الحارث بن
عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر

فقال اتاكم اهل اليمن كانهم السحاب وهم خيار من في الارض وقال رجل في الانصار الا نحن يا رسول الله فسكت
وقال الا نحن يا رسول الله قال الا انتم كلمة ضعيفة وفي صحيح البخاري ان نفرا من بني تميم جاؤا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا يا بني تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه و
وجاء نفر من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا ثم قالوا يا رسول الله
جئنا لنتفقه في الدين ونسالك عن اول هذا الامر فقال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الما
وكتب في الذكر كل شيء **فصل في قدوم** وفد الازد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابن اسحاق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صرد بن عبد الله الازدي فاسلم وحسن اسلامه وفد الازد
فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من اسلم من قومه وامره ان يجاهد بمن اسلم من كان يليه من اهل الشرك
من قبايل اليمن فخرج صرد بن عبد الله يسير بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بجرش وهو يومئذ
مدينة مغلقة وبها قبايل من قبايل اليمن وقد جمعوا اليهم خثعم فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين
اليهم فحاصروهم فيها قريبا من شهر واستعصوا فيها ورجع عنهم فافلا حتى اذا كان بجيل لهم يقال له شكر
من اهل جرش اذناغا ولى عنهم منهزما فخرجوا في طلبه حتى اذا ادركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا
وقد كان اهل جرش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين منهم يرتادان لهم وينظران فبينما هم عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية بعد العصر اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باي بلاد الله شكر فقام
الجرشيان فقالا يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر وكذلك تسميه اهل جرش فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه ليس بكشر ولكن شكر قالا فما شانه يا رسول الله فقال ان بدت الله لتخرجن عنده الان قال فجلس
الرجلان الى ابي بكر والى عثمان فقالا لهما ويحكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينهى اليكما قومكما قوما
فاسئلاه ان يدعوا الله ان يدفع عن قومكما فقاما اليه فسئلاه ذلك فقال اللهم ارفع عنهم فخرجا
من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى قومهما فوجدا قومهما قد اصيبوا في اليوم الذي قال
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها الخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاسلموا فحمى لهم حمى حول قريتهم **فصل في قدوم** وفد بني الحارث بن كعب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر
ربيع الاخر او جمادى الاولى سنة عشر الى بني الحارث بن كعب بنجران وامره ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان
يقاتلهم ثلثا فان استجابوا قبل منهم وان لم يفعلوا قاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان
يضربون في كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون ايها الناس اسلموا تسلموا فاسلم الناس ودخلوا
فيما دعوا اليه فاقام فيهم خالد يعلمهم الاسلام وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكتب اليه
رسول الله ان يقبل ويقبل معه وفدهم فاقبل واقبل معه وفدهم منهم قيس بن الحصين ذي الغصة

ويزيد

ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن المحجل وعبد الله بن قراد وشداد بن عبد الله وقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بم كنتم تغلبون من قاتلكم من اهل الجاهلية قالوا لم نكن نغلب احدا قال بلى قالوا اذا نجتمع ولا نتفرق
ولا نبدا احدا بظلم قال صدقتم واقر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الى قومهم في بقية شوال او في ذي
القعدة فلم يمكثوا الا اربعة اشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم **فصل في قدوم**
وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد عليه وفد همدان منهم مالك بن نمط ومالك بن الريبع
وعمرو بن مالك فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية
على الرواحل المهرية والارحبية ومالك بن نمط يقود بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول
الا ليكر حاوزن سواد الريف ذي هبوات الصيف والخريف ذي مخلفات بجبال اللويف وذكر والركلام كثير اختصرنا
فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا اقطعهم فيه ما سالوه وامر عليهم مالك بن نمط واستعمله على من اسلم
من قومه وامره بقتال ثقيف وكان لا يخرج لهم سرح الا اغار عليه وقد روى البيهقي باسناد
صحيح من حديث ابي اسحق عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى اهل اليمن يدعوهم الى
الاسلام فقال البراء فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فاقمنا ستة اشهر يدعوهم الى الاسلام فقال
البراء فلم يجيبوه ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث علي بن ابي طالب فامره ان يكفل خالدا الا رجلا ممن
كان مع خالد ان يعقب مع علي فليعقب معه قال البراء فكنت فيمن عقب مع علي فلما دنونا من
القوم خرجوا الينا فصلى بنا علي ثم صففنا صفا واحدا ثم تقدم بين ايدينا وقرا عليهم كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاسلمت همدان جميعا فكتب علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما
قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع راسه فقال السلام على همدان السلام على همدان
واصل الحديث في صحيح البخاري وهذا صحيح مما تقدم ولم تكن همدان تقاتل ثقيفا ولا تغير على سرحهم فان همدان
باليمن وثقيف بالطائف **فصل في قدوم وفد مزينة** على رسول الله
صلى الله عليه وسلم روينا من طريق البيهقي عن النعمان بن مقرن قال قدمنا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم اربع مائة رجل من مزينة فلما اردنا ان ننصرف قال يا عمر زود القوم
فقال ما عندي الا شيء من تمر ما اظنه يقع من القوم موقعا قال انطلق فزودهم فانطلق بهم عمر
فادخلهم منزله ثم اصعدهم الى علية فلما دخلنا اذا فيه من التمر مثل الجمل الماوق فاخذ القوم منه حاجتهم
قال النعمان وكنت في اخر من خرج فنظرت وما افقد موضع تمرة من مكانها **فصل**
في قدوم وفد دوس على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ذلك بخيبر قال ابن اسحق كان الطفيل
بن عمرو الدوسي يحدث انه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى اليه رجال قريش وكان
الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا فقالوا له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين اظهرنا

فوق جاعتنا وشتت امرنا وانما قولك كالسحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء واخيه وبين المرء وزوجته وانا
نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال فوالله ما زالوا بي حتى اجمعت ان لا
اجمع منه شيئا ولا اكلمه حتى حشوت فى اذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا فرقا من ان يبلغنى شئ من قوله
قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة فقمت قريبا منه
فابى الله الا ان يسمعنى بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت فى نفسى واثكل امى والله ان لرجل لبيب
شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى ان اسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان ما يقول حسنا قبلت
وان كان ما يقول قبيحا تركت قال فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فتبعته حتى
اذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يا محمد ان قومك قد قالوا كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفونى امرك
حتى سددت باذنى بكرسف لئلا اسمع قولك ثم ان الله عز وجل ابى الا ان يسمعنيه فسمعت قولا حسنا
فاعرض على امرك فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلى على القرآن قال فوالله
ما سمعت قولا قط احسن منه ولا امرا اعدل منه فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا نبى الله انى امرؤ
مطاع فى قومى وانى راجع اليهم فادعوهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لى آية تكون عونا لى عليهم فيما ادعوهم
اليه فقال اللهم اجعل له آية فخرجت الى قومى حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر وقع نور بين
عينى مثل المصباح قال قلت اللهم فى غير وجهى انى اخشى ان يظنوا انها مثلة وقعت فى وجهى لفراقى دينهم
قال فتحول فوقع فى راس سوطى كالقنديل المعلق وانا اهبط اليهم من الثنية حتى جئتهم فاصبحت فيهم
فلما نزلت اتانى ابى وكان شيخا كبيرا فقلت اليك عنى يا ابت فلست منى ولست منك قال لم يا بنى قلت
قد اسلمت وتابعت محمدا قال يا بنى فدينى دينك قال فقلت فاذهب يا ابت فاغتسل وتطهر ثيابك
ثم تعال حتى اعلمك ما علمت والله فذهب واغتسل وتطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم
ثم اتتنى صاحبتى فقلت لها اليك عنى فلست منى ولست منك قالت لم بابى انت وامى قلت فرق الاسلام
بينى وبينك اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قالت فدينى دينك قال فقلت فاذهبى فاغتسلى
ففعلت ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام فاسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطؤا على فجئت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبى الله انه قد غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا
ثم قال ارجع الى قومك فادعهم الى الله وارفق بهم فرجعت اليهم فلم ازل بارض دوس ادعوهم الى الله ثم قدمت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فنزلت المدينة بسبعين او ثمانين بيتا من دوس ثم لحقنا برسول الله
صلى الله عليه وسلم فاسهم لنا مع المسلمين قال ابن اسحاق فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين حتى فرغوا من طليحة ثم سار مع المسلمين الى اليمامة ومعه ابنه عمرو
ابن الطفيل قال لاصحابه اقد رايت رؤيا فاعبروها لى رايت راسى قد حلق وانه خرج فرخ طائر وان امرأة

لقيتنى

لقيتنى فادخلتنى فرجها ورايت كان ابنى يطلبنى طلبا حثيثا ثم رايته حبس عنى قال لو خيرا رايت
قال اما والله انى قد اولتها قالوا وما اولتها قال اما حلق راسى فوضع من الارض واما الطائر الذى خرج من
فمى فروحى واما المراة التى ادخلتنى فرجها فالارض تحفر فاغيب فيها واما طلب ابنى اياى وحبسه عنى فانى
اراه سيجهد للذى يصيبنى من الشهادة ما اصابنى فقتل الطفيل شهيدا باليمامة وجرح ابنه عمرو وجرح جراحة بيدا
ثم قتل عام اليرموك شهيدا فى خلافة عمر فصل وقد هذه القصة فيها ان عادة المسلمين كانت
غسل الاسلام قبل دخولهم فيه وقد صح امر النبى صلى الله عليه وسلم به وهو صحيح الاقوال وجوبه على من اجنب فى حال
كفره وعلم بجنابه ومنها انه لا ينبغى للعاقل ان يقلد الناس فى المدح والذم ولا سيما تقليد من يمدح بهواه ويذم
بهواه فكم حار هذا التقليد بين القلوب وبين الهدى ولم ينج منه الا من سبقت له من الله الحسنى ومنها
ان المرء اذا الحق بالجيش قبل انقضاء الحرب اسهم له ومنها وقوع كرامات الاولياء انما تكون لحاجة فى
الدين والمنفعة فى الاسلام والمسلمين فهذه الاحوال الرحمانية الخارسيما متابعة الرسول وينتجها
اظهار الحق وكسر الباطل والاحوال الشيطانية عندها سببا ونتيجة ومنها الثانى والصبر فى الدعوة الى
الله وان لا يعجل بالعقوبة والدعاء على العصاة واما تعبيره حلق راسه بوضعه فهذا لانه حلق الراس هو وضع
شعره على الارض وهو لا يليق بمجرده على وضع راسه فانه دال على خلاصه منهم او مرض او شدة مما يليق به ذلك
وعلى فقر وتدبر وزوال رياسته وجاهه لمن يليق به ذلك ولكن فى منام الطفيل قرائن اقتضت انه وضع راسه فى
الارض ومنها انه كان فى الجهاد ومقابلة العدو واقاء الشوكة واللباس ومنها انه دخل فى الموضع الذى
خرج منه وهذا هو اعادته الى الارض كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم فاول المادة بالارض اذكاها
محل الوطى واول دخوله فى فرجها عوده اليها كما خلق منها فاول الطائر الذى خرج من فيه بروحه فانها كالطير
المحبوس فى البدن فاذا خرجت منه كانت كالطائر الذى فارق حبسه فذهب حيث شاء وهذا خبر النبى صلى
الله عليه وسلم ان نسمة المؤمن طائر معلق فى شجر الجنة وهذا هو الطائر الذى يرى داخلا وخارجا فى قبر ابن عباس لما قرئ
وسمع قارئا يقرا يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى وعلى
حسب بياض هذا الطائر وسواده وحسنه وبهجته تكون الروح ولهذا كانت ارواح الكفرة فى جوف
طير سود ترد النار بكرة وعشيا واول طلب ابنه له باجتهاده فى ان يلحقه فى الشهادة وحبسه عنه هو مدة
حيوته بين وقعة اليمامة واليرموك والله اعلم فصل فى قدوم وفد نجران
على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى
نجران بالمدينة فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلوا
عليه مسجده بعد العصر فحانت صلاتهم فقاموا يصلون فى مسجده فاراد الناس منعهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم قال وحدثنى يزيد بن سفيان

عن ابن البيلماني عن كوز بن علقمة قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكبا منهم اربعة
وعشرون رجلا من اشرافهم والاربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول امرهم العاقب امير القوم وذو رايهم ومذاهب
مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رايه وامره واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه
الايهم وابو حارثة بن علقمة اخو بني بكر بن وائل اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكان ابو حارثة
قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من اهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه واخدموه وبنوا له الحا
الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما وجهوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من نجران جلس ابو حارثة على بغلة له موجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى جنبه اخ له يقال له كوز بن علقمة
يسايره اذ عثرت بغلة ابي حارثة فقال له كوز تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة
بل انت تعست فقال له لم يا اخي فقال والله انه النبي الامي الذي كنا ننتظره فقال له كوز فما يمنعك وانت تعلم هذا فقال
ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا وموّلونا واكرمونا وقد ابوا الا خلافه ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمر عليها
منه اخوه كوز بن علقمة حتى اسلم بعد ذلك قال ابن اسحق وحدثني محمد بن ابي محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثني
سعيد بن جبير او عكرمة عن ابن عباس قال اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان الا نصرانيا فانزل الله
عز وجل فيهم قل يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها
انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه
وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين فقال رجل من الاحبار اتريد منا يا محمد ان نعبدك كما تعبد النصارى
عيسى بن مريم وقال رجل من نصارى نجران او ذلك تريد يا محمد واليه تدعونا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
معاذ الله ان اعبد غير الله او امر بعبادة غير ربانية لذلك بعثني ولا امرني فانزل الله عز وجل في ذلك من قولهما
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من
دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ثم ذكر عليهم ما اخذ عليهم و
على اتباعهم من الميثاق وتصديقه واقرارهم به على انفسهم فقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى
قوله من الشاهدين وحدثني محمد بن مسلم عن ابي امامة قال لما قدم وفد اهل نجران على رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى بن مريم نزل فيهم فاتحة السورة الى راس الثمانين منها وبينا
عن ابي عبد الله الحاكم عن الاصم عن محمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يسوع عن ابيه عن جده قال
يونس وكان نصرانيا فاسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل نجران بسم اله ابراهيم واسحق ويعقوب

اما بعد

اما بعد فاني ادعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد وادعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد فان ابيتم
فالجزية فان ابيتم فقد اذنتكم بحرب من الله فلما اتى الاسقف الكتاب فقرأه فظع به وذعر ذعرا شديدا
فبعث الى رجل من اهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة وكان من همدان ولم يكن احد ثبت عنى اذا نزلت بهم
معضلة قبله لا الايهم ولا السيد ولا العاقب فدفع الاسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقرأه
فقال له الاسقف يا ابا مريم ما رايك فقال شرحبيل قد علمت ما وعد الله ابرهيم في ذرية اسمعيل من النبوة
فما يؤمن ان يكون هذا ذلك الرجل ليس لي في النبوة راي لو كان من امر الدنيا اشرت امر عليك فيه برايي
وجهدت لك فيه فقال له الاسقف تنح فاجلس فتنحى شرحبيل فجلس ناحية فبعث الاسقف الى رجل من اهل
نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذي اصبح من حمير فاقرأه الكتاب وسأله الراي فيه فقال مثل
قول شرحبيل فقال له الاسقف تنح فاجلس فتنحى فجلس ناحية فبعث الاسقف الى رجل من اهل نجران
يقال له جبار بن قيض من بني الحارث بن كعب فاقرأه الكتاب وسأله الراي فيه فقال له مثل قول شرحبيل
وعبد الله فامره الاسقف فتنحى فلما اجمع الراي على تلك المقالة منهم جميعا امر الاسقف باكنا قوس فضربت
بروز فعت المسوح في الصوامع وكذلك كانوا يفعلون اذا فزعوا في النهار فاذا كان فزعهم بالليل
ضربوا بالناقوس وفزعت النيران في الصوامع فاجتمع حين ضرب بالكنا قوس وفزعت المسوح اهل
الوادي اعلاه واسفله وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع وفيه ثلاثة وسبعون قرية وعشرين
وماتا الف مقاتل فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألهم عن الراي فيه فاجتمع راي اهل
الوادي على ان يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل وجبار بن قيض الحارثي يأتوهم
بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق الوفد حتى اذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا
حلة لهم يحبرونها من الحبرة وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا
عليه فلم يرد عليهم السلام وتصدوا للكلام نهارا طويلا فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب
فانطلقوا يتعوّنون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفتهم كانا يخرجان في العير في الجاهلية
الى نجران فيشتري لهما من بزها وعطرها وذرتها فوجدوهما في ناس من الانصار والمهاجرين في مجلس
فقالوا يا عثمان ويا عبد الرحمن ان نبيكم كتب الينا كتابا فاقبلنا مجيبين له فسلمنا عليه فلم يرد علينا
سلامنا وتصدينا لكلامه نهارا طويلا فاعيانا ان يكلمنا فانا الراي منكما ان تغدوا فتقول لعلي بن ابي
طالب وهو في القوم ما ترى يا ابا الحسن في هؤلاء القوم فقال علي للعثمان وعبد الرحمن ارى ان يضعوا
حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم ياتوه اليه ففعل الوفد ذلك فوضعوا حللهم وخواتيمهم
ثم عادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد سلامهم ثم سألهم وسألوه فلم تزل به وبهم المسئلة
حتى قال له ما تقول في عيسى بن مريم فانا نرجع الى قومنا ونحن نصارى فيسرنا ان كنت نبيا ان نعلم ما تقول فيه

لعله راي اهل الراي منهم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عندي فيه شيء يومي هذا فاقيموا حتى اخبركم بما يقال في عيسى
فاصبح الغد وقد انزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من
ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا
ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين فابى يومئذ ان يقر وابى ذلك فلما
اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعد ما اخبرهم الخبر اقبل يشتمل على الحسن والحسين في خميلة له وفا
طمة تمشي عند ظهره للمباهلة وله يومئذ عدة نسوة فقال شرحبيل لصاحبيه يا عبد الله بن شرحبيل ويا جبار
بن قيض قد علمتما ان الوادي اذا اجتمع اعلاه واسفله لم يردوا ولم يصدروا الا عن راي وابي اراى واسدرا
مقبلا والله ان كان هذا الرجل ملكا مبعوثا فكنا اول العرب طعنا في عينه ورد علينا امن لا يذهب لنا
من صدره ولا من صدر قومه حتى يصيبوا الحاجة وانا لارى القوم منهم جوارا وان كان هذا الرجز
بنيا مرسلا فلاعناه لا يبقى على وجه الارض منا شعرة ولا ظفر الا هلك فقال له صاحباه فالراي فقد
وضعتك الامور على ذراع فهات رايك فقال رايي ان احكمه فاني ارى رجلا لا يحكم شططا ابدا فقالا
له انت وذاك فلقي شرحبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني قد رايت خيرا من ملاعنتك فقال
وما هو قال شرحبيل حكمك الى الليل وليلتك الى الصباح فنما حكمت فينا فهو جائز فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعل وراءك احد يثرب عليك فقال شرحبيل سل صاحبي فسالهما فقالا ما يرد اهل الوادي
ولا يصدر الا عن راي شرحبيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كافرا وقال جاحدا موفق فرجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلاعنهم حتى اذا كان من الغد اتوه فكتب لهم هذا الكتاب بسم الله
الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد النبي رسول الله الى نجران اذا كان عليهم حكمه في كل ثمرة وفي
كل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فما فضل عليهم وترك ذلك كله على الف حلة في كل رجب الف حلة وفي
كل صفر الف حلة وكل حلة اوقية ما زادت على الخرج او نقصت الاواق فبحساب وعلى نجران مؤونة ما يطيق
اومن خيل او ادراع او ركاب او عرض اخذ منهم بحساب وعلى نجران مواساة رسلي ومتعهم ما
عشرين قدونه ولا يحبس رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق شهر وعليهم عارية ثلاثين
درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا اذا كان كيد باليمن ذو معتر قوما هلك منها اعارهوا رسولي
من دروع او خيل او ركاب فهو ضمان على رسولي حتى يؤدى اليهم ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة
محمد النبي على انفسهم ومسلكتهم وارضهم واموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعتهم وان
لا يغير اسقف من اسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا واف من وفيهته وكل ما تحت ايديهم من قليل او كثير وليس عليهم دينه ولا دم جاهلية
ولا يعشرون ولا يطا ارضهم جيش ومن سال منهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين

١٤٩

ومن

ومن اكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة ولا يوخذ منهم رجل بظلم اخر وعلى ما في هذه الصحيفة
جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله حتى ياتي الله بامره ما نصحوا واصلحوا فيما عليهم غير منقلبين بظلم
شهد بذلك ابو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف والاقرع بن حابس الحنظلي
والمغيرة وكتب حتى اذا قبضوا كتابهم وانصرفوا الى نجران فتلقاهم الاسقف ووجوه نجران على مسيرة
ليلة وهم الاسقف اخ لارين امه وهو ابن عمه من النسب يقال له بشر بن معوية وكنيته ابو علقمة فرفع الوفد
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسقف وبينما هو يقراه وابو علقمة معه وهما يسيران اذا كبت
ببشر ناقته فتعس بشر غير انه لا يكني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الاسقف عند ذلك
تدوا لله تعست بنيا مرسلا فقال بشر لاجرم والله لا احل عنها عقالا حتى آتيه فضرب بوجه ناقته
نحو المدينة وثنى الاسقف ناقته عليه فقال له افهم عني انما قلت هذا لتبلغ عني العرب مخافة ان يقولوا
انا اخذنا حمقه او نجعنا لهذا الرجل عالم تجمع له العرب ونحن اعزهم واجمعهم دارا فقال له بشر لا والله لا اقيلك ما
من راسك ابدا فضرب بشر ناقته وهو مولاه ظهره للاسقف وهو يقول اليك تغدو واقلقا وضينها
معترضا في بطنها جنينها مخالفا دين النصارى دينها حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم وانزل مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى اسلم ابو علقمة بعد ذلك ودخل الوفد نجران فاتى الراهب بن ابي شمر الزبدي وهو
في اربعين صومعة فقال له ان نبيا بعث بتهامة وانه كتب الى الاسقف فاجمع اهل الوادي ان يسيروا اليه بشر حبيل
بن وداعة وعبد الله بن شرحبيل وجابر بن قيض فيا توهم بخبر فساروا اليه حتى اتوه فدعاهم الى المباهلة
فكرهوا ذلك ملاعنته وحكموا شرحبيل فحكم عليهم شرحبيل وكتب لهم كتابا ثم اقبل الوفد بالكتاب حتى دفعوه
الى الاسقف فقراءه وبشر معه اذ كبت ببشر ناقته فتعسه فشهد الاسقف ان نبي مرسل فانصرف ابو
علقمة نحوه يريد الاسلام فقال له الراهب انزلوني والا رميت نفسي من هذه الصومعة فانزلوه فانطلق الراهب
بهديته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها هذا البرد الذي تلبسه الخلفا والعقب والعصى واقام الراهب
بعد ذلك يسمع كيف ينزل الوحي والسنن والفرايض والحدود وابى اسلام الراهب الاسلام فلم يسلم واستا
ذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجعة الى قومه فقال انا في حاجة ومعاد ان شاء الله فرجع الى قومه فلم يعد
حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الاسقف ابا الحارث اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيد والعاقب
ووجوه قومه واقاموا عنده يسمعون ما ينزل الله عليه فكتب للاسقف هذا الكتاب والاساقفة نجران بعده
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي للاسقف ابي الحارث واساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم واهل بيعتهم
ورقيقهم واهل ملتهم وسواطنهم وكل ما تحت ايديهم من قليل وكثير جوار الله ورسوله لا يغير اسقف من اسقفيته
ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته ولا حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا فيما كانوا عليه على ذلك
جوار الله ورسوله ابدا ما نصحوا واصلحوا غير منقلبين بظالم ولا ظالمين ولبث المغيرة بن شعبه قليلا قبض

١٥٠

الكتاب استاذن في الانصراف الى قومه وتم معه فاذن لهم فانصرفوا وروى البيهقي باسناد صحيح الى ابن
مسعود ان السيد والعاقب اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يلاعنهما فقال احدهما لصاحبه لا
تفعل والله لئن كان نبيا فلاعنه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالوا انا نعطيك ما سالت فابعث معنا رجلا
امينا ولا تبعث معنا الا رجلا امينا فقال لابعثن معكم رجلا امينا حق امين فاشرف
لها الصحابة فقال قم يا ابا عبيدة ابن الجراح قال هذا امين هذه الامة ورواه البخاري في صحيحه في حديث حذيفة
بنحوه وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نجران فقالوا فيما قالوا
ما تقرأون يا اخت هرون وقد كان بين عيسى وموسى ما قد علمتم قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته
قال افلا اخبرتهم انهم كانوا يسمون بسماء انبيائهم والصالحين الذين كانوا قبلهم ورويا عن يونس
بن بكير عن ابن اسحاق قال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب الى نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم
عليه بجزيتهم **فصل** وفقه هذه القصة ففيها جواز دخول اهل الكتاب مساجد المسلمين
وفيها تمكين اهل الكتاب في صلاتهم بحضرة المسلمين وفي مساجدهم ايضا اذا كان ذلك عارضا ولا يمكنون
من اعتياد ذلك وفيها ان اقرار الكتابي للرسول صلى الله عليه وسلم انه نبي مرسل لا يدخله في الاسلام
ما لم يلتزم طاعته ومتابعته فاذا تمسك بدينه بعد هذا الاقرار لا يكون ردة عنه ونظير هذا قول الحبرين
له وقد سئلاه عن تسع مسائل فلما اجابهم قالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكما من اتباعي قالا انا نخاف
ان تقتلنا اليهود ولم يلزمهما بذلك الاسلام وتظير ذلك شهادة عمه ابي طالب له بانه صادق وان دينه
من خير اديان البرية دينا ولم تدخله هذه الشهادة في الاسلام ومن تامل ما في السير والاخبار الثابتة
من شهادة كثير من اهل الكتاب والمشركين له صلى الله عليه وسلم بالرسالة وانه صادق ولم يدخلهم بهذه الشهادة
في الاسلام علم ان الاسلام امر وراء ذلك وانه ليس هو المعرفة فقط ولا المعرفة والاقرار فقط
بل المعرفة والاقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهرا وباطنا وقد اختلف ائمة السلف
في الكافر اذا قال اشهد ان محمدا رسول الله ولم يزد هل يحكم باسلامه بذلك على ثلثة اوجه وهي ثلاث
روايات عن الامام احمد احداها يحكم باسلامه بذلك والثانية لا يحكم باسلامه حتى ياتي بشهادة ان لا اله
الا الله والثالثة ان كان مقرا بالتوحيد حكم باسلامه وان لم يكن مقرا لم يحكم باسلامه حتى ياتي
وليس هذا موضع استيفاء هذه المسئلة وانما اشرنا اليها اشارة واهل الكتاب مجمعون على ان نبيا
يخرج في اخر الزمان وهم ينتظرونه ولا يشك علماؤهم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وانما يمنعهم
من دخولهم في الاسلام رياستهم على قومهم وخضوعهم لهم وما يناله منهم من المال والجاه وفيها
جواز مجادلة اهل الكتاب ومناظرتهم بل استحباب ذلك بل وجوبه اذا ظهرت مصلحة مثل ارجاء
اسلامه واقامة الحجة عليهم ولا يهرب من مجادلتهم الا عاجز عن اقامة الحجة فليول ذلك اهله وليخل بين المطي

وحاديها

وحاديها والقوس وباريها ولولا خشية الاطالة لذكرنا من الحجج التي تلزم اهل الكتابين الاقرار بانه رسول الله
عما في كتبهم وبما يعتقدونه وبما لا يمكنهم دفعه بما يزيد على مئة طريق وبرجوانه سبحانه وتعالى افرادها
بمصنف مستقل وحاورني وبين بعض علمائهم مناظرة في ذلك فقلت له في اثناء الكلام لا يتم لكم القدح
في نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم الا بالطعن في الرب تبارك وتعالى والقدح فيه ونسبته الى اعظم الظلم
والسفه والفساد تعالى الله عن ذلك فقال كيف يلزمنا ذلك قلت بل ابلغ من ذلك لا يتم لكم ذلك الا بجحوده
وانكار وجوده تعالى وبيان ذلك انه اذا كان محمد عندكم ليس بنبي صادق وهو بزعمكم ملئ ظالم فقد تهيا
له ان يفتري على الله ويقول عليه ما لم يقل له ثم يتم لكم ذلك ويستمر حتى يحرم ويحلل ويفرض الفرائض
ويشرع الشرايع وينسخ الملل ويضرب الرقاب ويقتل اتباع الرسل وهم اهل الحق ويسبي نساءهم واولادهم
ويغنم اموالهم وذراريهم ويتم له ذلك حتى يعم الارض وينسب ذلك الى امر الله به ومحبته له والرب تعالى
شاهد ما يفعل باهل الحق واتباع الرسل وهو مستمر في الافتراء عليه ثلثة وعشرين سنة وهو مع
ذلك كله يؤيده وينصره ويعلي امره ويمكن له اسباب النصر الخارجة عن عادة البشر والبخ من ذلك انه يجيب
دعوته ويهلك اعداءه في غير فعل منه نفسه ولا سبب بل تارة بدعائه وتارة بسؤاله ايا هم سبحانه من غير
دعاء منه صلى الله عليه وسلم ومع ذلك يقضي له كل حاجة سالته اياها ويعده كل وعد جميل ثم ينجز له وعده
على اتم الوجوه واهناها واكملها هادي وهو عندكم في الكذب والظلم فانه لا الكذب ممن كذب على الله
واستمر على ذلك ولا اظلم ممن ابطل شرايع انبياءه ورسله وسعى في رفعها من الارض وتبديلها باعادي بد
هو وقتل اوليائه وحزبه واتباع رسله واستمرت نصرته عليهم دايما والله تعالى في ذلك كله يعزه
ولا ياخذه بالبمين ولا يقطع منه الوتين وهو يخبر عن ربه انه اوحى اليه انه لا اظلم ممن افترى على الله
كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله فيلزمكم معاشر من كذب احد
امرين لا بد لكم منهما اما ان تقولوا لا صانع للعالم ولا مدبر ولو كان للعالم صانع مدبر حكيم لا خذه
على يديه ولقاتله اعظم مقاتله وجعله نكالا للظالمين اذ لا يليق بالملوك عندكم هذا فكيف بملك الارض
والسموات واحكم الحاكمين الذي نسبة الرب الى ما يليق به فر الجود والسفه والظلم والاضلال
للخلق دايما ابدا لا يا ذن ونصرة الظالم الكاذب والتمكين له في الارض واجابة دعوته وقيام امور من بعده
واعلاء كلمته ابدا دايما فاظهار دعوته والشهادة له بالنبوة قرنا بعد قرن على رءوس الاشهاد
في كل مجمع وناد فاين هذا من فعل احكم الحاكمين وارحم الراحمين فلقد قدحتم في الرب اعظم قدح
وطعنتم فيه اشد طعن وانكرتموه بالكلية ونحن لا نذكر كثيرا من الكذابين قام في الوجود وظهرت له
شوكة ولكن لم يتم لامره ولم تطل مدته بل سلط عليه رسله واتباعهم فمحقوا اثره وقطعوا دابره واستاصلوا
شافته هذه سنته في عباده منذ قامت الدنيا الى ان يرث الله الارض ومن عليها فلما سمع مني هذا الكلام

قال معاذ الله انه ظالم او كاذب بل كل منصف من اهل الكتاب يقر بان من سلك طريقه واقتفى اثره فهو
من اهل النجاة والسعادة في الاخرى قلت فكيف يكون سالكا طريق الكتاب ومقتفيا اثره بزعمكم
من اهل النجاة والسعادة فلم يجد بدا من الاعتراف برسالته ولكن لم يرسل اليهم قلت فقد لزمكم تصديقه
ولا بد وهو قد تواترت هذه الاخبار بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة كتابهم واميتهم ودعا
اهل الكتاب الى دينه وقاتل من لم يدخل في دينه منهم حتى اقروا بالصغار والجزية فهتك الكافر ونهض مفروقون
والمقصود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل في جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم الى ان توفي
وكذلك اصحابه من بعده وقد اراه الله سبحانه بحد الحجة بالتي هي احسن في السورة المكية والمدنية وامرهم ان يدعوا
بعد ظهور الحجة الى المباهلة وبهذا اقام الدين وانما جعل السيف ناصرا للحجة فاعدل السيوف سيف ينصر
حجج الله وبيناته وهو سيف رسوله امته **فصل ومنها** ان من اعظم خلقا فوق منزلته
التي يستحقها بحيث اخرجه عن منزلة العبودية المحضة فقد اشرك بالله وعبد مع الله غيره وذلك مخالف لجميع
دعوة الرسل واما قوله ان صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل نجران بسم الله ابراهيم واسحق ويعقوب فلا
اظن ذلك محفوظا وقد كتب الى هرقل بسم الله الرحمن الرحيم وهذه كانت سنته في كتبه للملوك كما سيأتي
ان شاء الله وقد وقع في هذه الرواية هذا وعلى تقدير ان يثبت عليه فلعل سبب تلك اية القرآن وكتاب سيبين
ذلك غلط على غلط فان هذه السورة مكية باتفاق وكتابه الى نجران بعد مرجعه من تبوك **ومنها**
جواز هدنة رسل الكفار وترك اكرامهم اذا اظهر منهم التعاظم والتكبر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكلم
الرسل ولم يرد السلام عليهم حتى لبسوا ثياب سفرهم واقواحلهم وحلاهم **ومنها** ان السنة في مجادلة
اهل الباطل اذا قامت عليهم حجة الله ولم يرجعوا بل اصروا على العناد ان يدعوا الى المباهلة وقد امر الله
سبحانه بذلك رسوله ولم يقل ان ذلك ليس لامتك من بعدك ودعا اليه ابن عم عبد الله بن عباس لمن انكر
عليه بعض مسايل الفروع ولم ينكر عليه الصحابة ودعا اليه الاوزاعي وسفيان الثوري في مسئلة رفع اليدين
ولم ينكر عليه ذلك وهذا من تمام الحجة **ومنها** جواز صلح اهل الكتاب على ما يريد الامام من الاموال ومن
الثياب وغيرها ومجرى ذلك مجرى ضرب الجزية عليهم فلا يحتاج الى ان يفرد على واحد منهم بجزئيته بل يكون
ذلك مال جزية عليهم يقتسمونه كما جبوا **ومنها** ان بعث معاذ الى اليمن امره ان ياخذ من كل حالم دينارا
والفرق بين الموضعين ان اهل نجران لم يكن فيهم مسلم وكانوا اهل صلح ولما اهل اليمن فكانت دار اسلام
وفيهم يهود فامره ان يضرب الجزية على كل واحد منهم والفقها يخصون الجزية بهذا القسم دون الاول
وكلاهما جزية فانه مال ماخوذ من الكفار على وجه الصغار في كل عام **وفيها** جواز ثبوت الحمل في الذمة
كما ثبت في الدية ايضا وعلى هذا يجوز ثبوتها في الذمة بعقد السلم وبالضمان وبالتلف كما ثبت فيها بعقد
الصداق والخلع **ومنها** انه يجوز معاهدتهم على ما صالحوا عليه في المال بغير وزن ولا كيل بحسابه **ومنها**

جواز

جواز اشتراط الامام على الكفار ان يؤوي رسله ويكرمهم ويضيفهم اياما معدودة **ومنها** جواز
اشتراط عليهم عارية ما يحتاج المسلمون اليه من سلاح ومتاع او حيوان وان تلك العارية مضمونة لكن
هل هي مضمونة بالشرط او بشرع هذا محتمل وقد تقدم الكلام عليه في غزوة حنين وقد صرح هيهنا بانها
انما مضمونة بالرد ولم تتعرض لضمان التلف **ومنها** ان الامام لا يقر اهل الكتاب على المعاملات الربوية
لانها حرام في دينهم وهذا كما لا يقرهم على السكر ولا على اللواط والزنا بل يحيهم على ذلك **ومنها** انه لا يجوز
ان يعوض الكفار رجل بظلم رجل اخر كما لا يجوز ذلك في حق المسلمين وكلاهما ظالم **ومنها** ان عقد
العهد والذمة مشروط بنصح اهل العهد والذمة واصلاحهم فاذا غشوا المسلمين وافسدوا فلا عهد
لهم ولا ذمة وبهذا افتينا نحن وغيرنا في انتقاض عهدهم لما وقع الحريق العظيم في مشونة سرج الجامع
وبانتقاض عهدهم من اطاعهم واعانهم بوجه ما بل ومن علم ذلك ولم يرفعه اولي الامر فان هذا من اعظم الغش
والضرر بالاسلام **ومنها** بعث الرجل العالم الى اهل الصدقة في مصلحة الاسلام وانه ينبغي ان يكون امينا
وهو الذي لا غرض له ولا هوى وانما مراده مجرد مرضات الله ورسوله لا يبتغي بما يفرقها فهذا هو الا
مين حق الامين كحال ابي عبيدة بن الجراح **ومنها** مناظرة اهل الكتاب وجوابهم عما سالوه عنه فاذا
اشكل السؤال سال العالم **ومنها** ان الكلام عند الاطلاق يحمل على ظاهره حتى يقوم دليل على خلافه
والا لم يشكل على المغيرة قوله لقرآنا تحت هارون وهذا ليس في الاية ما يدل على انه هارون بن عمران حتى
يلزم الاشكال بل الموضع لو هذا بانه هارون بن عمران ولم يكف بذلك حتى ضم اليه انه اخو موسى
بن عمران ومعلوم ان الايمان اللفظ على شيء من ذلك فايراده ايراد فاسد وهو اما من سوء الفهم او من
فساد القصد واما قول بن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث علي بن ابي طالب الى اهل نجران
ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم فقد يظن انه كلام متناقض لان الصدقة والجزية لا يجتمعان و
اشكل منه على ما ذكره هو وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد في شهر ربيع الاخر وجمادى
الاولى سنة عشر الى بني الحارث بن كعب بنجران وامره ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثا فاذا
استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركاب يضربون في اكنافهم
جه ويدعون الى الاسلام فاسلم الناس ودخلوا فيما دعوا اليه فاقام فيهم خالد يعلمهم الاسلام وكتب
بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبل ويقبل اليه بوفدهم
وقد تقدم انهم وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالحوه على الفي حلة وكتب لهم كتاب امن وان
لا يغير واعن دينهم ولا يجشروا ولا يعشروا **وجواب** هذا ان اهل نجران كانوا صنفين نصارى
واميين فصالح النصارى على ما تقدم واما الاميون منهم فبعث اليهم خالدا فاسلموا وقدم وفدهم
على النبي صلى الله عليه وسلم وهم الذين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية

قالوا كنا بخير ولا نتفرق ولا نبدأ احدا بظلم قال صدقتم وامر عليهم قيس بن الحصين وهو لاء هم بنو الحارث
بن كعب فقوله بعث عليا الى اهل نجران ليأتيهم بصدقاتهم وجزيتهم اراد به الطائفتين من اهل نجران وصدقات
من اسلم منهم وجزية النصارى **فصل في قدوم فروة بن عمرو الجذامي ملك**
عرب الروم قال ابن اسحق وبعث فروة بن عمرو الجذامي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسولا يأتيه بالاسلام واهدى له بغلة بيضاء وكان فروة عاملا للروم على ما يليهم من العرب وكان منزله مقان
وما حوله من ارض الشام فلما بلغ الروم ذلك عن اسلامه طلبوه حتى اخذوه فحبسوه عندهم فلما
اجتمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له عفراء بفلسطين قال مشذبة اطرافها بالمناجل
الى اهل اسلما ان خليلها على ماء عفر فقوادح الرواجل على ناقة لم يضرب الفحل امها
قال ابن اسحق وزعم الزهري انهم لما قدموه ليقتلوه قال
بلغ سراة المسلمين بانني سلم لربي اعفلي ومقابي ثم ضنوا عنقه على ذلك الماء رحمه الله
فصل في قدوم وفد بني سعد بن بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن اسحق حدثني محمد بن الوليد عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس قال بعث بنو سعد بن بكر
ضمام بن ثعلبة وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عليه فاناخ بعيره على باب المسجد فعقله
ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد جالس في اصحابه فقال ايكم ابن عبد المطلب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا بن عبد المطلب فقال لمحمد قال نعم فقال يا بن عبد المطلب
اني سائلك ومغلظ عليك في المسألة فلا تجدن في نفسك فقال لا اجد في نفسي فاسئل عما بدا لك فقال
انشدك بالله الهك والٰه من كان قبلك والٰه من كان بعدك الله بعثك الينا رسولا فقال اللهم نعم قال
يا رسول الله انشدك بالله الهك والٰه من كان قبلك والٰه من هو كائن بعدك الله امرك ان نعبده ولا
نشرك به شيئا وان نخلع هذه الانداد التي كانت آباؤنا يعبدون فقال صلى الله عليه وسلم اللهم نعم
ثم جعل ينشده فرائض الاسلام فريضة فريضة الصلاة والزكوة والصيام والحج وفرائض الاسلام كلها ينشده عند
كل فريضة كما نشده في التي قبلها فلما فرغ قال فاني اشهد الا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وساؤدي
هذه الفرائض واجتنب ما نهيت عنه لا ازيد ولا انقص ثم انصرف راجعا الى بعيره فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين ولى ان يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة وكان ضمام رجلا اجلد اشعر
ذا غديرتين ثم اتى بعيره فاطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا اليه وكان اول ما تكلم به ان
قال بئست اللات والعزى فقالوا له يا ضمام اتق البرص والجنون والجذام فقال ويلكم انهما والله ما يضران
ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا وانزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه وانى اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما امركم به وما نهاكم عنه فوالله ما امسى ذلك اليوم

هو كائن

وفي حاضره رجل ولا امرأة الا مسلما قال ابن عباس فما سمعنا بوافد قوم افضل من ضمام بن ثعلبة
والقصة في الصحيحين من حديث انس بنحو هذه وذكر الحج في هذه القصة يدل على ان قدوم ضمام كان بعد
فرض الحج وهذا بعيد والظاهر ان هذه اللفظة مدرجة من كلام بعض الرواة والله اعلم
فصل في قدوم وفد طارق بن عبد الله
على النبي صلى الله عليه وسلم رويانا في ذلك بالاسانيد الى بكر البيهقي عن جامع بن شداد قال حدثني
رجل يقال له طارق بن عبد الله قال اني لقائم بسوق ذي المجاز اذا اقبل رجل عليه حبة له وهو يقول ايها
الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة يقول يا ايها الناس كذاب فلا تصدقوه
فقلت من هذا فقالوا هذا غلام من بني هاشم الذي يزعم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلت
هذا الذي يفعل به هذا قالوا هذا عمه عبد العزى قال فلما اسلم الناس وهاجروا حزن جبانا من الربذة
يريد المدينة فعثر ناقته فسقط عنها فلما دنونا من حيطانها وبخلها قالوا لو نزلنا فلبسنا ثيابنا بأعيرها فاذا رجل
في طريقنا فسلم وقال من رأيه اقبل القوم قلنا من الربذة قال وأين تريدون قلنا نريد هذه المدينة
قال ما حاجتكم فيها قلنا نمتار من تمرها قال ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل احمر مخطوم فقال ابتاعوا
جملكم هذا قال العوانع بكذا وكذا صاعا من التمر قال فما استوضعنا ما قلنا شيئا فاخذ خطام الجمل فانطلق
فلما توارى عنا بحيطان المدينة وبخلها قلنا ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن يعرفه ولا اخذنا الثمن فقال
تقول الراكبة التي معنا والله لقد رأيت رجلا كانه وجهه شقة القمر ليلة البدر ولنا ضامنة لثمن جملكم وفي رواية
بن اسحق قالت الضعينة فلا تلاموا فوالله لقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم ما رأيت شيئا اشبه بالقمر ليلة البدر
من وجهه فبينما هم كذلك اذ اقبل رجل فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم
هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا فاكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا
المدينة فدخلنا المسجد فاذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فاذا ركبنا من خطبته وهو يقول تصدقوا
فان الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد السفلى امك وابا ك واختك واخاك وادناك ادناك
اذا اقبل رجل من بني ربوع او قال من الانصار فقال يا رسول الله لنا في هؤلاء دما في الجاهلية
ان اما لا يجني على ولد ثلاث مرات **فصل في قدوم وفد نجيب**
وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد نجيب من السكون ثلثة عشر رجلا فقدموا عليه
صدقات اموالهم التي فرض الله عليهم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم واكرم منزلهم وقال
لهم يا رسول الله سقنا اليك حق الله في اموالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ردوها فاقسموها على فقرائكم فقالوا يا رسول الله ما قدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا
فقال ابو بكر يا رسول الله ما وفد احد من العرب بمثل ما وفد به هذا الحي من نجيب

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهدى بيد الله عز وجل فمن اراد به خيرا شرح الله صدره للا
وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشياء فكتب لهم بها وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيهم رغبة وامرهم بلالا ان يحسن ضيافتهم فاقاموا اياما ولم يطيلوا اللبث فقيل لهم ما يعجلكم فقالوا ان رجعنا
الى امرواننا ونخبرهم برؤيتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلامنا اياه ومارد علينا ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يودعونه فامر بلالا فاجازهم بارفع ما كان يجيز به الوفود قال هل بقي منكم احد قالوا نعم غلام خلفناه
على رحالنا هو احدثنا سنا فقال ارسلوه الينا فلما رجعوا الى رحالهم قالوا للغلام انطلق الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاقض حاجتك فانا قد قضينا حوائجنا منه وودعناه فاقبل الغلام حتى اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اني امرؤ من بني ابزى يقول فمر لي بمثل ما مر هؤلاء الذين اتوك آنفا فقضيت حوائجهم فاقض
حاجتي يا رسول الله فقال وما حاجتك فقال ان حاجتي ليست كحاجة اعمامي وان كانوا قد موا راغبين
في الاسلام وساقوا اعناس وقد قاموا وانى والله ما اعلمني من بلادي الان استأل الله ان يغفر لي ويرحمني
ويجعل غناي في قلبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه ثم امر له
بمثل ما امر به لرجل من اصحابه فانطلقوا راجعين الى اهليهم ثم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم
بعد سنة عشر فقالوا لم نر بعدك ايها الذي هو خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل الغلام الذي اتاني
معكم فقالوا يا رسول الله ما رأينا مثله قط ولا احدا اقنع منه بما رزقه الله لوان الناس اقتسموا الدنيا
ما نظر نحوها ولا التفت اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم مني اني لارجو ان يموت جميعا فقال
رجل منهم اوليس الرجل يموت جميعا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشعب اهواء وهو
في اودية الدنيا فلعل احدكم ان يدركه في بعض تلك الاودية فلا يبال الله عز وجل في اي اهاليها هلك فقالوا
فاشار ذلك الرجل فينا على افضل حال وازهده في الدنيا واقنعه بما رزقه الله فلما توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجع من رجع من اليمن عن الاسلام قام في قومه فذكرهم الله والاسلام فلم يرجع منهم احد وجعل
ابو بكر الصديق يذكره ويسأل عنه حين بلغه خالد وما قام به فكتب اليه زياد بن لبيد يوصيه بجفره

فصل في قدوم وفد بني سعد هذيم

قال الواقدي عن ابي النعمان عن ابيه وفد بني
سعد هذيم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا اني نفر من قومي وفدوا وطار رسول الله صلى الله
عليه وسلم البلاد وفود اداخل العرب والناس صنفان اما داخل في الاسلام راغب فيه واما خائف من السيف
فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى اشرنا الى بابه فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي على جنازة في المسجد فقمنا ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونبايعه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الينا ودعانا وقال لنا انتم فقلنا من بني سعد
هذيم قال اسلمتم انتم قلنا نعم قال فهلا صليتم على اخيكم قلنا يا رسول الله ظننا ان ذلك لا يجوز

حتى نبايعك

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ما السلامتم فانتم مسلمون قال فاسلمنا وبايعنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الاسلام ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها اصغرنا فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم في طلبنا فاتى نبأ اليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا يا رسول الله انه اصغرنا
وانه خادمنا فقال اصغر القوم خادمهم بارك الله عليه قال وكان والله خيرنا واقرأنا للقرآن يبعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم له ثم امره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فكان يؤمنا ولما اردنا
الانصراف امر بلالا فاجازنا واوفى صفة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله الاسلام

فصل في قدوم وفد بني فزارة

قال ابو الربيع بن سالم في كتاب الاكتفاء ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك
وقدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا امنهم خارجة بن حصن والحر بن قيس بن اخي
عيينة بن حصن وهو صغرهم فنزلوا في دار بنت الحارث وجاء ولرسول الله صلى الله عليه وسلم
مقربين بالاسلام وهم مستوون على ركائب عجاف فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ركائبهم
بلادهم فقال احدهم يا رسول الله اسنت بلادنا وهلكت مواشينا واجدب جنابنا وعزت عيالنا
فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبحان الله ويلك هذا انما شفعت الى ربي عز وجل فمن الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا هو
العظيم وسع كرسيه السموات والارض فهي تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ليضحك من شفقكم وازلكم وقرب غيابكم فقال
الاعرابي يا رسول الله ويضحك ربنا عز وجل فقال نعم فقال لا عدمنا من رب يضحك خيرا
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وصعد المنبر فتكلم بكلمات ولا كان لا يرفع يديه
في شيء من الدعاء الا في الاستسقاء فرفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه وكان مما حفظ من دعائه اللهم
اسق بلادك وبهائمك وانشر رحمتك واحي بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير رائث نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب
ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقت الغيث وانصرنا على الاعداء

فصل في قدوم وفد بني اسد

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني اسد عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد
وطليحة بن خويلد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد مع اصحابه فتكلموا فقال الله
متكلمهم يا رسول الله انا نشهد ان الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وجئناك يا رسول
ولم تبعث الينا بعثا وعز لمن ورائنا فقال محمد بن كعب القرظي فانزل الله على رسوله

يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ٥
وكان مما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه يومئذ العيافة والكهانة وضرب الحصى فنهاهم عن ذلك
كله فقالوا يا رسول الله انا هذه امور كنا نفعلها في الجاهلية ارايت خصلة بقيت قال
وما هي قالوا الخط قال علم نبي من الانبياء فمن صادف مثل علمه علم ٥

فصل في قدومهم وقد بصرى

ذكر الواقدي عن كريمة بنت المقداد قالت سمعت ابي ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب تقول قدم
وفد هوازن اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ثلثة عشر رجلا فاقبلوا يقودون رواحلهم
حتى انتهوا الى باب المقداد ونحن في حنانا لبني جديلة فخرج اليهم المقداد فرحب بهم فانزلهم وجاء بجفنة
من حيس وقد كنا هيانا ها قبل ان يجلو النخل عليها فحملها المقداد وكان كريما على الطعام فاكلوا منها حتى
نهلوا وردت الينا القصعة وفيها اكل فجمعنا ذلك الاكل في قصعة صغيرة ثم بعثنا بها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سدرة مولاتي فوجدته في بيت ام سلمة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع سدرة مولاتي فوجدته في بيت ام سلمة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضباعة ارسلت بهذا قالت سدرة نعم يا رسول الله قال منى ثم قال ما فعل
ضيف ابي معبد قلت عندنا قالت فاصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا هو ومن معه في البيت
حتى نهلوا واكلت معهم سدرة ثم قال اذهبي بما بقي الى ضيفكم قالت سدرة فرجعت بما بقي
في القصعة الى مولاتي قالت فاكل منها الضيف ما اقاموا وترددها وما ناقض حتى جعل الضيف
يقولون ٢ يا ابا معبد لا تنهلنا من احب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثله الا في الحين وقد ذكر لنا ان الطعام
ببلادكم انما هو العلق ونحوه ونحن عندك في الشبع فاخبرهم ابو معبد بخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه اكل منها الكلا ثم ردها فهذه بركة اصابعه صلى الله عليه وسلم فجعل القوم يقولون نرض
نشهد انه رسول الله وازداد ايقينا وذلك الذي اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعاهدوا الا فل
واقاموا اياما ثم جاء وفد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعوه وامرلهم بجوائزهم وانصرفوا الى اهليهم

فصل في قدومهم وفد بني عذرة

في صفر سنة تسع اثنا عشر رجلا فيهم حمزة بن النعمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن القوم
فقال متكلمهم نحن لا نشكو نحن بنو عذرة اخوة قصي لاجئون مخزه الذين عضده واقصيا واراحوا من بطن مكة
خزاعة وبنو بكر ولنا قرابات وارحام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم واهلا ما اعرفني بكم فاما
سلموا وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام وهرب هرقل الى ممتنع بلاده ونهاهم عن سؤال
الكهنة وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها واخبرهم انه ليس عليهم الا الاضحية فاقاموا اياما بارملة
ثم انصرفوا وقد اجازوا

فصل في قدومهم وفد بلي

وقدم

وقدم عليه وفد بلي في ربيع الاول سنة تسع فانزلهم رفاعة بن ثابت البلوي عنده وقدم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هو لاء قومي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك
وبقومك فاسلموا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من
مات على غير الاسلام فهو في النار فقال ابو الضبيب شيخ الوفد يا رسول الله اني رجل في رعنة
في الضيافة فهل في ذلك اجر قال نعم وكل معروف وصنعته الى غني او فقير فهو صدقة قال يا رسول الله
ما وقت الضيافة قال ثلاثة ايام فما كان بعد ذلك فصدقة ولا يحل للضيف ان يقيم عندك فيحرجك
قال فالبعير قال مالك وله دعه حتى يجد صاحبه قال فالضالة قال وقع ثم قاموا فرجعوا الى منازلهم فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا تمر يحمل تمرا فقال استعن بهذا التمر وكانوا ياكلون منه ومن غيره فاقاموا
ثلثة ايام ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجازهم ورجعوا الى بلادهم ٥

فصل وفي هذه القصة من الفقه انها

ان الضيف حق على من نزل به وهو ثلث مراتب حق واجب وغاية مستحب وصدقة من
الصدقات فالحق الواجب يوم وليلة وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم المراتب الثلثة في الحديث
المتفق عليه من حديث ابي شريح الخزاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يومن بالله واليوم
الاخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يا رسول الله قال يوم وليلة والضيافة ثلثة ايام
فما كان وراء ذلك فهو صدقة ولا يحل له ان يثوي عنده حتى يحرجه وفيه جواز التقاط الغنم وان
الشاة اذا لم يات صاحبها في ملك الملتقط واستدل بعض اصحابنا على انه اذا التقط شاة ونحوها
مما يجوز التقاطه وخير الملتقط بين اكلها في الحال وعليه قيمتها وبين بيعه وحفظ ثمنه وبين تركه
والانفاق عليه من ماله وهل يرجع به على وجهين لانه صلى الله عليه وسلم جعل ماله الا ان يظهر صاحبها
واذا كانت لم تخير بين هذه الثلثة فاذا ظهر صاحبها دفعها اليه او قيمتها ظاهر المذهب وعند اصحاب
احمد وفي خلاف هذا قال ابو الحسن لا تقوم وفيها قبل الحول رواية واحدة وقال ان قلنا يا خذ
ما لا يستقل بنفسه كالغنم فانه لا تقوم وفيها اكل ولا غيره رواية واحدة وكذلك قال
بن عقيل ونص احمد في رواية ابي طالب في الشاة يعرفها سنة فان جاء صاحبها دفعها اليه وكذلك
قال الشريف وابو علي الا في الشاة قبل الحول رواية واحدة فقال ابو بكر وضالة الغنم اذا اخذها
يعرفها سنة وهو الواجب فاذا مضت السنة ولم يعرف صاحبها كانت له والاولى افقه واقرب
الى مصلحة الملتقط والمالك اذ قد يكون تعريفها سنة مستازما لتغريم مالكها اضعافا فيمتها انه قلنا
يرجع عليه بنفقتها وان قلنا لا يرجع استلزم تغريم الملتقط ذلك وانه قد يزيد عليها ولا يلتقطها

كانت الذئب وتلفت والشارع لا يأمن بضياع المال فان قيل فهذا الذي جمعتموه يخالف نصوص
احمد واقوال واقوال الصحابة والدليل ايضا اما مخالفة نصوص احمد فما تقدم حكايته في رواية ابي طالب
ونص ايضا في روايته في مضطر وجد شاة مذبوحة وشاة ميتة قال يأكل من الميتة ولا يأكل من المذبوحة
الميتة احلت والمذبوحة لها صاحب قد ذبحها يريد ان يعرفها ويطلب صاحبها فاذا وجد بقاء والمذبوحة
على حالها فابقاءه الشاة الحية بطريق الاولى واما مخالفة كلام الاصحاب فقد تقدم واما مخالفة الدليل
ففي حديث عبد الله بن عمرو يا رسول الله كيف ترى ضالة الغنم فقال هي لك او لاخيك او للذئب احبس على
اخيك ضالته وفي رواية رد على اخيك ضالته وبهذا يمنع البيع والذبح قيل ليس في نصوص احمد اكثر
من التعريف ومن يقول انه مخير بين اكلها وبيعها وحفظها لا يقول بسقوط التعريف بل يعرفها مع ذلك وقد
عرف سببها وعلامتها فان ظهر صاحبها اعطاه القيمة وقول احمد يعرفها اعم من تعريفها وهي باقية
او تعريفها وهي مضمونة في الذمة لمصلحة صاحبها وملتقطها ولا سيما اذا ابقطها في السفر فان ايجاب
تعريفها سنة فيه من الحرج والمشقة ما لا يأتي به الشارع وفي تركها من تعريفها للاضاعة والهلاك ما بينا في امره باخذها
واخباره بانه ان لم ياخذها كانت للذئب فتعين ولا بد اما بيعها وحفظ ثمنها واما اكلها وظهران قيمتها اوفى
واما مخالفة الاصحاب فالذي اختار التخيير من اكبر ائمة الاصحاب ومن ثقات شيوخ الاصحاب المذهب الكبار الاجلاء
وهو ابو محمد المقدسي قدس الله روحه ولقد احسن في اختياره التخيير كل الاحسان واما مخالفة الدليل الشرعي
في الدليل الشرعي المنع من التصرف في الشاة الملتقطة في المفازة وفي السفر بالبيع والاكل وايجاب تعريفها والانفاق
عليها سنة مع الرجوع بالانفاق او مع عدم هذا لا تتالى بل يشهد فضلا ان يقوم عليه دليل وقوله صلى الله
عليه وسلم احبس على اخيك ضالته صريح في ان المراد به ان لا يستأثر بها دونه وبين بل حفظها فاذا كان بيعها و
ثمنها خيرا لمن تعريفها سنة والانفاق عليها وتغريم صاحبها اضعاف قيمتها كان حبسها وردها عليه هو
بالتخيير الذي يكون له فيه الحظ والحديث يقتضيه بمجموعه وقوائه وهذا ظاهر وبالله التوفيق وضحاها ان
البعير لا يجوز التقاطه اللهم الا ان يكون قلوصا صغيرا لا يمتنع من الذئب ونحوه فحكمه حكم الشاة بتنبيه النص
ودلالته **فصل في قدوم وفد ذي مر** وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد
ذي مرة ثلثة عشر رجلا رأسهم الحارث بن عوف فقال يا رسول الله انا قومك وعشيرتك فنحن قوم من بني لؤي
بن غالب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للحارث اين تركت اهلك قال رسلاح وما والاها قال فكيف
البلاد فقال رسل انا فالمسنتون ما في الملامح فادع الله لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم استهم الغيث
فاقاموا اياما ثم ارادوا الانصراف الى بلادهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عين له فامر بلالا ان يجيزهم
فاجازهم بعشر اواق فضة وفضل الحارث بن عوف اعطاه اثني عشر اوقية ورجعوا الى بلادهم فوجدوا البلاد
مطيرة فسألوهم متى مطرتم فاذا هو ذلك اليوم الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخصبت بعد ذلك بلادهم

فصل في قدوم وفد خولان وقدم عليه صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة عشر وفد خولان
وهم عشرة فقالوا يا رسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله وقد
ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الارض وسهولها والمنة لله ورسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ما ذكرتم من مسيركم الي فانه لكم بكل خطوة خطاها بعير احدكم حسنة واما قولكم
زائرين لك فانه من زارني في المدينة كان في جواري يوم القيمة قالوا يا رسول الله هذا السفر الذي لا نقوى عليه
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل عم انس وهو صنم خولان الذي كانوا يعبدونه قالوا بشر بنا بالله
ما جئت به وقد بقيت منا بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولقد منعناه ان يسمع
فقد كنا منه في غرور وفتنة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعظم ما رأيتم من فتنته قالوا لقد
رأينا واستنشأت له الكلاب الرمة فجفناها ما قدرنا عليه وابتعنا به مائة ثور وخرنا لها لعم انس في غداة واحدة
وتركناها ترد الماء والسباع ونحن احوج اليها من السباع فجاء الغيث من ساعتنا ولقد رأينا الغيث يسوق
الرجال ويقول قاتلنا انعم علينا عم انس وذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يفتتنون لصنمهم هذا
من انعامهم وعروثهم وانهم كانوا يجعلونه من ذلك جزءا لله وجزءا لبني عمهم قالوا كنا نزرع الزرع فنجعل
له وسطه فنسميه له ونسمي زرعا اخر محجرة لله فاذا مالت الريح فالذي سميناه لله جعلناه لعم انس واذا مالت
الريح فالذي جعلناه لعم انس لم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل عليه في ذلك
وجعلوا لهم مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الاية قالوا وكنا نتحاكم اليه فيتكلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تتكلم وسألوه عن فرائض الدين فاخبرهم وامرهم بالوفاء بالعهد و
اداء الامانة وحسن الجوار لمن جاورهم واوصاه لا يظلموا احدا فان الظلم ظلمات يوم القيمة ثم ودعوه
بعد ايام واجازهم وزجعوا الى قومهم فلم يجابوا عقدة حتى هدموا عم انس **فصل في**
قدوم وفد محارب وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد محارب عام حجة الوداع
وهم كانوا اغلظ العرب واقفرهم واقظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاع المواسم ايام عرضه
نفسه على القبائل يدعوهم الى عبادة الله فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عشرة نابئين عن من
وراءهم من قومهم فاسلموا وكان بلالا يأتيهم بغداء وعشاء الى ان جلسوا بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما فلما ظهر الى العصر وقعر في رجل منهم فاية النظر فابصر المحاربي بيديه النظر اليه قال كما
ذاك يا رسول الله توهمني قال اقشعر ابتداء قال المحاربي اي والله لقد رأيتني وكلمتني وكلمتك باقبح
كلام ورددت ذاك باقبح الرد بعكاظ وانت تطوف على الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم
ثم قال المحاربي يا رسول الله ما كان في امحابي اشد عليك يومئذ ولا ابعد عن الاسلام مني فاحمد الله الذي
ابقاني حتى صدقت بك ولقدمات اولئك النفر الذين كانوا بيني وبين دينهم فقال رسول الله صلى الله عليه

www.alhadulgadeer.com

ان هذه القلوب بيد الله عز وجل ثم قال المحاربي يا رسول الله استغفر لي من راجعتي اياك فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام يجب ما كان قبله من الكفر ثم انصرف الى اهله

فصل في قدومه وفد صدى

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد صدى وذلك انه لما انصرف من الجعرانة بعث بعوثا

وهيا بعثا استعمل عليهم قيس بن عبادة وعقد له لواء ابيض ودفع اليه راية سوداء وعسكر بناحية قناة

في امر يتعلق بالمسلمين وامره ان يطأ ناحية من اليمن فيها صدى فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل

منهم وعلم بالجيش فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله جئتك وافدا على من ورائي فارد الجيش

وانا الذي بقومي فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد من صدر قناة وخرج الصدائي الى قومه فقدم

على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم خمسة عشر رجلا فقال سعد بن عباده يا رسول الله دعهم يبيتون

علينا فان لواعليه فحيناهم واكرمناهم وكسانا ثم راح بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وقالوا

لولا من اتاك علينا من وراء نا من قومنا فرجعوا الى قومهم فدعتهم الى الاسلام فوافى رسول الله صلى الله عليه

وسلم منهم مائة رجل في حجة الوداع ذكر هذا الواقدي عن بعض بني المصطلق وذكر من حديث زياد بن الحارث

الصدائي انه الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اردد الجيش وانا الذي بقومي فرددهم قال وقدم

وفد قومي عليه فقال لي يا اخا صداء انك لمطاع في قومك قال قلت بلى يا رسول الله من الله عز وجل

ومن رسوله وكان زياد هذا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره قال فاعشى رسول الله صلى الله

عليه وسلم اي سار ليلا واعشيتها معه وكنت رجلا قوما قال فجعل اصحابه يتفوقون عنه ولزمت غرزه

فلما كان في السحر قال اذن يا اخا صداء فاذنت على راحلتي ثم سرنا حتى اذا ذهبنا وتنزل لحاجته ثم رجع فقال

يا اخا صداء هل معك ماء قلت معي شيء في اداوتي قال هاته فجئته به فقال اصب فصببت ماء في الاداوة

في القعب فجعل اصحابه يتلاحقون ثم وضع كفه في الماء فرايت بين كل اصبعين من اصابعه عينا

تفور ثم قال يا اخا صداء لولا اني استحيي من ربي عز وجل سقينا واستقينا ثم توضأ وقال

اذن في اصحابه من كانت له حاجة بالوضوء فليرد قال فتوضأ فور دون عند اخرهم ثم جاء بلال يقيم الصلوة

فقال ان اخا صداء قد اذن ومن اذن فهو يقيم فاقمت ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فصلى بنا وكنت سالته قبل ان يخرج فقال قومي ويكتب لي بذلك كتابا ففعل فلما سلم من صلاته

قام رجل يشتكي من عامله فقال يا رسول الله اخذ نا بدعوى كانت بيننا وبينه في الجاهلية فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في الامارة لرجل مسلم ثم قام رجل فقال يا رسول الله اعطني من

الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يكل قسمتها الى ملك مقرب ولا نبي مرسل

حتى جزأها ثمانية اجزاء فان كنت جزءا منها اعطيتك وان كنت غنيا عنها فانما هي صداع في الراس

ووداع في البطن

وداع في البطن فقلت في نفسي هاتان خصلتان حين سالت الامارة وانا رجل مسلم وسالته

من الصدقة وانا غني عنها فقلت يا رسول الله هذان كتابيك فافيانهما فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ولم قلت الذي سمعتك تقول لا خير في الامارة لرجل مسلم وسمعتك تقول من سالنا من الصدقة

وهو غني عنها فانما هي صداع في الراس ووداع في البطن وانا غني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اما ان الذي قلت كما قلت فقبضهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لي على رجل من

قومك استعملك فالمنة على رجل منهم فاستعملك قلت يا رسول الله انا لنا بئرا ذا كان الشتا كفانا

ماءها واذا كان الصيف قل علينا فتضرقنا على المياه وان الاسلام اليوم قليل ونحن نخافي فادع الله عز

وجل لنا في بئرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولني سبع حصيات فناولته فعركهن بيده ثم

دفعهن الي فقال اذا انتهيت اليها فالقهن فيها واحصاة حصاة وسم الله قال ففعلت فادركناها قبل

حتى الساعة

فصل في فقه هذه القصة

ففيها استحباب عقد الالوية

والرايات للجيش واستحباب كون اللواء ابيض وجواز كون الراية سوداء من غير كراهية ومنها قبول

خبر الواحد فانه النبي صلى الله عليه وسلم رد الجيش من اجل خبر الصدائي وحده ومنها جواز سير

الليل كله في السفر الى الاذان فانه قوله اعشى اي سار عشية ولا يقال الا بعد نصف الليل ومنها

جواز الاذان على الراحلة ومنها طلب الامام الماء من احد رعيته للوضوء وليس ذلك من السؤال

ومنها انه لا يتيمم حتى يطلب الماء ويعوزه ومنها المعجزة الظاهرة بفوران الماء من بين

اصابعه صلى الله عليه وسلم لما وضعها فيه الله به وكثره حتى جعل يفور من خلال الاصابع الكريمة

والجاهل يظن انه كان يشق الاصابع ويخرج من خلال اللحم والدم وليس كذلك وانما بوضعه اصابعه

فيه حلت فيه البركة من الله والمدد فجعل يفور حتى خرج من بين الاصابع وقد جرى له هذا المر العديد

بمشهد اصحابه ومنها ان السنة ان يتولى الاقامة من تولى الاذان ويجوز ان يؤذن واحد ويقيم

اخر لما ثبت في قصة عبد الله بن زيد بن عبد ربه انه لما رأى الاذان واخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال القه على

بلال فالقاه عليه ثم اراد بلال ان يقيم فقال عبد الله بن زيد يا رسول الله ان رايت ان اقيم قال فاقم

فاقام هو واذن بلال ذكره الامام احمد ومنها جواز تامير الامام وتوليته لمن سأله ذلك اذا راه

كفوا ولا يكره سؤاله مالم يفرط من توليته ولا ينافي قوله في الحديث الاخر انا لا نولي على عملنا

من اراده فان الصدائي انما سأله ان يؤمره على قومه خاصة وكان مطاعا فيهم محببا اليهم وكان مقصوده

اصلاحهم ودعاءهم الى الاسلام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ان مصلحة قومه في توليته فاجابه اليها ورأى

انه ذلك السائل انما سأل الولاية لحظ نفسه ومصلحته هو فمنعه منها فولى للمصلحة ومنع للمصلحة

وكان منعه سؤ توليته ومنها جواز شكاية العمال الظلمة الى الامام والفتح فيهم بظلمهم

وان ترك الولاية خير لكم سالهم عن الدخول فيها وان الرجل اذا ذكر انه من اهل الصدقة اعطي منها بقوله ما لم
يظهر عليه خلافه ومنها ان الشخص الواحد يجوز ان يكون واحد صنفا من الاصناف الثمانية لقوله
اله الله جزاها ثمانية اجزاء فان كنت جزءا منها اعطيتك ومنها جواز اقالة الامام لولاية من ولاه اذا
سأله ذلك ومنها استشارة الامام لذي الرأي من اصحابه فيمن يوليه ومنها جواز الوضوء بالماء اذا
سأله ذلك المبارك وان بركته لا توجب كراهة الوضوء منه وعلى هذا فلا يكره الوضوء من ماء زمزم
ولا من الماء الذي يجري على ظهر الكعبة والله اعلم **فصل في قدوم وفد عبس**
وفدوا في شهر رمضان سنة عشر وهم ثلثة نفر فاسلموا وقالوا لا ندري ايتبعنا قومنا ام لا
وهم يجبون بقائلكم وقرب قيصر فاجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائزهم وانصرفوا راجعين
فقدموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم وكتموا اسلامهم حتى مات منهم رجلان على الاسلام ولدرك الثالث عمر الخطاب
عام اليرموك فخلق ابا عبيدة فاجزه باسلامه وكان يكرمه **فصل في قدوم وفد سلامان**
وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد سلامان سبعة نفر فيهم حبيب بن عمرو فاسلموا قال حبيب فقلت يا
رسول الله ما افضل الاعمال قال الصلوة في وقتها ثم ذكر حديثا طويلا وصلوا معه يومئذ الظهر والعصر
قال وكانت صلاة العصر اخف من قيامه في صلاة الظهر ثم شكوا اليه جدب بلادهم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم اسقهم الغيث في دارهم فقلت يا رسول الله ارفع يديك فانه كثير واصوبك طيب فتبسم
صلى الله عليه وسلم ورفع يديه حتى رايت بياض ابطيه ثم قام وقمنا عنه فاقمنا ثلاثا وضيافته تجري علينا ثم
ودعناه وامرنا بجوائز فاعطينا خمس اواق لكل رجل منا واعتذر الينا بالمال وقال ليس عندنا اليوم ما افقلنا
ما اكثر هذا واطيبه ثم رحلنا الى بلادنا فوجدناها قد مطرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في تلك الساعة قال الواقدي وكان مقدمهم في شوال سنة عشر **فصل في قدوم**
وفد بني عبس وقدم عليه وفد بني عبس فقالوا يا رسول الله قدم علينا قرائنا فاخبرونا انه لا
اسلام لمن لا هجرة له ولنا اموال وعيال وهي معائشنا فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له فلا خير في اموالنا
بعناها وهاجرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله حيث ما كنتم فلن يليتكم الله شيئا من
سالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان هل له عقب فاخبروه انه لا عقب له كانت له ابنة فانقرضت
وانشا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث اصحابه عن خالد بن سنان فقال نبي ضيعه قومه **فصل في**
قدوم وفد غامد قال الواقدي وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد غامد سنة عشر
فنزلوا بقيع الغرقد وهو يومئذ اثل وطرفاء فامر بضرب قبة له فضربت فلما نظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا
عنده صاحبهم احدثهم سنا فاتاه عنه فاتى سارق فقصر وقيصة لاحدهم فيها الثوب له وانتهى القوم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه واقروا له بالاسلام وكتب لهم كتابا فيه شرائع الاسلام وقال

لهم من

لهم من خلفتم في رحالكم قالوا احدثنا سنا يا رسول الله فقال فانه قد قام عن متاعكم حتى اتى
احدث عيبة احدكم فقال احد القوم يا رسول الله ما لاحد من القوم عيبة غيري فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقد احدثت وردت الى موضعها فخرج القوم سراعا حتى اتوا رحالهم فوجدوا صاحبهم
فسالوه عما احزنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فزعت من رؤيتي فذهبت العيبة فقمت في طلبها
فاذا رجل قد كان قاعدا فلما رآني ثار يعدو مني فانتهيت الى حيث انتهى فاذا الثرى حفر واذا هو وعيبتي
العيبة فاستخرجتها فقالوا نشهد انه رسول الله فانه قد اخبرنا باخذها وانها قد ردت فرجعوا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه وجاء الغلام الذي خلفوه فاسلم فامر النبي صلى الله عليه وسلم فعلمهم
قرانا واجازهم صلى الله عليه وسلم كما كان يجيز الوفود فانصرفوا **فصل في**
قدوم وفد الازد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ابو نعيم في كتاب معرفة
الصحابة والحافظ ابو موسى المديني من حديث احمد بن ابي الحواري قال سمعت ابا سلمان الدارني
قال حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الازدي قال حدثني ابي عن جدي اويس بن الحارث قال
وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلنا عليه وكلمناه اعجبه ما رأى
من هيئتنا وزينا فقال ما انتم قلنا مؤمنون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان لكل
قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم قلنا خمسة عشر خصلة خمس منها امرتنا بها رسلك ان نؤمن بها
وخمس امرتنا ان نعمل بها وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها الا ان تكره منها شيئا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والخمس التي امرتكم بها رسلي ان تؤمنوا بها قلنا امرتنا ان نؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله والبعث
بعد الموت قال والخمس التي امرتكم ان تعملوا بها قلنا امرتنا ان نقول لا اله الا الله ونقيم الصلوة ونؤتي
الزكوة ونصوم رمضان ونحج البيت فمن استطاع اليه سبيلا قال والخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية قالوا
الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والرضا بمر القضاء والصدق في مواطن اللقاء وترك الشماتة بالاعداء
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكما علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء ثم قال وانا ازيدكم
خمسا فيتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون لا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنون ما لا تسكنون ولا
تنافسوا في شيء انتم عنه غدا زائلون واتقوا الله الذي اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه
تقدمون وفيه تخلدون فانصرف القوم فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظوا وصيته وعملوا بها
فصل في قدوم وفد بني المنتفق على رسول الله صلى الله عليه وسلم روينا عن عبد الله الامام
احمد في مسنده بإسناده قال كتب الي ابراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيدي كتبت اليك بهذا
الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبته اليك فحدث به عني قال حدثني عبد الرحمن بن المغيرة المخزومي
قال حدثنا عبد الرحمن بن عياش الانصاري عن دلهم بن الاسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر ابن المنتفق العقيلي

عن ابيه عن عمه لقيط بن عامر قال وهم وحدثنيه ايضا ابو الاسود عن عبد الله بن عاصم بن لقيط بن عامر ان
لقيط بن عامر خرج وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عامر وصرم بن مالك بن المنتفق
قال لقيط خرجت انا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيناه حين انصرف من صلاة
الغداة فقام في الناس خطيبا فقال يا ايها الناس الا اني قد جئتكم صوتي منذ اربعة ايام الا لتسمعوا اليوم
الا فهل من امرئ بعثه قومه فقالوا اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يم لعله يلهيه حديث نفسه
او حديث صاحبه او يلهيه ضلاله الا ان مسئولي اهل ارضي اني بعثت الا استمعوا لي وتعيشوا لي الا اجلسوا فجلس الناس وقمت
انا وصاحبي حتى اذا فرغ فوادة ونظر قلت يا رسول الله ساعدك من عالم الغيب فضحك فقال لعمر والله علم
اني ابتغي السقطة فقال ظن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها الا الله واشار بيده فقلت ما هن يا رسول
الله قال علم الساعة قد علم متى احدكم ولا تعلمونه وعلم المني حين يكون في الرحم قد علمه ولا تعلمونه
وعلم ما في غد قد علم ما انت طاعم ولا تعلمه وعلم يوم الغيث يشرق عليكم ازلين متشفقين فيضحك
قد علم ان غوثكم لقريب قال لقيط فقلت لن نعدم من ربك يضحك يا رسول الله وعلم يوم
الساعة قلت يا رسول الله علمنا مما يعلم الناس وتعلم فان قبيلا لا يصدق تصدق بقنا لعمر منهج
التي تنهج لعلينا وخشم التي تدق الينا وعشيرتنا قال ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعث الصائحة فلعمر و
الهك ما تدع على ظهرها شيئا الا مات والملائكة الذين هم ربك عز وجل فاصبح ربك عز وجل يطوف في
الارض وخلت عليه البلاد فارسل ربك السماء فنصت من عند العرش فلعمر والهك ما تدع على ظهرها من مصرع
قتيل ولا من بيت الا شقت المدر عنه حتى تخلقه من عند راسه فيستوي جالسا فيقول ربك عز وجل له يم لما
كان فيه يقول يا رب امس اليوم وهو بالحيوة يحسبه حديثا باهله فقلت يا رسول الله كيف بمن
بعدنا ممتونا الرياح والبلى والسباع قال ابشك عبد ذلك في الا ء الله الارض اشرفت عليها وهي مدرة
بالية وقلت لا يحيي ابدا ثم ارسل الله عليها السماء فلم تلبث عليك الا ايا ما حتى اشرفت عليها وهي شربة
واحدة ولعمر والهك لهو اقدر على ان يجمعكم من الماء على ان يجمع بنات الارض فيخرجون من الاصواص
مصارعكم فتنظرون اليه وينظر اليكم قال قلت يا رسول الله كيف ونحن ملاء الارض وهو شخص
واحد ينظر الينا وننظر اليه فقال ايتك بمثل هذا في الا ء الله والشمس والقمر اية منذ صغيرة ترونهما
ويريانكم ساعة واحدة ولا تضامون في رويتهما قلت يا رسول الله فايفعل ربنا اذا لقيناه
قال تعرضون عليه بادية له صفاحكم لا تخفى عليه منكم خافية فيأخذ ربك عز وجل بيده
غرفة من ماء فينضح بها قبلكم فلعمر والهك ما يخطى وجه احدكم قطرة فاما المسلم فيدع وجهه مثل
الريطة البيضاء واما الكافر فينضحه اوقال فينطحه مثل اللحم الاسود المالئ ينضر في نيكم وينضرف
على اثره الصالحون فيسلكون جسر النار فيطأ احدكم الجمرة فيقول حس فيقول ربك عز وجل اوانه

الاقطلعون

الا قطلعونه على حوض نبيكم على اضمائه والله ناهلة قط ما رأيتها قط فلعمر والهك ما يبسط احدكم يده
الا وقع عليها وتح مطهرة من الطوق والبول والاذى وتحبس الشمس والقمر فلا تروون منهما واحدا
قال فقلت يا رسول الله فيم ننصرف قال بمثل ينصرف بصرك ساعتك هذه قال قلت يا رسول الله فيم نجزى من حسنة
وسيئة قال صلى الله عليه وسلم الحسنة بعشر امثالها والسيئة مثلها الا ان يعفو قال قلت يا رسول الله
ما الجنة وما النار قال لعمر الهك ان النار لها سبعة ابواب ما منها بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين عاما
وان الجنة ثمانية ابواب ما منها بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين عاما قال قلت يا رسول الله فعلام
نطلع من الجنة قال على انهار من عسل مصفى وانهار من خمر ما لها صداع ولا ندامة وانهار من لبن لم يتغير طعمه
وماء غير آسن وفاكهة ولعمر الهك ما تعلمون وخير من مثله معه ازواج مطهرة قلت يا رسول الله او
منها ازواج او منهن مصلحات قال الصالحات للمصلحين ونحن لفظ الصالحات للصالحين تلذونهن
ويلذونكم مثل لذاتكم في الدنيا غير انا لا نوالد قال لقيط قلت يا رسول الله اقضي ما نحن بالغون
ومنتهون اليه فلم يجبه النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله على ما نبايعك فبسط النبي صلى الله عليه وسلم
يده وقال على اقام الصلوة وايتاء الزكوة ونزايل الشرك والاشراك بالله الها غيره قال قلت
يا رسول الله ان لنا ما بين المشرق والمغرب فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وظن اني مشترط
ما لا يعطيه قال قلت نخل تنها حيث شئنا ولا يجنى على امرء الا نفسه فبسط يده وقال لعمر ذنذ
حيث شئت ولا يجنى عليك الا نفسك قال فانصرفنا عنه ثم قال ها ان ذين ها ان ذين مرتين
فراقني الناس في الاولى والاخرى فقال له كعب ابن الحمارية احد بني كرين كلاب فزهم يا رسول الله
قال بنو المنتفق او بنو المنتفق اهل ذاك منهم قال فانصرفنا واقبلت عليه فقلت يا رسول الله هل
لاحد ممن مضى في جاهليتهم فقال رجل من قريش والدان اباك المنتفق لفي النار قال وكان ردفي
حرتين جلدو جهي ولحمهم مما قال لاني على رؤس الناس فهممت ان اقول وابوك يا رسول الله ثم اذا الاخر
اجمل فقلت يا رسول الله واهلك قال واهلي لعمر والله ما اتيت عليه من قبر عامري او قرشي الا ردوسي
كل ارسلني اليك محمد فابشر بما يسوءك تجر على وجهك وبطنك في النار قال قلت يا رسول الله
وما فعل بهم ذنبك وقد كانوا على عمل لا يحسنون الا اياه وكانوا يحسبون انهم مصلحون قال صلى الله
عليه وسلم ذكر بان الله بعث في آخر كل سبعة ايام نبيا فمن عصى نبيه كان من الضالين ومن اطاع نبيه
كان من المهتدين هذا حديث كبير جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته على انه قد خرج
من مشكاة النبوة لا يعرف الا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة ابن عبد الرحمن الحزامي رواه عنه ابراهيم بن حمزة الزبيري
وهما من كبار علماء اهل المدينة ثقتان يحتج بهما في الصحيح احتج بهما امام اهل الحديث محمد بن اسمعيل
البخاري رواه ائمة السنة في كتبهم وتلقوه بالقبول وقابلوه بالتسليم والانقياد ولم يطعن منهم احد

فيه ولما في احديث رواية خمس رواه الامام ابن الامام ابو عبد الرحمن عبد الله بن احمد بن حنبل في مسند ابيه وفي كتاب
السنة وقال كتب الي ابراهيم بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري كتبت اليك هذا الحديث وقد عرضته
وسمعته على ما كتبت به اليك فحدث به عني ومنهم الحافظ الجليل ابو بكر احمد بن عمرو بن ابي عاصم النبيل في كتاب
السنة له ومنهم الحافظ ابو احمد محمد بن احمد بن ابراهيم بن سليمان العنال في كتاب المعرفة ومنهم حافظ
زمانه ومحدث اوانه ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني في كثير من كتبه ومنهم الحافظ ابو محمد
عبد الله بن محمد بن حيان ابو الشيخ الاصبهاني في كتاب السنة ومنهم الحافظ بن الحافظ ابو الحافظ ابو محمد
عبد الله بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده حافظ اصبهان ومنهم الحافظ ابو بكر بن احمد بن موسى بن مردويه
ومنهم حافظ عصره ابو نعيم احمد بن عبد الله بن اسحق الاصبهاني وجماعة من الحفاظ سواهم يطول ذكرهم و
قال بن منده روى هذا الحديث محمد بن اسحق الصغاني وعبد الله بن احمد بن حنبل وغيرهما وقد رواه بالعرا
مجمع العلماء واهل الدين جماعة لا يحصيهم ومنهم ابو زرعة الرازي وابو حاتم وابو عبد الله محمد بن اسماعيل ولم ينكره
احد ولم يتكلم في اسناده بل رووه على سبيل القبول والتسليم ولا ينكر هذا الحديث الا جاحد جاهل ومخالف
الكتاب والسنة هذا كلام ابي عبد الله بن منده رحمه الله وقوله رهصت اي عطر والاصوا الفنور و
الشربة بفتح الراي الحوض الذي يجتمع فيه الماء وبالسكون الخطلة يربيان الماء فذكر فمن حيث شئت تشرب
وعلى وانه السكون يكون وقد شبه الارض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنطلة واستوائها وقوله
حس كلمة يقولها الانسان اذا اصابه على غفلة ما يجرقه او يوجعه قال الاصمعي وهو مثل اوه وقوله
يقول ربك عز وجل اوانه قال بن قتيبة فيه قولان احدهما ان يكون انه بمعنى نعم والاخر ان يكون الخبر
محذوفا كانه قال انتم كذلك اوانه على ما تقول والطوفان الغائط وقد يصلي احدكم وهو يدافع الطوف
والبول والجسر الصراط وقوله ويقول ربك مهيم اي ما شانك وما امرك وفيم كنت وقوله
يشرف عليكم اذلين الاذل بسكون الزاي الشرة والاذل على وزن كتف هو الذي قد اصابه الاذل وهو شدة
به حتى كاد يقنط وقوله فيضحك يضحك هو من صفات افعاله تعالى التي لا يشبهه فيها شيء من
مخلوقاته كصفات ذاته وقد وردت هذه الصفة في احاديث كثيرة لا سبيل الى جحدها كما لا سبيل الى تشبيهها
وتحقيقها وكذلك فاصبح ربك يطوف في الارض هو من صفات افعاله كقوله وجاء ربك هل ينظرون الا
ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك ويتنزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا وديدنوا عشية عرفة ويباهي باهل الموقف
الملائكة والكلام في الجميع صفاته واحد مستقيم اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلى تحريف ولا تعطيل وقوله
والملائكة الذين عند ربك لا اعلم موت الملائكة جاء في حديث صحيح ولا صحيح الا في هذا وحديث اسماعيل
بن رافع الطويل هو حديث الصور وقد يستدل عليه بقوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله وقوله فلحم والدك هو قسم يحيا الرب جل جلاله وفيه دليل

على جواز الاقسام بصفات الله تعالى وانعقاد اليمين بها وانها قديمة وانه يطلق عليه منها اسماء الصادر ويوصف
بها وذلك قد نص الله على مجرد الاسماء وان الاسماء الحسنى مشتقة من هذه المصادر دالة عليها وقوله
ثم يجيء الصاعقة هي صيحة البعث ونفخته وقوله حتى تخالفه زعنفة اسه هو زاغلف الزرع اذا نبت بعد
حصاده شبه النشأة الاخرة بعد الموت باخلاف الزرع بعد ما حصد وقد خلفه زعنفة اسه وقوله
فيستوي جالسا هذا عند تمام خلقه وكماله صبابة ثم يقوم بعد جلوسه قائما ثم يساق الى موقف القيمة اما
راكبا واما شيا وقوله ويارب امس اليوم استقال المدة لبثه في الارض وكانه لبث شيئا يوما فقال امس
او بعض يوم فقال اليوم يحسب انه حديث عهد باهله وانه انما فارقهم امس او اليوم وقوله كيف يجمعنا
بعد ما تمزقنا الرياح والبلى والسباع واقر رسول الله صلى الله عليه وسلم له على هذا السؤال ورد على من يزعم
انه القوم لم يكونوا يخوضون في دقائق المسائل ولم يكونوا بهموده حقائق الايمان بل كانوا مشغولين
بالعمليات وانه افراخ الصابية والمجوس من الجهمية والمعتزلة والقدرية اعرض عنهم بالعمليات وفيه دليل
على انهم كانوا يوردونه على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسئلة والمشتبهات فيجيبهم عنها بما يشتفي به صدورهم وقد ورد على النبي صلى الله عليه وسلم الاسئلة اعداؤه واصحاب اعداؤه للتعنت والمغالبة واصحا
للفهم والبيان وزيادة الايمان وهو يجيب كلا عن سؤاله اما الاجواب عنه كسؤاله عن وقت
وفي هذا السؤال دليل على انه سبحانه يجمع اجزاء العبد بعد ما فرقها وينشئه نشأة اخرى ويخلقه خلقا جديدا
كما سماه في كتابه كذلك في موضعين منه وقوله راية عترزان في الماء اسد الاوة نمه واياته التي تعرف
الى عباده وفيه اثبات القياس في ادلة التوحيد والمعاد والقرآن مملوء منه وفيه ان حكم الشيء حكم نظيره
وانه سبحانه اذا كان قادرا على شيء فكيف يتعجز وقدرته عن نظيره ومثله فقد قرر الله سبحانه ادلة المعاد في كتابه
احسن تقرير وابينه وابلغه واوصله الى العقول والفطر فابى اعداؤه الجاحدون له الا تكذيبا له وتعجيزا
وطعنا في حكمته تعالى عما يقولون علوا كبيرا وقوله في الارض اشرفت عليها وهي مدرة بالية هو
كقوله تعالى ويحيي الارض بعد موتها وقوله ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
وربت وانبتت من كل زوج بهيج ونظائره في القرآن كثيرة وقوله فتطروده اليه وينظر البكم فيه اثبات
صفة النظر لله تعالى واثبات رويته في الاخرة وقوله كيف وبحن ملء الارض وهو شخص واحد وقد جاء
في هذا الحديث وفي حديث اخر لا شخص اغير من الله والمخاطبون بهذا قوم عرب لا يعلمون للمراد منه ولا
يقع في قلوبهم تشبيهه سبحانه بالاشخاص بل هم اشرف عقولا واصح اذهانا واسلم قلوبا من ذلك و
حقق النبي صلى الله عليه وسلم وقوع الرؤية عيانا بروية الشمس والقمر تحقيقا لها وتيقنا لتوهم المجاز
الذي يظنه المبطلون وقوله وبيا حتى ربك بيده عز فتر الماء فينفخ بها قبلكم فيه اثبات صفة اليد
لله سبحانه واثبات صفة الفعل الذي هو النفخ والريطة الملاءة والحميم جمع حمة وهي الغمر وقوله

ثم ينصرف بنبيكم هذا الضراط من موقف القيمة الى الجنة قوله وينصرف على اثره الصالحون اى يقفون
ويحصون على اثره وقوله فتطلعون على حوض بنبيكم ظاهر هذا الحوض ظهر وراء الجسر وكانهم لا يصلون
اليه حتى يقطعوا الجسر والسلف فى ذلك قولان حكاهما القرطبى فى تذكرته والغزالى وغلط من قال انه
بعد الجسر وقد روى البخارى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا قائم على الحوض
اذا زمر قوم اذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال لهم هلم فقلت الى اين فقال الى النار والله
قلت ما شانهم قال انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى فلا اراه يخلص منهم الا مثل همل النعم قال فهذا الحديث
مع صحته اول دليل على ان الحوض يكون فى الموقف قبل الصراط لان الصراط ممدود على جهنم فمن جازه
سلم من النار قلت وليس بين احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعارض ولا تناقض ولا اختلاف
وحديثه كله يصدق بعضه بعضا واصحاب هذا القول ان اراد وان الحوض لا يرى ولا يوصل اليه
الا بعد قطع الصراط فحديث ابى هريرة هذا وغيره من احاديثهم يرد قولهم وان اراد ان المؤمنين اذا جاوزوا
الصراط وقطعوا بدا لهم الحوض فشربوا منه فهذا يدل عليه حديث ابى هريرة هذا وهو لا ينافى كونه
قبل الصراط وان طوله شهر وعرضه شهر واذا كان بهذا الطول والسعة فما الذى يحيل امتداده الى وراء
الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده فهذا فى حيز الامكان ورد فوعد موقوف على خبر الصادق
والله اعلم وقوله على اضاخ والله ناهلة قط الناهلة العطاش الواردين للماء يريد وبنو اضاخ ماؤهم اليه وهذا
يناسب ان يكون بعد الصراط فانه جسر النار وقد وردوها كلهم فلما قطعوه اشتد ظمأوهم الى الماء فوردوا
حوضه صلى الله عليه وسلم كما وردوه فى موقف القيمة وقوله وتحبس الشمس والقمر اى يخيفان ويحبسان
لا يريان والاحباس الاختفاء وسنة قول ابى هريرة فاحتبست منه وقوله ما بين البابين مسيرة
سبعين عاما يحتمل انه يريد به ان بعد ما بين الباب والباب هذا المقدار ويحتمل ان يريد بالبابين المصراعين
والاول اقرب لهذا ما جاء من تقدير هذا بار بعين عاما والوجهان احدهما انه لم يصرح فيه رواية بالرفع بل
قال ولقد ذكر لنا ان ما بين المصراعين مسيرة اربعين عاما والثانى ان المسافة تختلف باختلاف سرعة
السير فيها وبطئه والله اعلم وقوله فى خمر الجنة انها ما بها من صداع ولا ندامة يعرض بخمر الدنيا وما يلحقها
من صداع الراس والندامة على ذهاب العقل والمال وحصول الشر الذى يوجب زوال العقل والمال غير الاسن
هو الذى لم يتغير بطول مكثه وقوله فى نساء الجنة غير ان لا توالد فاختلف الناس هل تلد نساء الجنة
على قولين فقالت طائفة لا يكون فيها حبل ولا ولاده واحتجت هذه الطائفة بهذا الحديث وحديث آخر
اظنه فى المسند وفيه غير ان لا منى ولا هنه واثبتت طائفة من السلف الولاده فى الجنة واحتجت بما رواه
الترمذى فى جامعه حديث ابى الصديق الناجى عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتهى المؤمن
الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى قال الترمذى حسن غريب ورواه ابن ماجه قالت

وقالت الطايفة الاولى هذا الايراد على وقوع الولادة فى الجنة فانه علقه بالشرط فقال اذا اشتهى ولكنه
لا يشتهى وهذا تاويل اسحق بن راهويه حكاه البخارى عنه قالوا والجنة دار جزاء على الاعمال وهؤلاء ليسوا
من اهل الجزاء قالوا والجنة دار خلود لا موت فيها فلو توالد اهلها فيها على الدوام والابد لما وسعتهم
الدنيا بالموت واجابت الطائفة الاخرى عن ذلك كله وقالت اداة اذا انما تكون لتحقق الوقوع لا للشكوك فيه
وقد صح ان الله تعالى ينشى الجنة خلقا يسكنهم اياها بلا عمل منهم قالوا واطفال المسلمين فيها ايضا بلا عمل وايضا حديث
سعتها قلوبهم قالوا ومع هذا لا توالد فى الولد وسعتهم فان ادناهم من ينظر فى ملكه مسيرة الفى عام وقوله
يا رسول الله اقصى ما نحن اليه بالغون ومنتهون اليه لا جواب لهذه المسئلة لانه ان اراد ان اقصى مدة الدنيا
وانتهائها فلا يعلم الا الله تعالى وان اراد اقصى ما نحن منتهون اليه بعد دخول الجنة والنار فلا تعلم نفس
اقصى ما ينتهى اليه من ذلك وان كان الانتهاء الى نعيم وجحيم ولهذا لم يجبه النبى صلى الله عليه وسلم وقوله
فى عقد البيعة وترك الشرك اى مفارقته ومعاداته فلا يجاوره ولا يواليه كما فى الحديث الذى فى السنن لا يتراءى
ناراهما يعنى المسلمين والمشركين وقوله حيثما مررت بقبر كافر فقل ارسلنى اليك محمد هذا ارسال
تقريع وتوبيخ لا تبليغ امر ونهى وفيه دليل على سماع اصحاب القبور كلام الاحياء وخطابهم لهم
ودليل على ان مات مشركا فهو فى النار وان مات قبل البعثة لان المشركين كانوا قد غيروا وبدلوا
دين ابراهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه وليس لهم حجة من الله به وقبحه والوعيد عليه بالنار
لم يزل معلوما مقررين الرسل كلهم من اولهم الى آخرهم واخبار عقوبات الله لاهله متقادمة من الامم قرنا
بعد قرن فسد الحجة البالغة على المشركين فى كل وقت ولو لم يكن الا ما فطر عباده عليه من توحيده لبوبيته
المستلزم لتوحيده الالوهية وانه يستحيل فى كل فطرة وعقل ان يكون معه آلهة اخرى وان كان سبحانه
لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها فلم تزل دعوة الرسل الى التوحيد فى الارض معلومة لاهلها
فالمشرك يستحق العذاب لمخالفة الرسل والله اعلم

فصل فى قدوم وفد النخع

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد النخع وهو آخر الوفود قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بضع المحرم سنة احدى عشرة فى مائتى
رجل فنزلوا دار الاضياف ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا
معاذ بن جبل فقال رجل منهم يقال له زراوة بن عمرو يا رسول الله انى رايت فى سفرى هذا عجبا
قال وما رايت قال رايت اقاما تركتهما فى الحى كانهما ولدت جديا اسفع احوى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل تركت امك معها على حمل قال نعم قال فانها ولدت غلاما وهو ابنك قال
يا رسول الله ما بال ابنى اسفع احوى قال ادن منى فدنا منه فقال هل بك من برص تكتمه قال
والذى بعثك بالحق ما علم به احد ولا اطلع عليه غيرك قال فهو ذاك قال يا رسول الله رايت
النعمان بن المنذر عليه قرطان ومدملجان او مسكتان قال ذاك ملك العرب رجع الى احسن زيه وهيئة

قال يا رسول الله ورايت بجوز اشمطا خرجت من الارض قال تلك بقيتهم الدنيا قال ورايت نارا خرجت من الارض
فحالت بيني وبين ابرجي يقال له عمرو وفي رواية تقول القطي الظاهر وراعي الطهوي الحكم اهلكم ومالكم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في اخر الزمان قال يا رسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس امامهم ويشتجرون
اشتجار اطيا قال الراس وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب المسيء فيها انه محسن ويكون دم للوع
من عند المؤمن احلامن شرب الماء ان مات ابتداء ادركت الفتنة وان مت انت ادركها ابتداء قال يا رسول الله ادع الله ان
لا ادركها فقال اللهم لا يدركها فمات وبقي ابنه وكان ممن خلع عثمان رضي الله عنه و

ذكر هديته صلى الله عليه وسلم في مكاتبته الى الملوك وغيرهم

ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه كتب الى هرقل بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم
الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بداية الاسلام اسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين فان
توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك
به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون وكتب
الى كسرى بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وامن بالله ور
سوله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ادعوك بداية الله فاني رسول الله
الى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان ابيت فعليك اثم المجوس
فلما قرئ عليه الكتاب مزقه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال مزق الله ملكه وكتب
الى النجاشي بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة سلام انت فاني احمد اليك الله الذي
لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول
الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق ادم بيده واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له
والموالاة على طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله واني ادعوك وجنودك الى الله عز وجل
وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى وبعث بالكتاب مع عمرو بن امية الضمري فقال
بن اسحق له عمرو يا اصحمة ان علي القول وعليك الاستماع انك كاننا فارقة علينا وهاكانا في الثقة تنداء
لا نالم نظن بك غدرا فقط الا نلتناه ولم نخفك على شيء وطا الا مناه وقد احدثنا النجاة عليك من قبل الاتجيل بيننا
وبينك شاهدا يرد وقاضا لا يجور وفي ذلك الموقع الحزن واصابة المفصل والافانت في هذا النبي الامي كالهبو
في عيسى بن مريم وقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم رسله الى الناس وفجاءه لما لم يهم له وامنه على ما اخافهم
عليه بخير سالفواجر ينتظر فقال النجاشي اشهد بالله انه للنبي الامي الذي ينتظره اهل الكتاب وان
بشارة موسى كراكب الحمار كبشارة عيسى بركب الجمل وانه الصياد ليس بما شفي من الخمر ثم كتب النجاشي
جواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول الله من النجاشي اصحمة سلام

عليك

عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته الذي لا اله الا هو اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله
فما ذكرت في امر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقا انه كما ذكرت وقد عرفنا
ما بعثت به الينا وقد قربنا ابن عمك واصحابه واسلمت على يديه لله رب العالمين والثفروقا لغة تابين
النواة والقشر وتوفي النجاشي سنة تسع واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بموته ذلك اليوم فخر
ج بالناس الى المصلى فصلى عليه وكبر اربعا قلت وهذا وهم والله اعلم وقد غلط راويه
ولم يميز بين النجاشي الذي صلى عليه وهو الذي امن به واكرم اصحابه وبين النجاشي الذي كتب اليه يدعوه فهما
اثنين وقد جاء ذلك مبينا في صحيح مسلم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى النجاشي وليس بالذي صلى عليه

فصل وكتب الى المقوقس ملك مصر والاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام الله على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بداية الا
سلام اسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم القبط يا اهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون وبعث به مع حاطب بن ابي بلتعة ولما دخل عليه قال انه
كان قبلك رجل يزعم انه الرب الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر
بغيرك ولا يعتبر غيرك بك فقال انه لنا دينا لن ندعه الا لما هو خير منه فقال ادعوك الى دين الله
وهو الاسلام الذي به الله فقد ما سواه وانه هذا النبي دعا الناس وكانه اشهم عليه قريش واعداهم
له يهود واقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاءنا اياك
الا كدعائك اهل التوراة الى الانجيل وكل نبي ادرك قوما فهم من امته فالحق عليهم ان يطيعوه فانت ممن
ادركه هذا النبي ولسنا نهاك عن دين المسيح ولكنا نامرك به قال المقوقس اني نظرت في امر هذا النبي
فوجدته لا يامر بمرغوب عنه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم اجده بالساحر المضل ولا الكاهن الكاذب ووجدت
معه آلة النبوة باخراج الخبأ والاخبار بالنجوى وسانظر واخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فجعله في حق وجعل
وختم عليه ودفعه الى جارية له ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام الله اما بعد فقد قرات كتابك وفهمت ما ذكرت فيه
وما تدعو اليه وقد علمت ان نبيا بقي وكنت اظن ان يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك
بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وبكسوة واهديت اليك بغلة لتركبها والسلام عليك ورحمة الله

فصل وكتب

ولم يسلم والجاريتين ماريه وسيرين والبغلة دلدل بقيت الى زمن معاوية
الى المنذر بن ساوى فذكر الواقدي باسناده الى عكرمة قال وجاءت هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد
موته فنسخته فاذا فيه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى وكتب اليه كتابا

فاشهد انك رسول الله ما قلته قط
يا يزيد وبايعت بن عباس ثم

يدعوه فيه الى الاسلام فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله
الى المنذر بن ساوى سلام الله عليك فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
اما بعد فاني اذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع امرهم فقد اطاعني
ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد اثنوا عليك خيرا واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما
اسلموا عليه وعفوت عن اهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح نفعل لك عن عملك ومن اقام على يهوديته
او مجوسيته فعليه الجزية وكتب الى جلند عمان وبعثه مع عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد بن عبد الله الى جيفر وعبد ابني الجلندى سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوكما بدعاية الاسلام
اسلما تسلما فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان اقررتما
بالاسلام وليتكما والا تبقيا ان تقرا بالاسلام فان ملككما زايل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي
على ملككما وكتب ابي بن كعب وختم الكتاب قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الى عمان فلما قدمتها عمدت
وكان اعلم الرجلين واسهلهما خلقا فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني اليك والى اخيك فقال
اخو المقدم علي بالسن والملك وانا اوصلك اليه حتى تقرا كتابك ثم قال وما تدعوا اليه قلت
الى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه وتشهد ان محمدا عبده ورسوله قال يا عمرو انك ابن
سيد قومك فكيف صنع ابوك فان لنا فيه قدوة قلت مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وودت
انه كان اسلم وصدق وقد كنت على مثل رايه حتى هداني الله للاسلام قال فمتى تبعته قلت قريبا فاني اين
كان اسلامك فقلت عند النجاشي واخبره ان النجاشي قد اسلم قال فكيف صنع قومه بملكه قلت اقروه
واتبعوه قال والاساقفة والرهبان تبعوه قلت نعم قال انظر يا عمرو ما تقول انه ليس من خصلة
في الرجل افضح من الكذب قلت ما كذبت ولا استحله من دينا قال ما ارى هرقل علم باسلام النجاشي
قلت بلى قال باي شيء علمت ذلك قلت كان النجاشي يخرج له خراجا فلما اسلم وصدق محمدا صلى الله عليه وسلم
قال لا والله لو سالني درهما واحدا ما اعطيته اياه فبلغ هرقل قوله فقال له رسا فاخوه انه ابتدع عبدا
لا يخرج لكبر خراجا ويدين بدين محدث قال هرقل رجل ركب في دين واختار لنفسه ما اصنع به والله
لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع قال انظر ما تقول يا عمرو قلت والله صدقك قال ويحك
فاخبرني ما الذي يامر به وينهى قلت يامر بطاعة الله وينهى عن معصيته ويامر بالبر وصلة الرحم وينهى
عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال ما احسن هذا
الذي تدعوا اليه لو كان اخي حيا يعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن اخي اظن بملكه ان يدعه وملكه صغير
دنيا فقلت ان اسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فاخذ الصدقة فرغبهم فردها على فقيرهم
قال ان هذا لخلق حسن وما الصدقة فاخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات في الاموال

حتى انتهيت

الى الابل فقال يا عمرو ويوخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه فقلت نعم فقال
والله ما ارى قومي نعى بعدد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لحمقاق فخلت ببابه اياما وهو يصيل
الى اخيه ويخبره بكل خبري ثم انه دعاني يوما فدخلت عليه فاخذ عوانه يضبعني فقال دعني فاسلت
فذهبت لاجلس معه فابوا ان يدعوني اجلس فنظرت اليه فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب
مختوما فقض خاتمه حتى انتهى الى اخره ثم دفعه الى اخيه فقراه مثل ما قراه الا اني رايت اخاه ارق منه
فقال لي اخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب في الدين واما مقهور بالسيف قال
ومن معه قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم ان ما هداهم الله اياه انهم
كانوا في ضلال فما اعلم احدا بقي غيرك وهذه الحرجة وانت ان لم تسلم اليوم وتتبعه وايا يوطئك الخيل
وتبيد خضراءك فاسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال دعني
يومي هذا وارجع الي غدا فرجعت الى اخيه فقال يا عمرو اني لارجو ان يسلم الا ان يظن بملكه حتى
اذا كان الغد اتيت اليه فابى ان ياذن لي فانصرفت الى اخيه فاخبرته اني لم اصل اليه فاوصلني اليه
فقال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي وهو لا يتبع
دينك ويخالف خيله ههنا وان بلغت خيله الغت قتالا ليس كقتال فارس الروم قلت وانا خارج غدا فلما ايقن بخروجي خلا
براخيه فقال اما ترى فيما ادعى اليه فقال اخوه والله لقد نظرت في امره فاذا هو قد افتات في امر لا يدرك
من ليلته فاصبح فارسل الي فاجابه الى الاسلام هو واخوه وصدق النبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عونا

فصل وكتب النبي صلى الله عليه وسلم الى صاحب اليمامة هوذة بن علي

على من اتبع الهدى واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك فلما
قدم عليه سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوم ما انزله وجباه وقرا عليه الكتاب فرد ردا دون
رد وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما احسن ما تدعوا اليه واجمله والعرب تهاب مكاني فاجعل
بعض الامر ابتعك فاجازه سليط بجائزة وكساه اثوابا من نسج هجر فقدم بذلك كله على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبره وقرا النبي صلى الله عليه وسلم كتابه وقال لو سالني سيابة من الارض ما فعلت بادت
وبادما في يديه فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بان هوذة ما
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما ان اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبى يقتل بعدي فقال قتادة يا رسول
من يقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت واصحابك وكان كذلك وذكر الواقدي ان اركون
دمشق عظيم من عظماء النصارى كان عند هوذة فسالته عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال جاءني كتابه
يدعوني الى الاسلام فلم اجبه قال لا اركون لم لا تجبه قال اظننت بديني وانا ملك قومي وان اتبعته

لم امنك قال بلى والله ان تبعته ليمنعك وان الخيرة كل الخيرة في اتباعه وانه للنبي العربي الذي بشر به عيسى
ابن مريم وانه لمكتوب عندنا في الانجيل محمد رسول الله **فصل** في كتابه الى الحارث بن شمر الغساني وكان بدمشق يغزوها فكتب اليه كتابا مع شجاع بن وهب عند مرجعه من المدينة بسم الله
الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن ابي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدقه واني ادعوك
الى ان تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك وقد تقدم ذكره **فصل** قد اتينا
على جمل من هديه صلى الله عليه وسلم في المغازي والسير والبعوث والسرايا والكتب التي كتبها الى الملوك ونوابهم
ونتبع ذلك بفصول نافعة في هديه صلى الله عليه وسلم في الطب الذي تطبب به ووصفه لغيره وتبين ما فيه
من الحكمة التي تعجز عقول اكثر الاطباء عن الوصول اليها وان نسبة طبهم اليها كنسبة طب العجائز الى طبهم
فنقول وبالله المستعان ومنه نستمد الحول والقوة **المرض نوعان** مرض القلوب ومرض الابدان
وهما مذكوران في القرآن ومرض القلوب نوعان مرض شبهة وشك ومرض شهوة وغي وكلاهما في القرآن
قال تعالى في مرض الشبهة في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وقال تعالى وليعلم الذين في قلوبهم مرض
والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا وقال وحوقزيغي الى تحكيم القرآن والسنة قالي واعرض واذا دعوا
الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين اي في قلوبهم مرض ام ارتابوا
ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون فهذا مرض الشبهات والشكوك واما مرض الشهوات
فقال الله تعالى يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي
في قلبه مرض فهذا مرض شهوة الزنا **فصل** واما مرض الابدان فقال تعالى ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وذكر مرض البدن في الحج والصوم والوضوء بستر بديع يبين لك
عظمة القرآن والاستغناء برحمته فهمه وعقله عن من سواه وذكر ان قواعد طب الابدان ثلاثة حفظ الصحة
والحمية عن الموذي واستفراغ المواد الفاسدة فذكر سبحانه هذه الاصول الثلاثة في هذه المواضع الثلثة
فقال في اية الصوم فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فاباح الفطر للمريض لعذر المرض
والمسافر لحفظ الصحة وقوته لئلا يذهبها الصوم في السفر لاجتماع الحركة (تقدم) وما يوجبه من التحليل وعدم
الغذاء الذي يحلب ما تحلل فتخور القوة وتضعف فاباح للمسافر الفطر حفظا للصحة وقوته عما يضعفها
وقال في اية الحج فمن كان منكم مريضا او على سفر او به اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك
فاباح للمريض ومن به اذى في رأسه من قمل وحكة وغيرها ان يحلق رأسه في الاحرام استفراغا لمادة الابخرة
الرديئة التي اوجبت له الاذى في رأسه باحتقانها تحت الشعر فاذا حلق رأسه تفتحت المسام فخرجت تلك
الابخرة منها فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يوذي بحابسه والاشياء التي يوذي بحابسها
ومدافعتها كشدة الهم اذا هاج والمني اذا ابتيع والبول والغائط والريح والقيء والعطاس والنوم والجوع

والعطش

والعطش وكل واحد من هذه العشرة يوجب حبسه داء من الادواء بحبسه وقد نبه سبحانه باستفراغ احدها
وهو البخار المحتقن في الرأس على استفراغ ما هو اصعب منه كما هي طريقة القرآن التنبيه بالادنى على الاعلى واما الحمية
فقال تعالى في اية الوضوء وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا فاباح للمريض العدول عن الماء الى التراب حمية له ان يصيب جسمه ما يوذيه وهذا تنبيه
على الحمية عن كل موذ له من داخل او خارج فقد ارشد سبحانه عباده الى اصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده
ونحن نذكر هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ونبين ان هديه كما هو هدي فاضل طب القلوب
فسلم الى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم والى سبيل الوصول الامر جميعه منهم على ايديهم فان صلاح القلوب
ان تكون عارفة بربها وفاطرها وباسمائه وصفاته وافعاله واحكامه وان تكون موثرة لمرضاته ومحابه
مجتنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حيوة البتة الا بذلك ولا سبيل الى تلقيه الا من جهة الرسل
وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم فغلط ممن يظن ذلك وانما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية
وصحتها وقوتها وحيوة قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمعزل ومن لم يميز بين هذا وهذا فليبك
على حيوة قلبه فانه من الاموات وعلى نوره فانه منغمس في بحر الظلمات **فصل** واما طب **الابدان فانه نوعان** نوع قد وظف الله عليه الحيوان ناطقه وبهيمه
فهذا الاحتياج فيه الى معالجة طبيب كطب الجوع والعطش والبرد والثقب بأضدادها وما يزيل بها
والثاني ما يحتاج الى فكر وتامل كدفع الامراض المتشابهة الحادثة في المزاج بحيث يخرج بها عن الاعتدال
اما الى حرارة او برودة او يبوسة او رطوبة او ما يركب من اثنتين منها وهو نوعان اما مادية واما
كيفية اعني اما ان يكون باتصباب مادة او بحدوث كيفية والفرق بينهما ان امراض الكيفية تكون بعد زوال
المواد التي اوجبتها فتزول بزوالها ويبقى اثرها كيفية المزاج وامراض المادة اسبابها معها تمتد ما دامت فاذا كان
سبب المرض معه فالنظر في السبب ينبغي ان يقع اولا ثم في المرض ثانيا ثم في الدواء ثالثا واما الامراض الالمية وهي
التي تخرج العضو عن هيئته اما في شكله او تخريف او مجرى او خشونة او ملاسته او عدد او عظم او وضع
فان هذه الاعضاء اذا زالت وكان منها البدن يسمى تالفها انفصالا والخروج عن الاعتدال فيه يسمى تفرقا لا
تفصل والامراض العامة التي تعم المتشابهة هي الالمية والامراض المتشابهة هي التي يخرج بها المزاج
عن الاعتدال وهذا الخروج يسمى مرضا بعد ان تغير بالفعل امزاج محسوسا وهو على ثمانية اصناف اربعة
بسيطة واربعة مركبة فالبسيطة البارد والحار والرطب واليابس والمركبة الحار والرطب والحار واليابس والبارد
واليابس وهي اما ان تكون باتصباب مادة او بغير اتصباب مادة وان لم يفض المرض بالفعل سمي خوفا عن الا
عتدال صحتا والبدن ثلاثة احوال حال طبيعية وحال خارجة عنها وحال متوسطة بين الامرين فالاولى بها
يكون البدن صحيحا والثانية بها يكون مريضا والحالة الثالثة هي متوسطة بين الحالتين وان افتقد

لاينقل الى حده الاعتدال وسبب خروج البدن عن طبيعته اما من داخل لانه مركب من الحار والبارد والرطب واليابس واما من خارج فان مايلقاه قد يكون موافقا وقد يكون غير موافق والضرر الذي يلحق الانسان قد يكون من سوء المزاج بخروجه عن الاعتدال وقد يكون من فساد العضو وقد يكون من منافاة القوى او الارواح الحاملة لها ويرجع ذلك من زيادة ما او الاعتدال في عدم زيادته او نقصان ما او الاعتدال في عدم نقصانه او امتداد ما او الاعتدال في انتقامه او تفرق ما او الاعتدال في اتصال او انفصال ما او الاعتدال في تفرقه او خروج ذي وضع وشكل عن وضعه وشكله بحيث يخرج عن اعتدال والطبيب هو الذي يفرق ما يضر بالانسان جمعه ويجمع فيه ما يضر تفريقه او ينقص منه ما يضره زيادته او يزيد فيه ما يضره نقصه فيجلب الصحة المفقودة او يحفظها بالمثل او الشبه ويقطع العلة الموجودة بالضد والنقيض ويخرجها او يدفعها بما يمنع من حصولها بالحمية وستدرى هذا كله في هدي النبي صلى الله عليه وسلم بحول الله وقوته وفضله ومعونته

فصل وكان من هديه

صلى الله عليه وسلم فعل التداوي في نفسه والامر به لمن اصابه مرض من اهله واصحابه ولكن لم يكن من هديه ولا هدي اصحابه استعمال هذه الادوية المركبة التي تسمى اقرابادين بل كان غالب ادويتهم بالمفردات وربما اضافوا الى المفرد ما يقاومه ويكسر سورته وهذا غالب طب الامم على اختلاف اجناسها من العرب والترك واهل البوادي فانما عنى بالمركبات الطباء الروم واليونانيين واكثر طب الهند بالمفردات وقد اتفق الاطباء على انه متى امكن التداوي بالغذاء لا يعدل الى الدواء ومتى امكن بالبسيط لا يعدل الى المركب وقالوا كل داء قدر على دفعه بالاغذية والحمية لم يحاول دفعه بالادوية قالوا ولا ينبغي للطبيب ان يولع بسقي الادوية فان الطبيعة اذا لم تجد في البدن داء يحللها او وجد داء لا يفارقها او وجد ما يوافق فرادت كميته عليه او كيفيته فيستعين بالصحيح وعبث بها وارباب التجارب من الاطباء طبهم بالمفردات غالبا وهم احذق في الطب الثلث والتحقيق في ذلك ان الادوية مرجعها الى الاغذية فالادوية التي غالب اغذيتها بالمفردات فامراضها قليلة جدا وطبها بالمفردات واهل المدن الذين غلبت عليهم الاغذية المركبة يحتاجون الى الادوية المركبة وبسبب ذلك ان امراضهم في الغالب مركبة فالادوية المركبة انفع لها وامراض البوادي واهل العمارى مفردة فيكفي في امدادها الادوية المفردة فهذا برهان بحسب الصناعة الطبية ونحن نقول ان ههنا امرا آخر بنسبة طب الاطباء اليه كنسبة طب الطغيفة والعجائز الى طبهم وقد اعترف به حذاقهم وائمتهم فان ما عندهم خر العلم بالطب منهم من يقول هو قياس ومنهم من يقول هو تجربة ومنهم من يقول هو الهام ومنامات وحدس صايب ومنهم من يقول اخذ كثير من الحيوانات البهيمة كما تشاهد السنانير اذا اكلت دواء السموم تعمد الى السراج فتلغ في الزيت تتداوى به وكما رويت الحيات اذا خرجت من بطن الارض وقد غشيت ابصارها تاتي الى ورق الزيتون فتمرغ عيونها عليه وكما عهد من الطير الذي يحتقن بماء البحر عند احتباس طبعه وامثال ذلك مما ذكر في مبادي الطب واين

يقع

يقع بهذا كله ما انزل من الوحي الذي يوحيه الله الى رسوله بما ينفعه ويضره فنسبة ما عندهم من الطب الى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم الى ما جائت به الانبياء فاين هذا من الادوية التي تنفع من الامراض مما لم يهتد اليها عقول اكابر الاطباء ولم تصل اليها علومهم وتجاربهم واقتيستهم من الادوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله والتوكل عليه والالتجاء اليه والانطراح والانكسار بين يديه والتذلل له والصدقة والصلوة والدعاء والتوبة والاستغفار والاحسان الى الخلق واغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب فان هذه الادوية قد جربتها الامم على اختلاف اديانها ومللها فوجدوا لها من التاثير في الشفاء ما لا يصل اليه علم الاطباء طبا ولا تجربة ولا قياسا وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا امورا كثيرة ورايناها تفعل ما لا تفعل الادوية الحسية بل تقصر الادوية الحسية عندها بمنزلة ادوية الطرقية عند الاطباء وهذا مجار على قانون الحكمة الالهية لا خارجا عنها ولكن الانبياء مستوعبة فان القلب متى اتصل برب العالمين وخالق الداء والدواء ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء كانت له ادوية اخرى غير الادوية التي يعاينها القلب البعيد منه المعرض عنه فقد علم ان الارواح متى قويت وقويت النفوس والطبيعة تعاونا على دفع الداء وقهره فكيف بنفس قويت طبيعتها ونفسها وفرحت بقرب ربها بما يريها وانسها به وحبها له وتنعمها بذكره وانصرافها بكلها اليه وجمعها عليه واستعانتها به وتوكلها عليه ان يكون ذلك اكبر الادوية وتوجب لها هذه القوة دفع الالم بالكلية ولا ينكر هذا الا اجهل الناس واغلظهم حجابا واكثفهم نفسا وابعدهم عن حقيقة الانسانية وسنذكر انشاء الله السبب الذي به ازلت قراءة الفاتحة داء اللدغة عن اللديغ الذي رقي بها فقام حتى كانما به قلبة فهذا نوع من الطب النبوي نحن بحول الله نتكلم عليه بما يحسب الجهد والطاقة ويبلغ علومنا القاصرة ومعارفنا المتلاشية جدا ونستعين الله على ذلك ونسئله المعونة من بيده الخير كله ومنه الفضل فانه العزيز الوهاب

فصل روى مسلم

في صحيحه من حديث ابي الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برئ باذن الله عز وجل وفي الصحيحين عن عطاء عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله من داء الا انزل له شفاء وفي مسند الامام احمد من حديث زياد بن علاقة عن اسامة بن شريك قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وجائت الاعراب فقالوا يا رسول الله نتداوى قال نعم يا عباد الله تداووا فان الله عز وجل لم يضع داء الا وضع له شفاء غير داء واحد قالوا وما هو قال الهرم وفي لفظ ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله وفي المسند من حديث ابن مسعود ما انزل الله داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله وفي المسند والسنن عن ابن خزامة قال قلت يا رسول الله ارايت رقا نسترقي بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله